الأنجـــم اللوامـــع
فـــي الخطـــب والمحاضـــرات الجوامـــع

تأليف

الشيخ/ محمد بسيوني

مقدمـة الشيــخ
محمد بن عبد الملك الزغبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين ،

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وبعـــد :

فقد أطلعني أخي الحبيب الشيخ / محمد بن محمود بسيوني – حفظه الله تعالى- على كتابه المسمى : بـ ((الأنجم اللوامع في الخطب والمحاضرات الجوامع)).

فألفيته كتابا نافعا للدعاة والوعاظ والخطباء؛ إذ حوى الكثير من الموضوعات التي تمس حاجة المسلمين إلى معرفتها، فضلًا عن أنه كُتب بأسلوب سـهل ميـسور يفهمه المتخصص وغير المتخصص، لذا أحث وأحض الدعاة والوعاظ والخطباء على اقتنائه؛ لأنه يمثل إضافة حقيقية إلى مكتبتهم.

وأدعو الله جل وعلا أن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة.

كتبه/ أبو عمر

محمد بن عبد الملك الزغبي

مقدمــة المؤلـف

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله مـن شـرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمور محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ.

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية التي وفقت إلى جمعها وأدائها، أقـدمها لإخواني الخطباء وأئمة المساجد في مشارق الأرض ومغاربها، سائلًا الله عزوجـل

أن ينفعني وإياهم بها، وقد أسميت هذا الكتاب ((الأنجـم اللوامـع في الخطـب والمحاضرات الجوامع)).

وأعتذر عن كون بعض الخطب – بل كثير منها- قد طال عـن الحـد المطلوب، ولكن للخطيب أن ينتقي منها ما يشاء ويدع ما يشاء حـسب مـا يترآى له، أو قد يقسم الخطبة الواحدة على أكثر من لقاء.

وأسال الله تعالى أن يتقبل مني هـذا العمل بقبول حسن، وأن يتجـاوز عن زلاتي وهفواتي وتقصيري، وأن يغفر لي ولوالدي ولأهلي وذريتي والمسلمين والمسلمات.

ولا يفوتني أن أشكر أخي الكريم الشيخ/ محمد بن جودة (حفظـه الله) الذي له اليد الطولى في هذا العمل، فلقد قام بتفريغ بعض هذه الخطـب مـن أشرطتي، وقام بكتابتها ومراجعتها وتخريج الأحاديث النبوية، فجزاه الله خـيرا على ما بذله لخدمة هذا الكتاب، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم، والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبـو عبـد الرحمـن

محمد بن محمود بسيوني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين.

ليلة الثلاثاء ٢٦من شوال لعام ١٤٣١هـ

الموافق 5من أكتوبر لعام ٢٠١٠مـ

جمهورية مصر العربية، المنصورة، دقهلية.

الخطبة الأولى : هل رأيت الجنة ؟!

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم، وأخرجهم إلى دار الامتحان؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص بعيد عما يقوله الكافر والمنافق ويفتريه [1].

إلهي :

إن ذنوبي في الورى عظمت ... وليس لي عمل في الحشر ينجيني

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه ... حب النبي وذاك القدر يكفيني

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أرسله ربه ببوالغ الحكم، وأسبغ عليه من النعم،وأوطأه رقاب الأمم، فعاش الحبيب المصطفىﷺ في كل أحواله ناصحاً، وعادى فاسد الشرائع عداء واضحاً، ولقد صدق القائل إذ يقول :

وما زادني شرفا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن أرسلت أحمد لي نبيا

فاللهم صل وسلم وزد وبارك عليه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته، واتبع نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

---

1 - انظر الهامش رقم (٤) في المحاضرة التالية (هل رأيت النار).

هل رأيت الجنة ؟! [1]

أخي في الله :

إن في الجنة فوق ما يخطر بالبال أويدور في الخيال، وإن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها، وكما قال ﷺ : " قَالَ اللهُ : أعددت لِعبادِي الصالِحِين ما لا عين رأت، ولا أذُنٌ سمِعت، ولا خطر على قلبِ بشرٍ فَاقْرءُوا إِنْ شِئْتم:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [2]

مــاذا عــن قصــور الجنة ؟

وعن طعامها ؟ وعن شرابها ؟ وعن أنهارها ؟

وعن ...

هذا ما سنحاول أن نعرفه في هذا اللقاء، إن يسر الله لنا ذلك وأعان.

1- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي- رحمه الله- في عقيدته التي جمعت جملةً من معتقد أهـل الـسنة والجماعة، والتي سماها بالعقيدة الطحاوية قال: والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبـداً، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق.... (انظر شرح العقيدة الطحاوية صـ ـ ـ ٣٥٢، طبعـة: دار الحديث، تحقيق: أحمد بن علي)

قلت: والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، من ذلك قوله تعالى عن الجنة: **(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)** وقوله تعالى عن النار: **(أُعِدَّتْ لِلْكَفِرِينَ)** .

وقد أنكرت المعتزلة والقدرية وجود الجنة والنار الآن، وقالوا: إن الله سينشئهما، وقد رد عليهم ابـن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية في كلامه عن هذا الجزء، وغيره .

2- البخاري (٣٠٠٥)، و مسلم (٥٠٥٠) .

أما قصور الجنة :

فعن سمرة بن جندب قال: قال ﷺ: «**أتاني أتيان فابتعثاني – أي: أيقظاني – فانتهيا** بي إلى **مدينة مبنية بلبنة ذهب ولبنة فضة**» [1]

أبـــواب الجنـة :

أبواب الجنة ثمانية كما قال ﷺ: "**فِي الْجنةِ ثَمانِيةُ أبوابٍ فِيها، باب يسمى الريانَ لَا يدخلُه إِلا الصائِمونَ** "[2] . وفي رواية مسلم:"**فِي الجَنةِ باب يقَـالُ لَـه الريانُ**" [3]

عن أَبِي هريرة ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**من أَنفَق زوجين فِي سبِيل اللهِ نودِي مِن أبوابِ الْجنةِ: يا عبد اللهِ هذَا خير، فَمن كَانَ مِن أهل الصلَاةِ دعِـي مِن بابِ الصلَاةِ، ومن كَانَ مِن أهل الْجِهادِ دعِي مِن بابِ الْجِهادِ، ومن كَانَ مِن أهل الصيامِ دعِي مِن بابِ الريان، ومن كَانَ مِن أهل الصدقَةِ دعِي مِـن بَـابِ الصدقَةَ**، قال أبو بكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أنت وأُمي يا رسولَ اللهِ ما علَى من دعِي مِن تِلْك الْأبوابِ مِن ضرورةٍ فَهلْ يدعى أحد مِن تِلْك الْأبوابِ كُلها؟ **قَالَ: نعم وأرجو أَنْ تكُونَ مِنهم**"[4]

1- البخاري (٣٠١٧) .

2- البخاري (٣٢٥٧) .

3 - مسلم (١٩٤٧) .

4- البخاري (١٧٦٤، ٢٦٢٩) ، ومسلم (١٧٠٥)

فأبواب الجنة ثمانية ، وصدق من قال :

أبوابهـــا حـــق ثمانيـــة أتـــت	بالنص وهـي لـصاحب الإحـسان
بـــاب الجهـــاد وذاك أعلاهـــا	وباب الصوم يدعى الباب بالريـــان
ولكـــل ســـعي صـــالح بـــاب	ورب السعي منهم داخـل بأمـــان
ولـسوف يـدعى المـرء مـــن	أبوابها جمعا إذا وافى حلـى الإيمـــان
منهم أبـو بكـر هـو الـصديق	ذاك خليفة المبعـوث بالقـــــرآن

قصور الجنة:

قال الله تعـالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الواقعة ٢٧: ٣٣].

(السدر) [1] هوشجر النبق بكسر الباء وسكونها، و(المخضود) هو الذي قد خـضر شوكه أي نزع وقطع فلا شوك فيه، والطلح هو شجر الموز،كما قال كـثير مـن المفسرين، و(ماء مسكوب)أي: جارٍ لا ينقطع.

1- ذكر الماوردي أن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكيـة، ولـذلك روى البخاري (٣٠١٣) عن أبي هريرةَ ﷺ أنه ﷺ قال: "**وفي الجنة شجرة يسير الراكب فـي ظلها مائة عام لا يقطعها، واقروا إن شئتم** ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾"

بعض القصور الخاصة في الجنة :

قصر خديجة: عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: أتى جِبرِيلُ النبِي ﷺ فَقَالَ: **يا رسولَ اللـهِ هذِهِ خدِيجةُ قَد أتتك معها إناءٌ فِيهِ إدام أو طعام أو شراب، فَإذَا هِي أتتك فَـاقْرأ علَيها السلام مِن ربها عز وجل ومِني، وبشرها بِبيتٍ فِي الْجنةِ مِن قَـصبٍ لَـا صخب فِيهِ ولَا نصب"** (١)

قصر عمر ﷺ :

عن جابِرِ بنِ عبدِاللهِ رضِي الله عنهما قَالَ: قَالَ النبِي ﷺ: **"رأيتني دخلْـت الْجنةَ، فَإذَا أنا بِالرميصاءِ امرأةِ أَبِي طَلْحةَ، وسمِعت خشفَةً فَقُلْت: مـن هـذَا فَقَالَ: هذَا بِلَالٌ. ورأيت قَصرا بِفِنائِهِ جارِيةٌ فَقُلْت لِمن هذَا؟ فَقَـالَ: لِعمـر. فَأردت أَنْ أدخله فَأنظُر إِلَيهِ فَذَكَرت غَيرتك.**فَقَالَ عمر: بِأَبِي وأُمي يا رسولَ اللهِ أعلَيك أَغَار" (٢)

أنهـــار الجنـــة :

لقد تكرر كثيرا في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى: ﴿تجـري مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (البقرة: ٢٥)، وفي مواضع أخرى يقـول تعـالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (يونس: ٩)

1- البخاري (٣٥٣٦) ومسلم (٤٤٦٠) ومعنى إدام: ما يؤكل مع الخبز من الطعام، فـاقرأ عليهـا السلام: بلغها، قصب: اللؤلؤ المجوف الواسع، صخب: اختلاط الأصوات وارتفاعهـا، نـصب: تعب.

2- البخاري (٣٤٠٣)، ومعنى خشفة: صوت وقع الأقدام .

وهذا يدل على ثلاثة أمور:

(١) وجود الأنهار حقيقة.
(٢)أنها جارية لا واقفة.
(٣) أنها تحت غرفهم وقصورهم.

وكما قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥]

فذكر سبحانه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن من طول المكث- أي تتغير رائحته، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها، وآفة العسل عدم تصفيته، وكل هذا منفي عنها في الجنة ليكمل استمتاع أهلها بها.

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها إلى أسفلها كما قال ﷺ : «**إن في الجنةِ مِائةَ درجةٍ أعدها اللهُ لِلْمجاهِدِين فِي سبِيلِ اللهِ، ما بين الدرجتين كما بين الـسماءِ والأرض، فَإِذَا سألتم الله فَاسألُوه الفِردوس؛ فَإنه أوسطُ الجنةِ وأعلى الجنـةِ، أراه فَوقَه عرش الرحمن ومِنه تفَجر أنهار الجنةِ** ـ قَالَ محمد بن فُلَيحٍ عن أَبِيهِ: **وفَوقَه عرش الرحمن** »[1]

وعن أنسٍ ﷺ قَالَ: بينا رسولُ اللهِ ﷺ ذَات يومٍ بين أَظْهرنـا إِذْ أَغْفَـى إِغْفَاءَةً ثُم رفَع رأْسه متبسما فَقُلْنا: ما أَضحكَك يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: « **أُنزِلَت علَي آنِفًا سورةٌ فَقَرأَ بِسمِ اللهِ الرحمن الـرحِيمِ:** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ

1- البخاري (٢٥٨١)، ووسط الجنة: أفضلها وأحسنها، فالوسط هو العدل والأفضل من كل شيء.

لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ **ثُم قَالَ: أتدرونَ مـا الكَـوثَر؟** قَقُلْنا: الله ورسولُه أعلَم **قَالَ: فَإنه نهر وعدنيهِ ربي عز وجل، عليهِ خير كَثِير، هو حوض ترِد عليهِ أُمتِي يوم الْقِيامةِ، آنِيته عدد النجومِ، فَيختلَج الْعبد مِنهم فَأَقُولُ: رب إِنه مِن أُمتِي فَيقُولُ: ما تدري ما أحدثَت بعدكَ** ـ زاد ابن حجرٍ فِي حدِيثِـه ـ بين أَظْهرنا فِي الْمسجِدِ وقَالَ: **ما أحدثَ بعدك »**[1]

درجات الجنة :

الجنة مائة درجة كما في الحديث قبل السابق، وهذا يدل على أنها في غايـة العلو والارتفاع والله أعلم .

وكان شيخ الإسلام يقول: وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك.

قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فيقال للقارىء: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قـراءة جميـع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءا منه كان رقيـه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. [2]

1- مسلم(٦٠٧)

2- ذكره المنذري في الترغيب والترهيب عند تعليقه على حديث " يقال لصاحب القـرآن اقـرأ ... " حديث رقم (٢١٩٩)، طبعة : دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

أبنيــة الجنــة:

قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٩٨]

فأخبر سبحانه بأنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقيا؛ لئلا تتـوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء

وكما قال ﷺ: **«إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفـة، طولها ستونَ ميلًا، للمؤمن فيها أهلونَ يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعـضهم بعضا»**(١)

طعام أهل الجنة :

قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:١٩، ٢٠]

وأما الفاكهة فكما قال تعالى في وصفها: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥]

قال ابن جرير- رحمه الله: (كلما رزقوا) من ثمرة من ثمار الجنة في الجنـة قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. (أي : يشبه ثمر الدنيا في اللـون أمـا في الطعم فشتان شتان) .

وقوله تعالى (وأتوا به متشابها) قال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا ويباينه في جل الصفات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء .

1- البخاري(٤٥٠١) ومسلم (٥٠٧١ - ٥٠٧١)

فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس اللبن كاللبن .

وقال تعالى: ﴿وفاكهة كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة] أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع من أرادها .

وكما في الصحيحين أنه قال ﷺ :**"إن أولَ زمرةٍ يدخلُونَ الجنةَ على صورةِ القَمرِ ليلةَ البدرِ ثُم الذِين يلُونهم على أشد كوكبٍ دري فِي السماءِ إضاءَةً لا يبولُونَ ولا يتغوطُونَ ولا يتفِلُونَ ولا يمتخِطُونَ، أمشاطُهم الذهب ورشحهم المِسك ومجامِرهم الألُوةُ الأنجوج عود الطيبِ، وأزواجهم الحور العِين، على خلق رجلٍ واحِدٍ على صورةِ أبِيهم آدم ستونَ ذِراعا فِي السماءِ"**[1]

شرابهم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥- ٦]

والكأس هنا هو كأس الخمر،قال ﷺ : **ومن شرب الخمر فِي الدنيا فمات وهو يدمِنها لم يتب لم يشربها فِي الآخِرةِ»**[2] ويضاف الكافور على الخمر ليبردها ويكسر حدتها.

(يشرب بها) أي عيناً يشرب منها، (يفجرونها تفجيرا) هذا دليل على أن هذه العين دائمة يفجرونها أنى شاؤوا وأنى أرادوا.

1- البخاري (٣٠٨٠) ومسلم(٥٠٦٣)، والرشح: العرق، والألوة: عود يتبخر به. والمجامر: المباخر، والأنجوج: العود الذي يتبخر به .

2- البخاري (٥١٤٧) ومسلم (٣٧٣٣)

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

[الإنسان:١٧، ١٨]

قال القرطبي (رحمه الله): (ويسقون فيها كأسا) وهي الخمـر في الإنـاء، (كان مزاجها زنجبيلا) كانت العرب تستلذ من الشراب بما يمـزج- أي يخلـط- بالزبيب لطيب رائحته ،فرغّبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب ،... (سلسبيلا)السلسبيل: الشراب اللذيذ.

وقال تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾[الإنسان:٢١]

قال على: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبدا، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾

[الزمر :٧] (١)

ثيابهم :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ **[الحج:٢٣]** (٢)

1- انظر تفسير القرطبي (١٠/١٢٣)، طبعة: دار الحديث .

2- السابق (٦/ ٣٤٩) .

قال القرطبي: قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الـدنيا الأسـاور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثـة أساور: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾أي: وجميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم وسـتورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

وعن أنسٍ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **« من لَبِس الْحرِيرفِي الـدنيا لَـم يلْبسه فِي الْآخِرةِ»**[1]

وعن أَبِي هريرة رضي الله عنه عنِ النبِي ﷺ قَالَ: **«من يدخلُ الْجنةَ ينعم لَا يبأس لَا تبلَى ثِيابه ولَا يفْنى شبابه»** [2]

وقال ﷺ: «**يدخلُ أَهلُ الْجنةِ الْجنةَ جردا مردا مكَحلِين، أَبناءَ ثَلَاثِين أَو ثَلَاثٍ وثَلَاثِين سنةً**»[3]

معنى جرداً أي: بدون شعر على أجسادهم، ومرداً: أي حليقوا اللحى[4]

1- البخاري (٥٣٨٥) ومسلم (٣٨٦٦)

2- مسلم (٥٠٦٨)

3- الترمذي (٢٤٦٨)

4- وليس هذا دليلاً على جواز حلق اللحية ، فكما هو معلوم، أن إعفاء اللحية واجب وحلقها حـرام، ويأثم من حلقها؛ لأن كل الأحاديث جاءت آمرةً بتركها، والأصل في الأمر الوجوب ما لم تـأت قرينة تصرف الوجوب إلى الاستحباب، وكذلك الأصل في النهي التحريم مـا لـم تـأت قرينـة تصرف التحريم إلى الكراهة.

آنيتهم:

قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِئَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦]

أي أوانيهم من الفضة وهي في صفاء االقوارير.

(قدروها تقديرا) أي : أتوا بها على قدر ريهم ،بغير زيادة ولا نقصان

وقالﷺ: « **لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الـذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة** » [1]

بناء الجنة وتربتها:

توجد على وجه هذه البسيطة أبنية فخمة وقـصور مـشيدة ومـساكن وغرف..لكنها مهما علا قدرها وجمالها، ومهما تطاول بنيانها وعلوها.. لا تشبه ما في الجنة من مساكن وبنايات إلا في الاسم فقط.

ففي الجنة من سحر المساكن وجمال القصور وتعالي الغرف وتلألؤ الخيام، ما تقر به العين وتسكن إليه النفس، وكيف لا وخيامها من لؤلؤ، وقـصورها مـن ذهب، وفيها من فاخر الأثاث وكواعب النساء وطيب الشراب ولذيذ الطعام مالا يخطر على بال؟!.

1- البخاري (٥٠٠٦) ومسلم (٣٨٥٠)

غرف الجنـــة :

وأما غرف الجنة فلا تسل عن قوة بنائها وإحكام أركانها وبهاء منظرها وتلألـؤ مظهرها. عن أَبِي سَعِيدٍ الْخدرِي ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**إِن أَهلَ الْجنةِ لَيتراءَونَ أَهلَ الْغرفِ مِن فَوقِهم، كَما تتراءَونَ الْكَوكَب الدري الْغابِر مِن الْأُفُقِ مِن الْمـشرق أَوِ الْمغربِ؛ لِتفَاضل ما بينهم قَالُوا:** يا رسولَ اللهِ تِلْك منازِلُ الْأَنبِياءِ لَا يبلُغها غَيرهم ؟ **قَالَ: بلَى والذِي نفْسِي بِيدِهِ رِجالٌ آمنوا بِاللهِ وصدقُوا الْمرسلِين**)) [1]

فتأمل أخي الكريم: في مكان هذه الغرف.. إنها كالكواكـب في علوهـا وتلألؤها.. وانسيابها في الفضاء، نعم إنها عالية شامخة.. أعدها الله للمـؤمنين لمـا استعلوا عن الكفر والفجور والفسق.. لما خضعوا لله في الدنيا بفعل الأوامر وتـرك النواهي، رفع الله قدرهم وأسكنهم في تلك الغرف المتعالية. واقرأ إن شئت قول الله جل وعلا: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾[الزمر:٢٠]

ألا يا عين ويحك أسعديـني
بغزر الدمع في ظلم الليـالي
لعلك في القيامة أن تفوزي
بخير الدار في تلك العـلالي

أدنى أهل الجنة منزلة :

عن عبدِاللهِ ﷺ قَالَ النبِي ﷺ:"**إِني لَأَعلَم آخِر أَهلِ النارِ خروجا مِنها وآخِر أَهلِ الْجنةِ دخولًا: رجلٌ يخرج مِن النارِ كَبوا فَيقُولُ اللهُ: اذْهب فَادخل الْجنةَ فَيأْتِيها فَيخيلُ إِلَيهِ أَنها ملْأَى فَيرجِع فَيقُولُ: يا رب وجدتها ملْأَى، فَيقُولُ: اذْهب**

1- مسلم (٥٠٥٩) .

فَادخل الْجنةَ، فَيأْتِيها فَيخيلُ إِلَيهِ أنها ملأى فَيرجِع فَيقُولُ: يا رب وجدتها ملأى. فَيقُولُ: اذْهب فَادخل الْجنةَ؛ فَإِن لَك مِثْلَ الدنيا وعشرةَ أمثَالِها أَوإِن لَك مِثْلَ عشرةِ أمثَال الدنيا، فَيقُولُ: تسخر مِني أو تضحك مِني وأنت الْملِك. فَلَقَد رأيت رسولَ اللهِ ﷺ ضحِك حتى بدت نواجِذُه وكَانَ يقُولُ: ذَاك أدنى أهل الْجنةِ منزِلَةً"(١)

الحور العين :

قد وعد الله أهل الجنة بالحور العين، والحور جمع حورية، وهي المرأة الحسناء الجميلة .

هذا للرجال فما للنساء ؟

قال العلماء: إذا أطاعت المرأة ربها وزوجها في الدنيا وأرادت أن تتزوج به في الجنة كان لها ذلك، ويرجعن في الجنة أبكاراً كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾[الواقعة:٣٥،٣٦]

إذا لم يتزوج الرجل في الدنيا أو لم تتزوج البنت في الدنيا أو مات الشاب أو الفتاة قبل سن الزواج. ماذا لهم في الجنة ؟

هذا الرجل الذي لم يتزوج في الدنيا قد يتزوج بامرأة لم تتزوج أيضاً في الدنيا أو يتزوج من الحور العين .

وقال العلماء: إن المرأة إذا أراد زوجها أن يتزوجها في الجنة، وكانت ممتثلة لأوامر الله في الدنيا، ومطيعة لزوجها فإنها تكون أجمل من الحور العين، والحور العين يكن عندها خوادم.

1- البخاري (٦٠٨٦) ومسلم (٢٧٢) .

ورحم الله من قال:

يا خاطب الحُور في **خدرها**	**وطالبا ذاك على قَدرهـا**
انهض بجد لا تكُن وانيـا	**وجاهد النفس على صبرها**
وقُم إذا الليلُ بدا وجهـه	**وصم نهارا فهو من مهرها**

لمن تـزف هذه الحور :

- **تزف لمن صام** في **يوم شديد الحر:**
- **جاء** في **كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي :**

قال الحسن: تقول الحوراء لولي الله، وهو متكىء معها على نهر العـسل تعاطيـه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف شديد حره، وأنت في ظمأ الهواجر فباهى بك الملائكة، و قال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته و شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي؛ رغبة فيما عندي اشهدوا أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجنيك .

- تزف للذين هم في صلاتهم خاشعون.
- تزف للذين هم عن اللغو معرضون.
- تزف للذين هم لفروجهم حافظون.
- تزف للذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش.
- تزف لأهل التوبة والاستغفار .
- تزف لمن أفشى السلام وأطعم الطعام ووصل الأرحام وصلى بالليل والناس نيام.

فيا خاطب الحسناء إن كنت باغيا فهذا أوان المهر فهو المقـ ـدم

وكن مبغضاً للخائنات لحبهـ ـا فتحظى بها من دونهن وتنعـم

وصم يومك الأدنى لعلك في غـد تفوز بعيد الفطر والناس صوم [1]

قصة مؤثرة لمن طلب الحور العين بصدق فنالها:

أورد ابن الجوزي في صفة الصفوة وابن النحاس في مشارع الأشواق عـن رجل من الصالحين اسمه أبو قدامة الشامي ، وكان رجلاً قد حبب إليـه الجهـاد والغزو في سبيل الله، فلا يسمع بغزوة في سبيل الله ولا بقتال بين المسلمين والكفار إلا وسارع وقاتل مع المسلمين فيه، فجلس مرة في الحرم المدني فسأله سائل فقال: يا أبا قدامة أنت رجل قد حبب إليك الجهاد والغزو في سبيل الله فحدثنا بأعجب مـا رأيت من أمر الجهاد والغزو

فقال أبو قدامة: إني محدثكم عن ذلك :

خرجت مرة مع أصحاب لي لقتال الصليبيين على بعض الثغور (والثغـور هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها) فمررت في طريقي بمدينة الرقة (مدينةٍ في العراق على نهر الفرات) واشتريت منـها جمـلاً أحمل عليه سلاحي، ووعظت الناس في مساجدها وحثثتهم على الجهاد والإنفاق في سبيل الله، فلما جن علي الليل اشتريت منزلاً أبيت فيه، فلما ذهب بعض الليل فإذا بالباب يطرق علي، فلما فتحت الباب فإذا بامرأة متحصنة قد تلفعت بجلبابها

1- زفاف في الجنة، تأليف: الشيخ : إبراهيم فتحي ، صـ ـ ٣٥، ٣٦، دار الكوثر

فقلت: ما تريدين ؟

قالت: أنت أبو قدامة ؟

قلت: نعم.

قالت: أنت الذي جمعت المال اليوم للثغور ؟

قلت: نعم، فدفعت إلي رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها: إنك دعوتنا إلى الجهاد ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما في وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك؛ لعل الله يرى شعري قيـد فرسك في سبيله فيغفر لي[1].

قال أبو قدامة: فعجبت والله من حرصها وبذلها، وشدة شوقها إلى المغفـرة والجنة.

فلما أصبحنا خرجت أنا وأصحابي من الرقة، فلما بلغنا حصن مسلمة بـن عبد الملك فإذا بفارس يصيح وراءنا وينادي يقول: يا أبا قدامة يا أبا قدامة، قـف علي يرحمك الله،

قال أبو قدامة: فقلت لأصحابي: تقدموا عني وأنا أنظر خبر هذا الفـارس، فلما رجعت إليه، بدأني بالكلام وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً.

فقلت له: ما تريد ؟

1- وهذا الفعل – أي تتصدق المرأة بشعرها – غير جائز، ولكن لعلها لم تكن تعلم ذلك، فإن حلـق المرأة لشعرها لا يجوز إلا بشروط بينها أهل العلم ليس هذا مجالها .

قال: أريد الخروج معكم للقتال .

فقلت له: أسفر عن وجهك أنظر إليك فإن كنت كبيراً يلزمك القتال قبلتك، وإن كنت صغيراً لا يلزمك الجهاد رددتك.

فقال: فكشف اللثام عن وجهه فإذا بوجه مثل القمر، وإذا هو غلام عمره سبع عشرة سنة.

فقلت له : يا بني عندك والد ؟

قال: أبي قد قتله الصليبيون، وأنا خارج أقاتل الذين قتلوا أبي.

قلت: أعندك والدة ؟

قال: نعم

قلت: ارجع إلى أمك فأحسن صحبتها؛ فإن الجنة تحت قدمها[1]

فقال: أما تعرف أمي ؟

قلت: لا

قال: أمي هي صاحبة الوديعة

قلت: أي وديعة ؟

1- حديث " الجنة تحت أقدام الأمهات " قال عنه الشيخ الألباني في الضعيفة (٥٩٣): "**الجنة تحت أقدام الأمهات، من شئن أدخلن، ومن شئن أخرجن " هكذا موضوع، ويغني عنه حديث معاوية بن جاهمة أنه جاء النبي فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: هل لك أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها؛ فإن الجنة تحت رجليها" رواه النسائي وغيره كالطبراني، وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأقره المنذري.**

وأما لفظ: " الجنة تحت أقدام الأمهات" فهو ضعيف. انظر ضعيف الجامع (٢٦٦٦).

قال: هي صاحبة الشكال

قلت: أي شكال ؟

قال: سبحان الله ما أسرع ما نسيت ! أما تذكر المرأة التي أتتك البارحـة وأعطتك الكيس والشكال ؟

قلت : بلى.

قال : هي أمي، أمرتني أن أخرج إلى الجهاد، وأقسمت علي أن لا أرجـع، وإنها قالت لي: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك لله واطلـب مجاورة الله، ومساكنة أبيك وأخوالك في الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع في.. ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت بصرها إلى السماء ، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانةُ قلبي، وثمرةُ فؤادي، سلمته إليك فقربه من أبيه وأخواله..

ثم قال: سألتك بالله ألا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، أنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، فإني حافظ لكتاب الله، عارف بالفروسية والرمي، فلا تحقرني لصغر سني..

قال أبو قدامة: فلما سمعت ذلك منه أخذته معنا، فوالله ما رأينا أنشط منه، إن ركبنا فهو أسرعنا، وإن نزلنا فهو أنشطنا، وهو في كل أحواله لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى أبداً.

فنزلنا منزلاً..وكنا صائمين وأردنا أن نصنع فطورنا..فأقسم الغـلام أن لا يصنع الفطور إلا هو..فأبينا وأبى..فذهب يصنع الفطور..وأبطأ علينا..فـإذا أحـد أصحابي يقول لي يا أبا قدامة اذهب وانظر ما أمر صاحبك..

فلما ذهبت فإذا الغلام قد أشعل النار بالحطب ووضع من فوقها القـدر..ثم غلبه التعب والنوم ووضع رأسه على حجر ثم نام..

فكرهت أن أوقظه من منامه..وكرهت أن أرجـع إلى أصـحابي خـالي اليدين..فقمت بصنع الفطور بنفسي، وكان الغلام على مرأى مني..

فبينما هو نائم لاحظته بدأ يتبسم .. ثم اشتد تبسمه فتعجبت ثم بدأ يضحك ثم اشتد ضحكه ثم استيقظ.. فلما رآني فزع الغلام وقال: ياعمي أبطأت علـيكم دعني أصنع الطعام عنك..أنا خادمكم في الجهاد.

فقال أبو قدامة: لا والله لست بصانع لنا شيئاً حتى تخبرني مـا رأيـت في منامك وجعلك تضحك وتتبسم .

فقال: يا عمي هذه رؤيا رأيتها..

فقلت: أقسمت عليك أن تخبرني بها .

فقال: دعها.. بيني وبين الله تعالى

فقلت: أقسمت عليك أن تخبرني بها

قال: رأيت ياعمي في منامي أني دخلت إلى الجنة فهي بحسنها وجمالها كما أخبر الله في كتابه..فبينما أنا أمشي فيها وأنا بعجب شديد من حسنها وجمالها..إذ رأيت قصراً يتلألأ أنواراً، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإذا شـرفاته مـن الـدر والياقوت والجوهر، وأبوابه من ذهب، وإذا ستور مرخية على شرفاته، وإذا بجـوارٍ يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار ..فلما رأيت حسنهن أخـذت أنظـر إلـيهن وأتعجب من حسنهن فإذا بجارية كأحسن ما أنت راءٍ من الجواري وإذ بها تـشير إلي وتحدث صاحبتها وتقول: هذا زوج المرضية هذا زوج المرضية..فقلت لها أنـتِ المرضية ؟

فقالت : أنا خادمة من خـدم المرضـية..تريـد المرضـية ؟ ادخـل إلى القصر..تقدم يرحمك الله فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنـه الشمس، لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية ..

فلما رأتني الجارية قالت: مرحباً بولي الله وحبيبه .. أنا لك وأنت لي .. فلما سمعت كلامها اقتربت منها وكدت ان أضع يدي عليها قالت : يا خليلي يا حبيبي أبعد الله عنك الخناء قد بقي لك في الحياة شيء وموعدنا معك غدا بعـد صـلاة الظهر.. فتبسمت من ذلك وفرحت منه يا عم.

فقلت له: رأيت خيرا إن شاء الله.

ثم إننا أكلنا فطورنا ومضينا الى أصحابنا المـرابطين في الثغـور ثم حـضر عدونا..وصف الجيوش قائدنا..

وبينما أنا أتأمل في الناس..فإذ كل منهم يجمع حوله أقاربه وإخوانـه..إلا الغلام..فبحثت عنه فوجدته في مقدمة الصفوف..فذهبت إليه وقلت: يا بني هـل أنت خبير بأمور الجهاد؟ قال: لا يا عم هذه والله أول معركة لي مع الكفار.

فقلت: يا بني إن الأمر خلاف ما في بالك، إن الأمر قتال ودماء..فيا بـني كن في آخر الجيش فان انتصرنا فأنت معنا من المنتصرين وإن هزمنا لم تكـن أول القتلى..

فقال متعجبا: أنت تقول لي ذلك؟!

قلت: نعم أنا أقول لك ذلك .

قال: يا عم أتود أن أكون من أهل النار؟

قلت: أعوذ بالله.. لا والله .. والله ما جئنا إلى الجهاد إلا خوفًا منها..

فقال الغلام: فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾ (الأنفال ١٥-١٦)

هل تريدني أوليهم الأدبار فأكون من أهل النار؟!

فعجبت والله من حرصه وتمسكه بالآيات فقلت له: يا بني إن الآية مخرجها على غير كلامك..فأبى أن يرجع فأخذت بيده أُرجعه إلى آخر الصفوف وأخذ يسحب يده عني فبدأت الحرب وحالت بيني وبينه..

فجالت الأبطال، ورميت النبال، وجردت السيوف، وتكسرت الجماجم، وتطايرت الأيدي والأرجل .. واشتد علينا القتال حتى اشتغل كلٌ بنفسه ،

وقال كل خليل كنت آمله .. لا ألهينك إني عنك مشغول..

حتى دخل وقت صلاة الظهر فهزم الله جل وعلا الصليبين...فلما انتصرنا جمعت أصحابي وصلينا الظهر، وبعد ذلك ذهب كل منا يبحث عن أهله وأصحابه..إلا الغلام فليس هنالك من يسأل عنه فذهبت أبحث عنه..فبينما أنا اتفقده وإذا بصوت يقول: أيها الناس ابعثوا إلي عمي أبي قُدامة ابعثوا إلي عمي أبي قدامة.. فالتفت إلى مصدر الصوت فإذا الجسد جسد الغلام ..وإذا الرماح قد تسابقت إليه، والخيلُ قد وطئت عليه فمزقت اللحمان، وأدمت اللسان وفرقت الأعضاء، وكسرت العظام .. وإذا هو يتيم ملقى في الصحراء .

قال أبو قدامة: فأقبلت إليه، وانطرحت بين يديه، وصرخت : ها أنا أبـو قدامة .. ها أنا أبو قدامة ..

فقال: الحمد لله الذي أحياني إلى أن أوصي إليك، فاسمع وصيتي. قال أبـو قدامة: فبكيت والله على محاسنه وجماله، ورحمةً بأمه التي فجعت عـام أول بأبيـه وأخواله وتفجع الآن به، أخذت طرف ثوبي أمسح الدم عن وجهه.

فقال: تمسح الدم عن وجهي بثوبك !! بل امسح الدم بثـوبي لا بثوبـك، فثوبي أحق بالوسخ من ثوبك ..

قال أبو قدامة: فبكيت والله ولم أحر جواباً ..

فقال: يا عم، أقسمت عليك إذا أنا مت أن ترجع إلى الرقة، ثم تبشر أمـي بأن الله قد تقبل هديتها إليه، وأن ولدها قد قُتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر، وأن الله إن كتبني في الشهداء فإني سأوصل سلامها إلى أبي وأخوالي في الجنة ، ..

ثم قال: يا عم إني أخاف ألا تصدق أمي كلامك فخذ معك بعض ثيابي التي فيها الدم، فإن أمي إذا رأتها صدقت أني مقتول، وقل لها إن الموعد الجنة إن شاء الله ..

يا عم: إنك إذا أتيت إلى بيتنا ستجد أختاً لي صغيرة عمرها تسع سنوات .. ما دخلت المنزل إلا استبشرت وفرحت ، ولا خرجت إلا بكت وحزنت ، وقـد فجعت بمقتل أبي عام أول وتفجع بمقتلي اليوم، وإنها قالت لي عنـدما رأت علـي ثياب السفر: يا أخي لا تبطئ علينا وعجل الرجوع إلينا، فإذا رأيتها فطيب صدرها بكلمات ..وقل لها: يقول لك أخوكِ : الله خليفتي عليكِ.. ثم تحامل الغلام علـى

نفسه وقال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة ، والله إني لأرى المرضية الآن عند رأسي وأشم ريحها ..ثم انتفض وتصبب عرقه وشهق شهقات، ثم مات.

قال أبو قدامة: فأخذت بعض ثيابه فلما دفناه لم يكن عندي هم أعظم من أن أرجع إلى الرقة وأبلغَ رسالته لأمه ..

فرجعت إلى الرقة وأنا لا أدري ما اسم أمه وأين تسكن..فبينما أنا أمشي وقفت عند منزل تقف على بابه فتاة صغيرة ما يمر أحد من عند بابهم وعليه أثر السفر إلا سألته يا عمي من أين أتيت فيقول: من الجهاد فتقول له: معكم أخي؟..

فيقول: ما أدري من أخوك ويمضي..وتكرر ذلك مرارا مع المارة ويتكرر معها نفس الرد..فبكت أخيرا وقالت: ما لي أرى الناس يرجعون وأخي لا يرجع..

فلما رأيت حالها أقبلت عليها..فرأت علي أثر السفر فقالت يا عم من أين أتيت قلت من الجهاد فقالت معكم أخي فقلت أين هي أمك؟

قالت: في الداخل ودخلت تناديها..فلما أتت الأم وسمعت صوتي عرفتني وقالت: يا أبا قدامة أقبلت معزيا أم مبشرا؟

فقلت: كيف أكون معزيا ومبشرا؟

فقالت: إن كنت أقبلت تخبرني أن ولدي قُتل في سبيل الله مقبلا غير مدبر فأنت تبشرني بأن الله قد قبل هديتي التي أعددتها من سبعة عشر عاما. وإن كنت قد أقبلت كي تخبرني أن ابني رجع سالمًا معه الغنيمة فإنك تعزيني؛ لأن الله لم يقبل هديتي إليه..

فقلت لها: بل أنا والله مبشر إن ولدك قد قتل مقبلا غير مدبر..فقالت: مـا أظنك صادقًا وهي تنظر إلى الكيس ثم فتحت الكيس وإذ بالدماء تغطي الملابـس ، فقلت لها: أليست هذه ثيابه التي ألبستيه إياها بيدك؟

فقالت: الله ! أكبر وفرحت.. أما الصغيرة شهقت ثم وقعت علـى الأرض ففزعت أمها ودخلت تحضر لها ماءً تسكبها على وجهها.. أما أنا فجلست أقـرأ القرآن عند رأسها..و والله مازالت تشهق وتنادي باسم أبيها وأخيها..

وما غادرتها إلا ميتة..

فأخذتها أمها وأدخلتها وأغلقت الباب وسمعتها تقول: اللهم إني قد قـدمت زوجي وإخواني وولدي في سبيلك اللهم أسألك أن ترضى عني وتجمعني وإياهم في جنتك[1]

سوق الجنة :

إن في الجنة سوقاً فيها ككثبان المسك، يأتونها كل جمعة، فإذا خرجوا إليها هبت الريح فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالاً .فعن أنس بن مالِكٍ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:"**إن في الجنةِ لسوقًا يأتونها كُل جمعةٍ فتهـب ريـح الشمال فتحثُو في وجوهِهم وثيابِهم فيزدادونَ حسنا وجمالًا، فيرجِعـونَ إلـى أهلِيهم وقَدِ ازدادوا حسنا وجمالًا فيقُولُ لهم أهلُوهم: واللهِ لقَدِ ازددتم بعـدنا حسنا وجمالًا فيقُولُونَ: وأنتم واللهِ لقَدِ ازددتم بعدنا حسنا وجمالًا**" [2]

1- انظر زفاف في الجنة لإبراهيم فتحي صـ ـ : ٥٥ : ٧٢

2- مسلم (٥٠٦١)

وروى ابن المبارك عن أنس –رضي الله عنه- أنه قال: يقول أهـل الجنـة: انطلقوا إلى السوق، فينطلقون إلى كثبان المسك، فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنا لنجد لكن ريحاً ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا"[1]

أول من يدخلون الجنة:

جاء في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: **" أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، ورجل عفيف فقير وذو عيال، وعبد أحسن عبـادة الله وأدى حق مواليه"** [2]

غمسة واحدة في الجنة تنسي المؤمن بؤس الدنيا:

عن أنسِ بنِ مالِكٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"يؤتى يوم القِيامةِ بأنعمِ أهل الدنيا مِن الكُفارِ فيقالُ: اغْمِسوه في النارِ غَمسةً فيغمس فيها ثُم يقالُ له: أي فُلانُ هلْ أصابك نعيم قط؟ فيقُولُ: لا ما أصابني نعيم قط، ويؤتى بأشد المؤمنين ضـرا وبلاءً فيقالُ: اغْمِسوه غَمسةً في الجنةِ فيغمس فيها غَمسةً، فيقالُ له: أي فُلانُ هلْ أصابك ضر قط أو بلاءٌ فيقُولُ: ما أصابني قط ضر ولا بلاءٌ "** [3]

تزاورُ أهل الجنة فيما بينهم:

إن أهل الجنة يتزاورون فيما بينهم، ويتذاكرون ما كان بينـهم في الـدنيا ويتحدثون، ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوالٍ كانت لهم في الدنيا، حتى تصل بهـم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائلٌ منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكـر البعـث

1- الزهد لابن المبارك .

2- شعب الإيمان (٣٣٣٤) وأبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٧٧)، وضعفه الشيخ الألباني فـي ضعيف الجامع الصغير (٣٧٠٢) .

3- ابن ماجه (٤٣١٢) وصححه السيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٢١) .

والدار الآخرة، ثم يقول لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر إلى منزلته وما صار إليه؟

فيطّلع فإذا بقرينه في وسط الجحيم قـال تعـالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[الصافات:٥٠- ٦١]

النظر إلى وجه الله الكريم:

وهذا هو أعظم نعيم أهل الجنة،كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة٢٢، ٢٣]

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٥]

فقد فسر النبي ﷺ الحسنى بالجنة ، والزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى (رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحا من حديث أبي موسى الأشعري وأبي بن كعـب ، ورواه بن جرير من حديث كعب بن عجرة) (أخرج أحاديثهم الطبري في تفـسيره للآية الكريمة من سورة يونس) (٥٤٩/٦-٥٥٢)

وعن صهيب بن سنان رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث قال فيـه : فيكـشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب أليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآيـة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) **[مسلم ١٨١]**

وأخرج الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ تلا هـذِهِ الْآيـةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقَالَ: **"إذَا دخلَ أهلُ الْجنةِ الْجنةَ، وأهلُ النارِ النـار، نادى منادٍ: يا أهلَ الْجنةِ إن لكُم عِند اللهِ موعِدا يريد أنْ ينجِزكُموه. فَيقُولُونَ: وما هو ألم يثَقلْ موازِينَنا ويبيض وجوهنا ويدخِلْنا الْجنةَ ويجِرنا مِن النارِ؟! قَالَ: فَيكْشف لَهم الْحِجاب، فَينظُرونَ إِلَيهِ قَالَ: فَواللهِ ما أعطَاهم شيئًا أحب إِلَـيهِم مِن النظرِ إِلَيهِ ولَا أقَر بِأعيِنهِم"** (١)

الفقراء يدخلون قبل الأغنياء:

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ الْعاصِ – رضي الله عنهما- قال: إِني سـمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «**إِن فُقَراءَ الْمهاجِرِين يسبِقُونَ الْأَغْنِياءَ يوم الْقِيامـةِ إِلَـى الْجنةِ بِأربعِين خرِيفًا**»(٢) وفي رواية : «**فقراء أمتي** »

وعند الترمذي عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللهم أحيِني مِسكِينا، وأَمِتنِي مِسكِينا، واحشرني فِي زمرةِ الْمساكِين يوم الْقِيامةِ،** فَقَالَت عائِشةُ: لِم يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: **إِنهم يدخلُونَ الْجنةَ قَبلَ أَغْنِيائِهم بِأربعِين خرِيفًا، يا عائِشةُ لَـا تردي الْمِسكِين ولَو بِشِق تمرةٍ، يا عائِشةُ أَحِبي الْمساكِين وقَربيهم؛ فَإِن اللـه يقَربكِ يوم الْقِيامةِ**»(٣)

قال ابن القيم معلقاً على الحديث:

1- أحمد (١٨١٧٧) والترمذي (٣٠٣٠) والحديث أصله عند مسلم في كتاب الإيمان .

2- مسلم (٥٢٩١).

3- الترمذي (٢٢٧٥) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيـب (٣١٩٢) وقـال : حسن لغيره .

ولكن هاهنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سـبقهم لهـم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والمعروف كان أعلـى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول.[1]

الطريق إلى الجنة :

واعلم يا عبد الله. أن الجنة لا تنال بالعمل.. وإنما هي فضل من الله ورحمة قال رسول اللهﷺ :"**لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة**" [2]

وأما قول الله جل وعلا: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٧] فإن الباء في قوله (بما كانوا يعملون) سببية. أي بـسبب أعمالهم فالله سبحانه جعل أعمالهم سبباً لفضله ورحمته؛ حيث أدخلهم جنته.

ويكون التفاضل في الجنة بالأعمال.

فإذا عرفت -أخي الكريم- أن الجنة هي محض فضل الله ورحمته، وأن رحمته وفضله إنما ينالان بفعل ما يرضاه ويريده .

فبادر إلى خير الأعمال وصالح الأفعال. واحفظ الله، واسلك سبيله القـويم يفض عليك من الرحمات ما يدخلك به أعالي الجنات في تلك الغرفات.

1- حادي الأرواح (٢٤٠، ٢٤١) .

2- مسلم (٥٠٤٣) .

فاسلك سبيل المتقيـن وظن خيراً بالكريـم

واذكر وقوفك خائفاً والناس في أمر عظيـم

إما إلى دار الشقـا وة أوإلى العز المقيـم

فاغنم حياتك واجتهد وتب إلى الرب الرحيم

وأما طريق الجنة: فهو كل ما يقربك من الله سبحانه من القربات والطاعات، فقد ذكر الله جل وعلا طاعات وعبادات في كتابه العزيز جازى عليها بالجنة من عمـل بها مخلصاً فمن ذلك :

(١) الإيمان والعمل الصالح :

فقد ذكر الله سبحانه في سورة العصر أن الإنسان خاسر إلا من آمن وعمل صالحاً فقال سـبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر]

وقال سـبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] ونظـير هذا في القرآن كثير.

وذلك لأن الإيمان يوجب معرفة الله وخشيته ومراقبته وتـوقيره ومتابعـة رسول الله، والعمل الصالح يوجب فعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه من كبـائر الإثم والفواحش.

(٢) الصلاة: [١]

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت ٤٥] فالصلاة ناهية عن الإثم والمنكر الموجب للحرمان من الجنة. وهي الماحية للذنوب والخطايا كما قال رسول الله ﷺ :"**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: **فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**" [٢]

(٣) أداء النوافل:

فهي تقرب إلى الله بعد الفرائض، **وتكسبك -أخي الكريم- حلة الولاية لله سبحانه لأنها موجبة لحبه وحفظه، وهي علامة حبك لله وطاعتك وإخلاصك.**

قال رسول الله ﷺ: "**ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة؛ تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة -أو- إلا بنى له بيت في الجنة**" [٣]

فدونك فاصنع ما تحب فإنما غداً تحصد الزرع الذي أنت زارع

(٤) بر الوالدين [٤]: قال رسول الله ﷺ :"**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أو أحدهما، أو كليهما فلم يدخل الجنة**" [٥]

1- ارجع إلى خطبة الصلاة الصلاة، من هذا الكتاب

2- البخاري (٤٩٧) ، ومسلم (١٠٧١) .

3- مسلم (١٢٣٥)

4- ارجع إلى خطبة: مأساة العقوق من هذا الكتاب .

5- مسلم (٦٦٧٤) .

إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة التي حث عليها القرآن والسنة .

أبيات في وصف الجنة :

اعمل لدار غد رضوان خازنهـ ـا والجار أحمد والرحمن ناشيـها

أنهارها لبن **مصفى ومن عسـ ـل والخمر** يجري **رحيقا** في مجاريها

والطير تجري **على الأغصان عاكفة تسبح الله جهرا** في **مغانيهـ ـا**

فمن يشتري الفردوس يعمرهـ ـا بركعة في **ظلام الليل** يحييـ ـها

وقال آخر :

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفـ ـان

دار السـلام ومنزل المأوى ومنزل عسكرالإيمان والقرآن

وقال آخر:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالـك في **الألف إلا واحد لا اثنان**

يا سلعة الرحمن ماذا كفؤهـا إلا أولوا التقوى مع الإيمان

يا سلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان

يا سلعة الرحمن كيف تصبـر الخطاب عنك وهم ذو إيمان

تالله لـو شاقتك جنات النعيم طلبتهـا بنفائـس الأثمان

الخطبة الثانية: هل رأيت النار ؟! [1]

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره [2] ، ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١] [3].

1- راجع الهامش رقم (١) في خطبة: هل رأيت الجنة .

2- زاد بعض الناس– هداهم الله وإيانا طريق الحق والصواب- كلمة: ((ونستهديه)) ولم ترد ضـمن ألفاظ الحديث.

3- هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يبدأ بها، ويجوز البدء بغيرها، ولكن هذه الأفضل. وقد صححها الشيخ الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ (١٣/١)، طبعة: مكتبة المعارف، الرياض.

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمدٍ وشر الأمورِ محدثاتها، وكُل محدثةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالةٌ، وكُل ضلالةٍ فِي النارِ" [1]

إن النار حرها شديد، وقعرها بعيد ومقامع أهلها حديد، يقذف فيها كل جبار عنيد، وهي تنادي هل من مزيد ؟!هل من مزيد ؟!

وقد حذر النبي ﷺ أمته من النار فعن عدي بن حـاتم رضي الله عنه أنـه ﷺ قـال: «ليتقَين أحدكُم بين يدي اللهِ، ليس بينه وبينه حِجاب ولا ترجمانٌ يترجِم له، ثُم ليقُولن له: ألم أوتك مالًا؟ فليقُولن: بلى. ثُم ليقُولن: ألم أرسِلْ إليـك رسـولًا فليقُولن: بلى. فينظُر عن يمِينِهِ فلا يرى إلا النار، ثُم ينظُر عن شِمالِهِ فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكُم النار، ولو بِشِق تمرةٍ، فإنْ لم يجِد فبِكلِمةٍ طيبةٍ" [2]

عمق جهنم :

جاء في سنن الترمذي أنه ﷺ قَالَ: **«إن الصخرةَ العظِيمةَ لتلْقى مِن شـفِيرِ جهنم فتهوي فِيها سبعِين عاما، وما تفْضِي إلى قرارِها »** [3]

1- النسائي (١٥٦٠): عن جابِرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ كان رسولُ اللهِ ﷺ يقُولُ فِي خُطْبتِهِ يحمد اللـه ويثْنِي علَيهِ بِما هو أَهلُه، ثُم يقُولُ: من يهدِهِ الله فلا مضِل لَه، ومن يضلِلْه فلا هادِي لَه، إِن أَصدقَ الْحدِيثِ كِتَاب اللهِ وأَحسن الْهدي هدي محمدٍ وشَر الْأُمور محدثَاتُها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ" .

والحديث أصله عند مسلم (١٤٣٥) بلفظ:" أما بعد فَإِن خَير الْحدِيثِ كِتَاب اللهِ، وخَير الْهدى هدى محمدٍ، وشَر الْأُمور محدثَاتُها، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ"

وفي رواية: "من يهدِهِ الله فلا مضِل لَه، ومن يضلِلْ فلا هادِي لَه، وخَير الْحدِيثِ كِتَاب اللهِ ".

وهو عند أبي داود(٣٩٩١) وابن ماجه(٤٤) وأحمد (٣٨١٥) وغيرهم.

2- البخاري (١٣٢٤) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه

3- الترمذي (٢٤٩٨) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦١٢)، ومعنـى الـشفير: الحافة والجانب، والمقامع: سياط من حديد روؤسها معوجة .

قَالَ الترمذي: وكَانَ عُمرُ ﷺ يقُولُ: أَكْثِرُوا ذِكْر النارِ؛ فَإِن حرها شدِيد، وإِن قَعرها بعِيد، وإِن مقَامِعها حدِيد"

وجاء عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: كُنا مع رسُول اللهِ ﷺ إِذْ سمِع وجبةً فَقَالَ النبِي ﷺ: **« تدرونَ ما هذَا؟"** قَالَ: قُلْنا: اللهُ ورسُولُه أَعلَمُ قَالَ: "**هذَا حجر رمِي بِهِ فِي النارِ منذُ سبعِين خرِيفًا، فَهو يهوِي فِي النارِ الْآنَ حتى انتهى إِلَى قَعرِها»** (1)

طعام أهل النار:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية:٦، ٧]

الضريع: نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخباثته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾

[المزمل ١٣، ١٤]

عن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال في قوله تعالى:﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يقف في الحلق فلا يدخل ولا يخرج.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝٥٥ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝٥٦﴾

[الواقعة٥٢:٥٥] والهيم هي الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

وقد وصف الله شجرة الزقوم فقال فيها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝٤٦﴾[الدخان٤٣:٤٦]

1- مسلم (٥٠٧٨) .والوجبة هو صوت سقوط الشيء من مكان عالٍ، والخريف هو العام .

قال القرطبي: وشجرة الزقوم التي خلقها الله في جهنم وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجأوا إليها، فأكلوا منها فغليت في بطونهم كما يغلي الماء الحار ، وشبه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل، وهو النحاس المذاب[1] .

والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يذاب بذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم قال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾[الحج:٢٠]

وقال تعالى عنهم: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[الحاقة:٣٦]

قال ابن عباس: الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم ، كيف نجمع بين هذه الآيات ؟ حيث بين الله تعالى أن طعامهم ، وبين أنه الغسلين وبين أنه الحميم ، وبين أنه الضريع.

الجواب: التوفيق بين الأنواع السابقة من أنواع طعام أهل النار:

أن يكون طعامهم جميع ذلك، أو أن العذاب أنواع والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار، ولكل منهم جزء مقسوم .

شرابهم :

قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾[إبراهيم:١٦،١٧]

1- القرطبي(٦/٦٠) .

قال القرطبي: قيل: هو ما يسيل من أجسام أهل النارمن القيح ومن الـدم، ومعنى (يتجرعه) أي: يتحساه جُرعاً لا مرة واحدة؛ لمرارته وحرارته، و(ولا يكـاد يسيغه) أي يبتلعه، ومعناه: يسيغه بعد إبطاء [1].

ملابسهـــــم:

قال تعـالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾[إبراهيم:٤٩،٥٠]

(مقرنين في الأصفاد) أي: مشدودين في الأغلال والقيود.

(سرابيلهم) أي: قمصهم، (من قطران) أي: قطران الإبل، وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم ، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فهي مع نتن رائحة ووحشة لونه.

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾[الحج:١٩]

أسرة أهل النار:

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

[الأعراف:٤١]

أي فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار.

وقال تعالى:﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر :١٦]

وقـال تعـالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾
[المرسلات: ٣٠،٣١]

1- السابق (٥/ ٣١٨) .

ومعنى (ذي ثلاث شعب) أي الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب إلى ثـلاث شعب وكذلك شأن الدخان العظيم، فهم يأتون ليستظلوا به من شدة النـار فـلا يغنيهم بل يزيدهم لهباً .

سلاسل جهنم :

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ [الإنسان :٤]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ [الحاقة :٣٢]

غلظ أجسام أهل النار وقبح مناظرهم:

قـال تعـالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾[المؤمنون:١٠٣،١٠٤]

اللفح: هو الإحراق الشديد.

و**الكلوح:** هو أن تتقلص الشفتان، وتتكشف الأسنان؛ لأن النار قد أحرقت الشفتين، كما تشاهد رأس الشاة المذبوحة بعد شويها .

عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ضِرس الْكَافِرِ أو ناب الْكَافِرِ مِثْلُ أُحدٍ، وغِلَظُ جِلْدِهِ مسِيرةُ ثَلَاثٍ**"[1].

أول من يدخلون النار:

جاء في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: "**أول ثلاثـة يدخلون النار: أمير متسلط، وذو ثروة لا يؤدي حقه، وفقير فخور**" [1]

1- مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٥٠٩٠)

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللهﷺ قال: ((**إن أولَ الناس يقْـضى يـوم الْقِيامةِ عليهِ رجلٌ استشهد، فَأُتي بِهِ فَعرفَه نِعمه فَعرفَها قَالَ: فَما عمِلْت فِيها؟ قَالَ: قَاتلْت فِيك حتى استشهدت. قَالَ: كَذَبت ولَكِنك قَاتلْت لِأَنْ يقَالَ جرِيءٌ فَقَد قِيلَ، ثُم أُمِر بِهِ فَسحِب علَى وجهِهِ حتى أُلْقِي فِي النار.**

ورجلٌ تعلم الْعِلْم وعلمه، وقَرأ الْقُرآنَ، فَأُتي بِهِ فَعرفَه نِعمه فَعرفَها قَالَ: فَما عمِلْت فِيها؟ قَالَ: تعلمت الْعِلْم وعلمته، وقَرأت فِيك الْقُرآنَ قَالَ: كَذَبت، ولَكِنك تعلمت الْعِلْم؛ لِيقَالَ عالِم وقَرأت الْقُرآنَ لِيقَالَ هو قَارِئ، فَقَد قِيلَ ثُـم أُمِر بِهِ فَسحِب علَى وجهِهِ حتى أُلْقِي فِي النار.

ورجلٌ وسع الله عليهِ وأعطَاه مِن أصنافِ الْمال كُلِهِ فَأُتي بِهِ فَعرفَه نِعمه فَعرفَها قَالَ: فَما عمِلْت فِيها قَالَ: ما تركْت مِن سبِيلٍ تحِب أَنْ ينفَق فِيها إِلَـا أَنفَقْت فِيها لَك. قَالَ: كَذَبت ولَكِنك فَعلْت؛ لِيقَالَ هو جواد. فَقَد قِيلَ، ثُم أُمِر بِهِ فَسحِب علَى وجهِهِ ثُم أُلْقِي فِي النار)) [٢]

الجمع بين الحديثين السابقين:

و قد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثـة- في الحـديث الأخير- أول من تسعر بهم، وهذا أخص من دخولها؛ فإن تسعيرها يقتضي تلهبها وإيقادها، وهذا قدر زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة؛ لأن الرياء هو الشرك الأصغر، و الذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

1- شعب الإيمان (٣٣٤) وأبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٧٧) ، وضعفه الشيخ الألباني فـي ضعيف الجامع الصغير (٣٧٠٢) .

2- مسلم (٣٥٢٧) .

تفاوت درجات العذاب:

عن سمُرةَ بنِ جُندبٍ ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ: **"مِنهم من تأخذُه النارِ إلـى كعبيهِ، ومِنهم من تأخذُه النارِ إلى ركْبتيهِ، ومِنهم من تأخذُه النارِ إلى حجزتـهِ، ومِنهم من تأخذُه النارِ إلى ترقُوتِهِ "**[1].

غمسة في النار تنسي نعيم الدنيا :

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٦]

عن أنسِ بنِ مالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **"يؤتى بِأنعمِ أهل الـدنيا مِن أهل النارِ يوم الْقِيامةِ فَيصبغُ فِي النارِ صبغةً، ثُم يقَالُ: يا ابن آدم هلْ رأيت خيرا قَط هلْ مرِ بك نعِيم قَط؟ فَيقُولُ: لَا واللهِ يا رب، ويؤتى بِأشد الناسِ بؤسا فِي الدنيا مِن أهل الْجنةِ فَيصبغُ صبغةً فِي الْجنةِ. فَيقَالُ لَه: يا ابن آدم هلْ رأيت بؤسا قَط هلْ مرِ بك شِدةٌ قَط؟ فَيقُولُ: لَا واللهِ يا رب ما مرِ بي بؤس قَط ولَـا رأيت شِدةً قَط"** [2]

بكاء أهل النار وصراخهم:

قال تعالى عنـهم: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[فاطر:٣٧]

1- مسلم (٥٠٨٠)

2- مسلم في صفة القيامة والجنة (٥٠٢١) .

وعند الحاكم أنه ﷺ قال: "إن أهل النار ليبكون، حتى لو أجريت السفن في **دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم يعني مكان الدمع"** [1]

كلام النار يوم القيامة :

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠]

وعن أَبِي سعِيدٍ الْخُدرِي رضي الله عنه أن رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"افْتخـرتِ الْجنـةُ والنار، فَقَالَتِ النار: يا رب يدخلُنِي الْجبابِرةُ والْمتكبرونَ والْملُوك والْأشراف، وقَالَتِ الْجنةُ: أي رب يدخلُنِي الضعفَاءُ والْفُقَراءُ والْمساكِين. فَيقُولُ الله تبارك وتعالَى لِلنارِ: أنتِ عذَابِي أُصِيب بِكِ من أشاءُ، وقَالَ لِلْجنـةِ: أنـتِ رحمتِـي وسِعت كُل شيءٍ ولكُل واحِدةٍ مِنكُما مِلْؤها، فَيلْقَى فِي النارِ أهلُها فَتقُولُ: هلْ مِن مزيدٍ؟ قَالَ: ويلْقَى فِيها وتقُولُ هلْ مِن مزيدٍ ويلْقَى فِيها وتقُولُ هلْ مِن مزيدٍ حتى يأتِيها تبارك وتعالَى فَيضع قَدمه [2]عليها، فَتزوى فَتقُولُ: قَدنِي قَدنِي، وأما الْجنةُ فَيبقَى فِيها أهلُها ما شاءَ الله أنْ يبقَى فَينشِئُ الله لَها خلْقًا ما يشاءُ"**[3]

1- الحاكم (٧٧٩١) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (١٦٧٩): صـحيح وله شاهد عن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ: "يرسل البكاء على أهل النار فيبكـون حتـى تنقطـع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيـه الـسفن لجـرت" والحديث بمجموع طرقه حسن .

2- اعلم أخي في الله أن من عقيدة أهل السنة إثبات صفة القَدم لله تعالى، كمـا نثبـت غيرهـا مـن الصفات كاليد والوجه والسمع والبصر، وغير ذلك على الوجه الائق به سبحانه، وارجـع إلـى خطبة تفسيرآية الكرسي من هذا الكتاب.

3- البخاري (٦٨٩٥) ومسلم (٥٠٨٤) وأحمد واللفظ له (٧٣٩٣) .

أهون أهل النار عذاباً :

عن النعمانَ ﷺ قال: سمِعتُ النبي ﷺ يقُولُ: **"إن أهونَ أهل النارِ عذَابا يوم الْقِيامةِ لرجلٌ توضع فِي أخمص قَدميهِ جمرةٌ يغلِي مِنها دِماغُه "** (١)

عظم جهنم :

عن عبدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **"يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعونَ ألف زِمامٍ، مع كُل زِمامٍ سبعونَ ألف ملكٍ يجرونها "**(٢)

بعض صور العذاب المعنوي التي يتعرض لها أهل النار:

وهذه كثيرة جداً منها:

١- أنهم يلعن بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾

٢- ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون : ﴿اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾

٣- أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم من أهل الإيمان في الجنة فيقولون: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص:٦٢،٦٣]

وغير ذلك من صور العذاب المعنوي كطلبهم الموت ولا يُمكنون منه وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ورؤيتهم أهل الجنة وغير ذلك .

1- البخاري (٦٠٧٦) ومسلم (٣١٣) .

2- مسلم (٥٠٧٦) وعبد الله هنا هو ابن مسعود .

فاللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تباعد بيننا وبين النار كما باعدت بين المشرق والمغرب آمين آمين آمين .

أبواب جهنم :

لجهنم سبعة أبواب كما قال تعـالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

[الحجر:٤٣، ٤٤]

كل باب منها أسفل من الآخر،وقيل: الأبواب هي الأطباق طبق فوق طبق كما قال القرطبي [١]

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوا و درجـات النار تذهب سفولا. [٢]

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عكرمة في قوله تعالى:﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ قال: لها سبعة أطباق. [٣]

و عن قتادة: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ قال: هي و الله منـازل بأعمالهم[٤].

وعن يزيد بن أبي مالك الهمذاني قال: لجهنم سبعة نيران تأتلق، ليس منها نار إلا وهي تنتظر إلى التي تحتها؛ مخافة أن تأكلها. [١]

1- القرطبي(٥/ ٣٩١) .

2- التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صـ ٥٩ .

3- السابق.

4- السابق.

و عن ابن جريج في **قوله:** ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: أولها جهنم ثم لظـى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية و فيها أبو جهل. [٢]

و قد وصف الله أبوابا بأنها مغلقة على أهلها فقال: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾[٣]

قال مجاهد: هي بلغة قريش: أصد الباب أغلقه يعني قوله﴿مُؤْصَدَةٌ﴾[٤]

وقال مقاتل: يعني أبوابا مطبقة عليهم، فلا يفتح لها باب، و لا يخرج منها غم، و لا يدخل فيها روح آخر الأبد. [٥]

وصدق من قال :

النار موعد أهل الكفر كلهـ ـم طباقها سبعة مسودة الحفـ ـر
جهنم ولظى من بعدها حطمـ ـة ثم السعير وكل الهول في سقـر
لها إذا ما غلت فور يقلبهـ ـ ـم ما بين مرتفع منها ومنحـ ـدر
سوداء مظلمة شعثاء موحشـ ـة دهماء محرقة لواحة البشـ ـ ـر
فيها غلاظ شداد من ملائكـ ـة قلوبهم شدة أقسى من الحجـر
يا ويلهم تحرق النيران أعظمهـم بالموت شهوتهم من شدة الضجر
ضجوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم دعاء داع ولا تسليم مصطبـر
وكل يوم لهـم في طول مدتهـم نزع شيد من التعذيب والسعر

1- السابق .
2- السابق.
3- التخويف من النار صـ ٦٠ .
4- السابق.
5- السابق.

شدة حرها وزمهريرها:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة:٨١]

قال ابن مسعود ﷺ: الزمهرير لون من العذاب، وقال عكرمة: البردالشديد.

و عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **"اشتكتِ النارإلى ربها فقالت: يا رب أكلَ بعضِي بعضا. فأذِنَ لها بنفسين نفسٍ في الشتاءِ ونفسٍ في الصيفِ، فهو أشد ما تجدونَ من الحر وأشد ما تجدونَ من الزمهرير"** (١)

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيﷺ قَالَ: **"ناركُم هذِهِ التي يوقد ابن آدم جزءٌ من سبعين جزءًا من حر جهنم".** قَالُوا: واللهِ إنْ كانت لكافيةً يا رسُولَ اللهِ. قَالَ: **"فإنها فُضلت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا كُلها مثْلُ حرها"** (٢)

تغيظها و زفيرها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الأنبياء)

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ (الفرقان)

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ (الملك)

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة، كصوت الحمار.

1- البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٩٧٧) .

2- مسلم (٥٠٧٧) .

قال الربيع بن أنس: الشهيق في الصدر. وقال مجاهد في قوله [وَهِيَ تَفُورُ] قال: تغلي بهم كما يغلي القدر.

وقال ابن عباس: تميز : تفرق.

وعنه قال: يكاد يفارق بعضها بعضا وتتفطر.

وعن الضحاك تميز: تفطر .

وقال ابن زيد : التميز : التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله عز وجـل؛ غضبا له عز وجل و انتقاما له [1]

و من عذاب أهل النار: سحبهم على وجوههم.

و من أنواع عذابهم سحبهم في النار على وجوههم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ **(القمر)**

و قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

قال قتادة: يسجرون في النار مرة، و في الحميم مرة.

و قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ **(الأحزاب)** [2]

1- التخويف من النار صـ ١٠٥، ١٠٦، طبعة: دار البيان بدمشق.

2- السابق .

عقاب العالم الذي لا يعمل بعلمه[1] :

عن أبي وائلٍ قالَ: قيلَ لأسامةَ: لو أتيت فُلانا فكلمتهُ. قالَ: إنكُم لتَرونَ أني لا أكلمُهُ إلا أُسمِعُكُم إني أكلمُهُ في السر دُونَ أنْ أفْتح بابا؛ لا أكُونُ أولَ من فتحهُ ولا أقُولُ لرجُلٍ أنْ كانَ علي أميرا: إنهُ خيرُ الناسِ بعد شيءٍ سمِعتُهُ من رسُول اللهﷺ. قالُوا: وما سمِعتهُ يقُولُ؟ قالَ: سمِعتُهُ يقُولُ:" **يجاءُ بالرجل يوم القِيامةِ فيلْقى في النارِ فتندلِق أقْتابه في النارِ فيدور كما يدور الحِمار برحاه، فيجتمِع أهلُ النارِ عليهِ فيقُولُونَ: أي فُلانُ ما شأنك أليس كُنت تأمرنا بالمعروفِ وتنهانا عن المنكرِ؟ قالَ: كُنت آمركُم بالمعروفِ ولا آتيهِ وأنهاكُم عن المنكرِ وآتيهِ**))[2]

1- قال العلامة ابن كثيرعند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ج أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾: وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له؛ فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب الأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا يتخاف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨]. فكُل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخاف.

قال العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية (أتأمرون الناس ....): وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة. (تفسير السعدي ، ص: ٢٩ ، المكتبة التوفيقة) .

2 _ البخاري (٣٠٢٧) .

قال الله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ :

قال إبراهيم التيمي: يأتيه من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره، للآلام التي في كل مكان من جسده.

وقال الضحاك: إنه ليأتيه الموت من كل ناحية ومكان حتى من إبام رجليه.

وقال الأخفش: يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا، وهي من أعظم الموت.

قال الضحاك: لا يموت فيستريح.

وقيل: يخلق الله في جسده آلاما كل واحد منها كألم الموت.

وقيل: [وما هو بميت] لتطاول شدائد الموت به، وامتداد سكراته عليه، ليكون ذلك زيادة في عذابه. [1]

قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: تنادي النار يوم القيامة: يا نار أحرقي يـا نـار اكتفي يا نار انضجي كلي و لا تقتلي! [2]

1- كل هذه الآثار من أول قال إبراهيم، من تفسير القرطبي (٩/ ٣٥٢) .

2- التخويف من النار ، صـ ١٠٢ .

فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم إليها ـ أجارنا الله منها:

قال الله عز و جل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)﴾ (الواقعة).

والنزل: هو ما يعد للضيف عند قدومه .

فدلت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقـوم و الشرب من الحميم، و هم إنما يساقون إلى جهنم عطاشا كما قال تعالى : ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾ (مريم)

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشا، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشا ثم قرأ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾

قال مجاهد في **تفسير هذه الآية**: متقطعة أعناقهم عطشا.

و قال مطر الوراق: عطاشا ظماء.

وجاء عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل أنه يقال لليهود و النصارى: **" ماذا تبغون؟" فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا! فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطم بعضها بعضا، يتساقطون في النار "** (1)

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألـف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعـت أعنـاقهم عطـشا واحترقت أجوافهم جوعا، ثم انصرف بهم إلى النار، فيسقون من عين آنية قـد آن حرها و اشتد نضجها؟

1- مسلم (٤٧٢) .

وروى ابن المبارك بإسناده عن كعب قال: إن الله ينظر إلى عبـده يـوم القيامة وهو غضبان فيقول: خذوه فيأخذه مائة ألف ملك أو يزيدون فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبا لغضب الله؛ فيسحبونه على وجهه إلى النار قال: فالنار أشـد عليه غضبا من غضبهم سبعين ضعفا قال: فيستغيث بشربة فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه، ثم يركس في النار أو يدكس في النار، فويل له من النار ! !

قال ابن المبارك: حدثت عن بعض أهل المدينة أنه يتفتت في أيديهم إذا أخذوه فيقول: ألا ترحموني فيقولون: كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين ؟! [1]

غمسة واحد في جهنم تنسي كل نعيم الدنيا:

عن أنسِ بنِ مالِكٍ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ:"**يؤتى بأنعم أهل الدنيا مِن أهل النارِ يوم الْقِيامةِ فَيصبغُ فِي النارِ صبغةً، ثُم يقَالُ: يا ابن آدم هلْ رأيت خيرا قَط هلْ مر بِك نعِيم قَط؟ فَيقُولُ: لَا واللهِ يا رب، ويؤتى بأشد الناسِ بؤسا فِي الدنيا مِن أهـل الْجنةِ فَيصبغُ صبغةً فِي الْجنةِ فَيقَالُ لَه: يا ابن آدم هلْ رأيت بؤسا قَط هلْ مر بِك شِدةٌ قَط؟ فَيقُولُ: لَا واللهِ يا رب ما مر بِي بؤس قَط ولَا رأيت شِدةً قَط** " [2]

أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يذبح الموت:

عن أَبِي سعِيدٍ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا دخلَ أهلُ الْجنةِ الْجنةَ وأهلُ النارِ النار يجاءُ بِالْموتِ، كأنه كَبش أملَح فَيوقَف بين الْجنةِ والنارِ، فَيقَالُ: يـا أهلَ الْجنةِ هلْ تعرفُونَ هذَا؟ قَالَ: فَيشرئبونَ فَينظُرونَ ويقُولُـونَ: نعـم هـذَا الْموت. قَالَ: فَيقَالُ: يا أهلَ النارِ هلْ تعرفُونَ هذَا؟ قَالَ: فَيشرئبونَ فَينظُـرونَ ويقُولُونَ: نعم هذَا الْموت. قَالَ: فَيؤمر بِهِ فَيذْبح. قَالَ: ويقَالُ: يا أهلَ الْجنـةِ**

1- التخويف من النار صـ ١٠٢.

2- مسلم (٥٠٢١) .

خلود لا موت ويا أهلَ النارِ خلود لا موت. قَالَ: ثُم قَـرأ رسـولُ اللـهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ **"** [1]

في ضرب الصراط على متن جهنم ـ و هو جسر جهنم و مرور الموحدين عليه :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه:

((فَيضرب الصراطُ بين ظَهراني جهنم، فَأَكُونُ أولَ من يجوز مِن الرسل بِأُمتِهِ، ولا يتكلم يومئِذٍ أحد إِلا الرسلُ، وكَلام الرسل يومئِذٍ اللهم سلم سـلم، وفي جهنم كَلالِيب مِثْلُ شوكِ السعدان، هلْ رأيتم شوك السعدان؟ قَالُوا: نعـم قَالَ: فَإِنها مِثْلُ شوكِ السعدان غَير أنه لا يعلَم قَدر عِظَمِها إِلا اللـه، تخطـف الناس بِأعمالِهم، فَمِنهم من يوبق بِعملِهِ ومِنهم من يخردلُ ثُم ينجو، حتـى إِذَا أراد الله رحمةَ من أراد مِن أهل النارِ أمر الله الْملَائِكَةَ أنْ يخرجوا مـن كَـانَ يعبد الله، فَيخرجونهم ويعرِفُونهم بِآثَارِ السجودِ، وحرم الله على النارِ أنْ تأكُلَ أثَر السجودِ)) [2]

معاني الحديث:

كلاليب: جمع كلوب، وهو الحديدة المعوجة الرأس، ينزع بها اللحم من القدر.

شوك السعدان: شوك حاد.

حميل السيل: ما يحمله السيل من طين ونحوه .

يوبق: يهلك ويسقط .

يخردل: يجرح ويقطع من لحمه .

1- مسلم(٥٠٨٧) وأحمد (١٠٦٤٤) .

2- البخاري (٧٦٤) ، مسلم (٢٦٧)

إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار:

عن عدِي بنِ حاتِمٍ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ:"**ما مِنكُم أحد إلا سـيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمانٌ، فَينظُر أيمن مِنه فَلا يرى إلا ما قَدم مِن عملِهِ، وينظُر أشأم مِنه فَلا يرى إلا ما قَدم، وينظُر بين يديهِ فَلا يرى إلا النار تِلقَـاءَ وجهـهِ، فَاتقُوا النار ولَو بِشِق تمرةٍ))** [1]

وجوب الاستعاذة من عذاب جهنم :

وذلك لما رواه الترمذي وغيرهِ عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ: "**استعِيذُوا بِاللهِ مِن عذَابِ جهنم، واستعِيذُوا بِاللهِ مِن عذَابِ الْقَبرِ، استعِيذُوا بِاللهِ مِن فِتنةِ الْمسِيحِ الدجال، واستعِيذُوا بِاللهِ مِن فِتنةِ الْمحيا والْممات**" [2]

وأخيراً :

هل من مدكر ؟!

هل من متعظ؟!

هل .....

أخي الحبيب:

تصور لو قيل لأحد من الناس: نتوجك ملكاً عشرين سنة تنعم بمـا يحلـو وتتمتع بما لذ وطاب، ثم بعد تمام العشرين سنة نسلب منك هذا الملك، ولا نبقـي لك درهماً واحداً، ونسجنك مقيداً لوحدك في غرفة مظلمة لا تستطيع فيها الجلوس

1 _ البخاري (٦٩٥٨) ، مسلم (١٦٨٨) .

2 _ الترمذي (٣٥٢٨) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(٩٤٣) .

ولا النوم، ونقدم لك طعاماً وشراباً الجوع والعطش خير منهما، ونجلدك بالـ سوط كل يوم ألف مرة، وذلك باق عمرك حتى الممات.

هل تتصور بأن هناك عاقلاً سوف يرضى هذا المصير؟!

فوالله من أول يوم سوف ينسى ما مر به من النعيم.

فما بال بعض الناس في هذه الدنيا يعيشون حياة كدر وهم، ومع ذلك يؤثرون حياة الكدر والمشقة على النعيم المقيم ؟!!

هل تعلم أخي الحبيب:

لماذا لا تكون السعادة بمعصية الله ؟

لماذا لا يسعد الإنسان بأغنية ومشاهدة حرام أو بأكل حرام ؟

لماذا تلوم الإنسانَ نفسُه وتوبخه ويشعر بالضجر ؟

ذلك؛ لأن الله قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه ١٢٤) وفي المقابل يعيش المؤمن الحق حياة نعـيم في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل)

قال المفسرون: حياة طيبة في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة .

الخطبة الثالثة: الابتلاء سنة الله في خلقه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ.

إلى من ابتلاهم الله بالشدائد والكروب، إلى من أراد الله تمحيصهم بالأسقام والعيوب، فذاك مريض فقد صحته، وآخر حار في معرفة سقمه وفهم علته، وثالث خارت قواه وزالت بشاشته، وهم مع ذلك ذاكرون شاكرون وصابرون محتسبون.

فكم من نعمة لو أعطيها العبد كانت داءه، وكم من محروم من نعمـة حرمانـه شفاؤه؛ قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾

إخوة الإيمـان :

البلاء لغة: قال صاحب اللسان: بلوت الرجلَ بلْواً وبلاءً وابتليته: اختبرته وبلاه يبلُوه بلْواً إذا جربه واختبره.

والبلاء: الإنعام قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ **أي: إنعـام بين** [1]

وحديثنا عن المعنى الأول للبلاء، وهوالاختبار والامتحان.

فوائد البلاء:

إن للبلاء فوائد كثيرة:

(١) منها أنه جعل لتمييز الصف المسلم من الدخلاء والمنافقين:

كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد :٢٦]

قال ابن عباس: (حتى نعلم) أي: حتى نميز.

1- لسان العرب مادة (بلا) طبعة: صادر، بيروت.

(٢) ومنها أن البلاء للعباد لرفع درجاتهم وتكفير سيئاتهم:

كما في صحيح البخاري أنهﷺ قال:«**من يرِدِ اللهِ بِهِ خيرا يصِب مِنه**» [١] أي يبتليه بالمصائب والمحن والشدائد والفتن ؛ ليرفع درجاته ويكفر من سيئاته علـى ما يكون منه من الصبر والاحتساب.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: رسول اللهﷺ: «**ما يصِيب الْمسلِم مِـن نصبٍ ولا وصبٍ ولا هم ولا حزنٍ ولا أذًى ولا غَم حتى الشوكةِ يـشاكُها إِلـا كفر اللهِ بِها مِن خطاياه** » [٢]

وعن جابِر بن عبدِ اللهِ (رضي الله عنهما) أن رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ علَـى أُم السائِبِ أو أُم الْمسيبِ فَقَالَ: "**ما لَكِ يا أُم السائِبِ أو يا أُم الْمسيبِ تزفْـزِفين؟** قَالَتِ: الْحمى لا بارك الله فِيها. فَقَالَ: "**لا تسبي الْحمى؛ فَإِنها تذْهِب خطايا بنِي آدم كَما يذْهِب الْكِير خبثَ الْحدِيدِ** »[٣]

فلعل لك عند الله منزلة لا تبلغها بعملك، فما يزال الله تعالى يبتليك بحكمته حتى تبلغ تلك المنزلة .

(٣) وقد يكون البلاء دليلا على محبة الله للعبد:

فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِن عِظَم الْجزاءِ مع عِظَمِ الْبلاءِ، وإِن الله إِذَا أحب قَوما ابتلاهم، فَمن رضِي فَله الرضا، ومن سخِطَ فَله السخطُ**»[٤]

1- البخاري (٥٢١٣) .

2- البخاري (٥٢١٠) ومسلم (٤٦٦٧) .

3- مسلم (٤٦٧٢)، ومعنى تزفزفين: تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.

4- الترمذي(٢٣٢٠) وابن ماجه (٤٠٢١)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة(١٤٦)

وقالﷺ: **"إِذَا أراد الله بِعبدِهِ الخير عجلَ له العقُوبةَ فِي الـدنيا[1]، وإِذَا أراد الله بِعبدِهِ الشر أمسك عنه بِذَنبِهِ حتى يوافِي بِهِ يوم الْقِيامةِ"[2]**

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: قُلْت يا رسولَ اللهِ: أي الناسِ أشد بلاءً؟ قَالَ: **"الْأَنبِياءُ ثُم الصالِحونَ، ثُم الْأَمثَلُ فَالْأَمثَلُ مِن الناسِ، يبتلى الرجلُ على حـسبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صلابةٌ زِيد فِي بلائِهِ، وإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقةٌ خفف عنـه، وما يزالُ الْبلاءُ بِالْعبدِ حتى يمشِي على ظَهرِ الْأَرضِ لَيس علَيهِ خطِيئَةٌ "** [3]

(٤) البلاء سبب لدخول الجنة:

قال تعـالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة :٢١٤]

وقال تعـالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

[البقرة:١٥٥، ١٥٦]

1- وليس معنى ذلك أن الإنسان يتمنى البلاء بل لقد نهى النبي ﷺ الرجل الذي كان يقول: اللهـم إن كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال النبيﷺ: "سبحان اللـهِ لَـا تُطِيقُـه أَو لَـا تَستَطِيعه! أَفَلَا قُلْتَ: اللهم آتِنَا فِي الدنْيا حسنَةً وفِي الْآخِرةِ حسنَةً وقِنَا عذَاب النارِ " انظر الحديث عند مسلم

(٤٨٥)

2- الترمذي(٢٣١٩)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٤٣) .

3- الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه في (٤٠١٣) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٤٣) .

الله أكبر .....أي فضل بعد صلوات الرب ورحمته وهداه.

ومعنى صلاة الله على العبد: أي الثناء الحسن عليه والغفران، كما قال أبـو العالية : صلاة الله على العبد : ثناؤه عليه في الملأ الأعلى .

وعن عطاء بن أبي رباحٍ قَالَ: قَالَ لي ابن عباسٍ: أَلا أُريك امرأَةً مِن أَهـل الْجنةِ؟ قُلْت: بلَى قَالَ: هذِهِ الْمرأَةُ السوداءُ أَتتِ النبِي ﷺ فَقَالَت: إِني أُصرع وإِني أَتكَشف فَادع اللهَ لِي. قَالَ: "**إِنْ شِئْتِ صبرتِ ولَكِ الْجنةُ وإِنْ شِئْتِ دعوت الله أَنْ يعافِيكِ**" فَقَالَت: أَصبِر فَقَالَت: إِني أَتكَشف فَادع اللهَ لِي أَنْ لا أَتكَشف! فَدعا لَها"[1]

وعن أنس ﷺ قال: سمِعت النبِيﷺ يقُولُ:"**إِن الله قَـالَ: إِذَا ابتلَيـت عبدِي بِحبِيبتيهِ فَصبر عوضته مِنهما الْجنةَ يرِيد عينيهِ**" [2] والحبيبتان: هما العينان.

وورد عنه ﷺ أنه قال: "**إذا مات ولد الرجل يقول الله تعـالى لملائكتـه: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم . فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم . فيقول: فماذا قال عبدي ؟ قال: حمدك و استرجع . فيقول : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة و سموه بيت الحمد**" [3].

(5) تحقيق العبودية لله رب العالمين:

فإن كثيراً من الناس عبد لهواه وليس عبداً لله، يعلن أنه عبد لله، ولكـن إذا ابتلي نكص على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، قال تعـالى:

1- البخاري (٥٢٢٠) ومسلم (٤٦٧٢) .

2- البخاري في المرضى (٥٢٢١).

3- حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٠٨) .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾(الحج/١١).

(٦) الابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض:

قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل: الصبر أو المحنة أو التمكين ؟ فقال: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ، وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنه قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ **(الأنبياء)** [1]

(٧) الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب:

عيوب النفس وأخطاء المرحلة الماضية؛ لأنه إن كان عقوبة فأين الخطأ؟

(٨) البلاء درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل:

يطلعك عمليّاً على حقيقة نفسك؛ لتعلم أنك عبد ضعيف، لا حول لك ولا قوة إلا بربك، فتتوكل عليه حق التوكل، وتلجأ إليه حق اللجوء، حينها يسقط الجاه والخيلاء، والعجب والغرور ، وتفهم أنك مسكين يلوذ بمولاه، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

1- انظر: الإحياء.

قال ابن القيم:

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتـوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حالـه، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه: أهله لأشرف مراتـب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه. انتهى [1].

(٩) الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله:

قال ابن حجر: قوله :﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ روى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن الربيع بن أنس قَالَ: قَالَ رجل يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة، فَشق ذَلِك على النبيّ ﷺ فَكَانت الْهزيمة .." [2]

قلت: أي الهزيمة في أول الأمر.

قال ابن القيم:

واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعا رأسه منحنيا على فرسه؛ حتى إن ذقنه تكـاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته"[3] .

(١٠) إظهار حقائق الناس ومعادنهم:

فهناك ناس لا يعرف فضلهم إلا في المحن.

1- زاد المعاد (٤ / ١٩٥)

2- فتح الباري (٨/ ٢٧)، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب، دار الفكر .

3- زاد المعاد (٣/ ٤٧٧) .

قال الفضيل بن عياض: الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهـم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه[1].

وروى البيهقي في "الدلائل" عن أبي سلمة قَالَ: أُفْتِن ناس كثير - يعني - عقب الإسراء - فَجاءَ ناس إلى أبي بكْر فَذَكَروا لَه فَقَالَ: أشهد أنه صادِق . فَقَالُوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحِدة ثُم رجع إلى مكة ؟ قَالَ: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذَلك، أصدقه بخبر السماء، قَالَ: فَسمي بذَلك الصديق [2].

(١١) الابتلاء يربي الرجال ويعدهم:

لقد اختار الله لنبيه ﷺ العيش الشديد الذي تتخلله الشدائد منذ صغره؛ ليعده للمهمة العظمى التي تنتظره، والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها.

نشأ النبي ﷺ يتيماً ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى ماتت أمه أيضاً.

والله سبحانه وتعالى يذكّر النبي ﷺ بهذا فيقول ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾﴾ .

فكأن الله تعالى أرد إعداد النبي ﷺ على تحمل المسئولية ومعاناة الشدائد من صغره.

(١٢) ومن حكم هذه الابتلاءات والشدائد: أن الإنسان يميز بين الأصدقاء الحقيقيين وأصدقاء المصلحة:

كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير ... وإن كانت تغصصني بريقي

وما شكري لها إلا لأني عر ... فت بها عدوي من صديقي

1- موسوعة فقه الابتلاء لـ : علي بن نايف .

2- صححه الشيخ الألباني في الصحيحه(٣٠٦) .

(١٣) الابتلاء يذكرك بذنوبك لتتوب منها:

والله عز وجل يقـول: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ (النـساء:٧٩)، ويقـول سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ (الشورى:٣٠).

فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر يوم القيامة؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة/٢١]

والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها، وما يصيب الإنسان من سوء وشر.

وإذا استمرت الحياة هانئة، فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر ، ويظن نفسه مستغنياً عن الله، فمن رحمته سبحانه أن يبتلي الإنسان حتى يعود إليه.

(١٤) الابتلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور:

وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب قال تعـالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ (العنكبوت:٦٤)، والحيوان جمع حياة؛ لأن حياة تجمـع علـى حيوات وعلى حيوان، ومعناها الحياة الحقيقية، أما هذه الدنيا فنكد وتعب وهـم ، قال تعالى : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾ (البلد:٤) .

١٥- الابتلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالصحة والعافية:

فإن هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان معنى الصحة والعافية الـتي كنـت تمتعت بهما سنين طويلة، ولم تتذوق حلاوتهما، ولم تقدرهما حق قدرهما.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "لم **يؤت بعد اليقين خير من المعافاة**" [1]

المصائب تذكرك بالمنعِم والنعم، فتكون سبباً في شكر الله سبحانه على نعمته وحمده وصدق من قال:

إذا كنت في نعمة فارعها فـإن المعاصي تزيل النعم

وحفها بطاعة رب العباد فـرب العباد سريع النقم

وحـاذر ظلم العـ ـباد فظلم العباد شديد الوخم

١٦ - الشوق إلى الجنة:

لن تشتاق إلى الجنة إلا إذا ذقت مرارة الدنيا، فكيف تشتاق للجنة وأنت هانئ في الدنيا؟

فهذه بعض الحكم والمصالح المترتبة على حصول الابتلاء وحكمة الله تعـالى أعظم وأجل.

البلاء لا ينجو منه أحد حتى الأنبياء:

فالابتلاء ليس قاصراً على أحدٍ معين من الناس، ولا ينجو منه بر ولا فاجر، وإن تباينت الصور وتفاوتت المراتب على حسب الناس، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت:٢]

فلو نجى أحد من البلاء لنجى منه الأنبياء والمرسلون، ومـن تـابعهم مـن الأولياء والصالحين. فالأنبياء جميعا ٱبتلوا، فمنهم من ابتلي بالمرض،ومنهم من ابتلـي بالأذى من قومه.

1- صححه الشيخ الألباني في الأدب المفرد (٧٢٤) .

إذا كان البلاء يزيد المؤمن إيماناً فلماذا يبتلى الكفار؟

ما يصيب الإنسان من مصائب وأحزان قد يكون عقوبة من الله له بسبب سوء عمله قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الشورى : آية ٣٠]

فمثلاً ظهور الإيدز في أوربا بسبب الزنا، فهذا بسبب سوء صنيعهم، وأمثال ذلك كثير،

أما إذا إذا علم من هذا الشخص المبتلى أنه ذو صلاح وتقى فهذا ابتلاء من الله له لتمحيصه وزيادة حسناته.

نماذج في الصبر على البلاء:

(١) قصة نبي الله أيوب عليه السلام مع المرض:

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء ٨٣:٨٤]

وقد قص علينا رسول الله ﷺ طرفا من صبره فقال:"**إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: وما ذاك ؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما؛ كراهية أن يذكر**

الله إلا في **حق قال: وكان** يخرج إلى **حاجته، فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده** حتى **يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحي إلى أيوب أن** ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ **فاستبطأته فتلقته تنظر وقد أقبل عليها، قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك ! هل رأيت** نبي الله **هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحا ! فقال: فإني أنا هو، وكان له أندران** [1] **(أي بيدران): أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب** حتى **فاض، وأفرغت الأخرى** في **أندر الشعير الورق** حتى **فاض"** [2].

وقد كثرت الأقوال في الضر الذي أصاب أيوب عليه السلام، حتى ذكر القرطبي في تفسيره ستة عشر قولا. [3]

1- معني الأندر: البيدر بلغة أهل الشام، وهو المكان الذي يداس فيه الطعام.

2- ابن حبان (٢٨٩٨)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة(١٧)..

3- القرطبي(٦/ ٢٩٠-٢٩٣) ط: دار الحديث .

قال الشيخ محمد حجازي في التفسير الواضح:

وذلك لأن الناس يوردون في مرض أيوب أقوالا تدل على أنه كان مرضا منفرا للناس، وهذا يتنافى مع منصب النبوة؛ إذ الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة، وهم في هذا يعتمدون على ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى بسفر أيوب، وقد اختلف في واضع هذا السفر هل هم اليهود أو غيرهم ؟ ...ولو صح هذا الكلام فيكون الابتلاء بهذا الشكل إنما كان قبل النبوة .

ثم قال : أما القول الحق فهو أن أيوب عبد صالح امتحنه الله في ماله وأهله وولده وبدنه ثم من الله عليه بالعافية، وأعطاه أكثر مما فقد، وأثنى عليه ثناء جميلا في القرآن وجعله نبيا ولم يكن عنده المرض المنفر انظر في ذلك التفسير الواضح للشيخ: محمد محمود حجازي(٢٨/٢) باختصار وتصرف

ومن قصة أيوب عليه السلام نتعلم أنه إذا أصاب العبد مصيبة، وطلب مـن الله كشفها فهذا لا ينافي الصبر، قال بعض السلف: سبحان من ابتلى عباده بالبلاء؛ ليسمع منهم الدعاء قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾[الأعراف:٩٤]

وإنما ينافي الصبر شكوى الله للعباد، وإظهار الجزع والتأفف من قـضاء الله عز وجل.

وبهذا يتبين مدى خطأ وضلال قول القائلين: سؤالك الله ، اتهام لله تعالى الله عما يقولوه الجاهلون علوا كبيرا.

(٢) نبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام:

لقد امتحن الله يعقوب بفقد ابنه يوسف عليهما السلام وهو أحب أبنائـه إليه، وكان فراقه بعد مؤامرة مدبرة له، وهي مؤامرة من قبل القربى وهذا مما يزيـد من هولها وصعوبتها على نفس يعقوب عليه السلام، وفي ذلك يقول المتنبي:

وجرح ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وصبر يعقوب عليه السلام صبر الآمل الراجي فضل الله، حتى رد الله عليـه ولده بعد طول غياب.

وها هو يوسف ولده يلقى في الجب، وتراوده امرأة العزيـز ذات المنـصب والجمال في غيبة عن أعين الناس جميعا إلا عين علام الغيوب فقال: (إني أخاف الله رب العالمين)، ثم يبتلى عليه السلام بالعز والتمكين بعد الضيق والشدة، وقد يكون الابتلاء بالخير أشد من الابتلاء بالشر.

(٣) قصة نبي الله نوح عليه السلام مع البلاء:

لقد مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين سنة، فلم يجد منهم إلا الاستكبار والعناد، ومع ذلك يمضي نوح عليه السلام عبر هذه السنوات المتواليه والأجيال المتلاحقة دون كلل أو ملل، وكلما أعرضوا بدل وغيّر في أسلوب الدعوة.

ولم يكن بلاء نوح عليه السلام قاصرا على قومه فقط، بل تعداه إلى أهل بيته، وهذا من أعظم الشدائد والمحن التي يبتلى بها الأنبياء.

فقد عصاه ولده وزوجته قال تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم :١٠]

والخيانة المذكورة في الآية هي خيانة الدين والعقيدة؛ حيث إن هاتين المرأتين المذكورتين في الآية كانتا على دين قومهما ولم تسلما، وليس المقصود خيانة الفراش؛ لأنه لا توجد امراة نبي قط خائنة في الفراش.

(٤) نبي الله إبراهيم عليه السلام مع البلاء:

وكما أن نوحا عليه السلام ابتلي بكفر ولده وزوجه ، فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام بكفر أبيه أزر فقال له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم :٤٦]

وابتلي عليه السلام بإلقائه في النار فما جذع ولا لجأ إلا إلى الله فقال: "حسبي الله ونعم الوكيل"[1] فكانت النار عليه كما أراد الله وليس كما أراد أعداء الله

وابتلي عليه السلام كذلك بالهجرة وترك البلاد، وتركه ولده وزوجه في واد لا زرع فيه ولا ماء. [2]

(5) موسى عليه السلام مع البلاء:

وقد أرسله الله ليواجه طاغوت فرعون وجبروت هامان وكبرياء قارون.

فما أن بلّغ موسى رسالة ربه حتى طفق فرعون يهدده ويتوعده تارة بالقتل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر:٢٦]، وتارة بالسجن: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء:٢٩]

ومع كل ذلك يصبر موسى عليه السلام ويوجه قومه إلى معين الصبر﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]

حتى تحقق نصر موسى ومن معه [3]،وغرق جند الباطل.

1- البخاري (٤١٩٨).

2- وانظر تفصيل ذلك في خطبة تأملات في الحج وقصة الذبيح من نفس الكتاب .

3- وهذا دائما مصير كل داع أخلص لله في دعوته، يكتب الله له النصر والتمكين، حتى لو لم ير ثمرة دعوته.

(٦) روح الله [1] عيسى عليه السلام مع البلاء:

وقد بعثه الله إلى بني إسرائيل فلم يجد من أحبارهم إلا التكذيب والعـصيان والمؤامرات التي كانت ثمرتها أنهم قرروا قتله وصلبه، ولكن الله أحبط سعيهم وخيب ظنهم قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء ١٥٨:١٥٦]

1- قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء١٧١] المقصود بقوله تعالى (كلمته) أي: كن فيكون، وقوله تعالى(وروح منه) لا يفهم منه أن عيسى ابن الله كما زعم النصارى، والرد عليهم أن حرف الجر (من) يستعمل في الابتداء كما في قوله تعـالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ أي ابتـداء الرحلة كان من المسجد الحرام، كما قال ابن مالك في ألفيته:

بين وبعض وابتدِ في الأمكنة بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة .

وأنا أقول لشخص ما: أنا أعطيتك المال مني أي من مالي الخاص فهل هذا المـال جـزء مـن الشخص؟ لا إنما بداية الإعطاء كانت منه، كذلك الحال هنا، فبداية خلق هذه الروح من الله فهـي روح عادية كبقية الأرواح:

أعباد المسيح لنا سـؤال ... نريـد جوابـه ممـن وعـاه

إذا مات الإله بصنع قـوم ... أماتـوه فهـل هـذا إلـه

فيا عجا لقبر ضـم ربـا ... وأعجـب منـه بطن قد حواه

أقام هناك تسعا من شهور ... لدى الظلمات من حيض غذاه

وشـق الفـرج مولـودا ... صغيـرا فاتحـا للثـدي فـاه

فيأكـل ويشرب ثم يأتـي ... بـلازم هـذا فهـل هـذا إلاه

تعالـى الله عن إفك النص ... ارى سيسأل جمعهم ممن افتراه

(٧)خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع البلاء:

لقد وضع الله هذه النماذج أمام المصطفىﷺ؛ لكي تكون زاداً له لتحمـل أعباء الدعوة العالمية، فقال له في سورة هود بعد أن قص عليه قصص السابقين مـن الأنبياء وما لاقوه مـن أذى قـومهم: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود :١٢٠]

وقال له الله أيضا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ [الأحقاف:٣٥]

وقد تعرض كغيره من الأنبياء للأذى، ويتمثل أذاهﷺ فيما يلي:

(أ) أذى كفار قريش له:

فمن ذلك أن عقبة بن أبي معيط – عليه لعنة الله ـ خنقه بطرف ردائه، وألقى على ظهره الشريف سلى الجزور وهو ساجد ﷺ أمام الكعبة ، وكذلك قولهم عليه مرة أنه ساحر، ومرة كاهن ، ومرة شاعر.

ولما استقر ﷺ في المدينة لم ينقطع أذاهم له، ففي غزوة أحد كما في صـحيح مسلم من حديث أنس" جرِح وجه رسول اللهِ ﷺوكُسِرت رباعِيته، وهشِمتِ الْبيضةُ علَى رأْسِهِ، َكانت فَاطِمةُ ِبنت رسول اللهِﷺ تغسِلُ الدم، وكَانَ عِلِي بن أَبِي طَالِـبٍ يسكُب علَيها ِبالْمِجن، َلما رأَت فَاطِمةُ أَن الْماءَ لَا يزِيد الدم ِإلا كَثْرةً أَخذَت ِقطْعـةَ حصِيرٍ فَأَحرقَته حتى صار رماداً، ُثم أَلْصقَته ِبالْجرحِ فَاستمسك الدم"[1]

1- مسلم (٣٣٤٥) ، والبيضة:الخوذة أو ما يغطي به المحارب رأسه، والمجن: الدرع الواقي للمقاتل، والرباعية: السن بين مقدم الأسنان والناب.

وعن ابن مسعود ﷺ : "كَأَني أَنظُرِ إِلَى النِبي ﷺ يحكِي نِبيا مِـن الْأَنبِيـاءِ ضربه قَومه فَأَدموه، فَهو يمسح الدم عن وجهِهِ ويقُولُ:"**رب اغْفِر لِقَومِي؛ فَإِنهم لَا يعلمونَ**" [1]

نعم صدق من سماه الرؤوف الرحيم

(ب) تعرضه ﷺ لمحاولات القتل:

وكذلك ما كان من جانب اليهود – عليهم لعنة الله – ومن ذلك محاولـة قتله بوضع السم في شاة أهدتها له يهودية كما في الصحيحين من حديث أنس.

(ج) ما لاقاه ﷺ من الأذى من المنافقين:

ومن ذلك ما قال عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول عنه ﷺ حين مر عليهم راكبا حماراً له قال: غبر علينا ابن أبي كبشة. (أي : أراد النبي ﷺ) [2]

ولعل أعظمها ماكان من حديث الإفك – أي الكذب- الذي زلزل كيان البيت النبوي، واتهمت فيه أمنا عائشة (رضي الله عنها) بالبهتان وهـي الحـصان الرزان، وقد نزلت في براءتها آياتها من سورة النور.

(د) ما لاقاه ﷺ من أذى بعض أتباعه من ضعاف الإيمان من الأعراب وغيرهم:

من هذا مثلا ما في الصحيحين أن رجلاً من بني تميم (ذو الخويصرة) جـاءه وهو يقسم سبيكة ذهبية فقال له: اعدل يا محمد [3]. ويأتيه الأعراب فيغلظون لـه

1- البخاري (٣٢١٨، ٦٤١٧)

2- أبو كبشة : زوج حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ فنسب بن سلول النبي ﷺ إلى أبى كبـشة مـن باب التنقيص .

3- البخاري (٦١٦٣)

في القول. وكان ﷺ يقابل هذا بالصبر وسعة الصدر ويقول: "**رحم الله موسى !قد أوذي بأكثر من هذا فصبر** " [1]

غير الأنبياء مع البلاء :

(١) أصحاب الأخدود:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ **[البروج:١-١٢].**

عن صهيبٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: "**كانَ ملِك فِيمن كانَ قبلكُم وكانَ لَه ساحِر، فلما كبِر قالَ لِلْملِكِ: إِني قد كبِرت فابعثْ إِلي غُلاما أعلمه السحر فبعثَ إِليهِ غُلاما يعلمه، فكانَ فِي طرِيقِهِ إِذَا سلك راهِب فقعد إِليهِ وسمِع كلامه فأعجبه، فكانَ إِذَا أتى الساحِر مر بِالراهِبِ وقعد إِليهِ، فإِذَا أتى الساحِر ضربه فشكَا ذَلِك إِلى الراهِبِ فقالَ: إِذَا خشِيت الساحِر فقُلْ: حبسنِي أهلِي وإِذَا خشِيت أهلك فقُلْ: حبسنِي الساحِر.**

فبينما هو كذَلِك إِذْ أتى علَى دابةٍ عظِيمةٍ قد حبستِ الناس فقالَ: الْيوم أعلَم آلساحِر أفْضلُ أَمِ الراهِب أفْضلُ؟ فأخذَ حجرا فقالَ: اللهم إِنْ كانَ أمر

1- البخاري (٣٤٠٥)

الراهِبِ أحب إِلَيك مِن أمرِ الساحِرِ فَاقْتلْ هذِهِ الدابةَ؛ حتى يمضِي الناس فَرماها فَقَتلَها ومضى الناس، فَأتى الراهِب فَأخبره فَقَالَ لَه الراهِب: أي بني أنت الْيوم أَفْضلُ مِني قَد بلَغَ مِن أمرِك ما أرى، وإِنك ستبتلَى فَإِن ابتلِيت فَلَا تدل علَـي، وكَانَ الْغلَام يبرئ الْأَكْمه والْأَبرص ويداوِي الناس مِن سائِرِ الْأَدواءِ.

فَسمِع جلِيس لِلْمِلكِ كَانَ قَد عمِي فَأتاه بِهدايا كَثِيرةٍ فَقَالَ: ما هاهنا لَك أجمع إِنْ أنت شفَيتنِي. فَقَالَ: إِني لَا أشفِي أحدا إِنما يشفِي الله، فَإِنْ أنـت آمنت بِاللهِ دعوت الله فَشفَاك، فَآمن بِاللهِ فَشفَاه الله، فَأتى الْمِلك فَجلَس إِلَيهِ كَما كَانَ يجلِس، فَقَالَ لَه الْمِلك: من رد علَيك بصرك؟ قَالَ: ربي. قَالَ: ولَك رب غَيرِي؟ قَالَ: ربي وربك الله. فَأخذَه فَلَم يزلْ يعذبه حتى دل علَى الْغلَامِ فَجِيءَ بِالْغلَامِ فَقَالَ لَه الْمِلك: أي بني قَد بلَغَ مِن سِحرِك مـا تبـرِئ الْأَكْمـه والْأَبرص وتفْعلُ وتفْعلُ؟ فَقَالَ: إِني لَا أشفِي أحدا إِنما يشفِي الله. فَأخذَه فَلَـم يزلْ يعذبه حتى دل علَى الراهِبِ.

فَجِيءَ بِالراهِبِ فَقِيلَ لَه: ارجِع عن دِينِك فَأبى فَدعا بِالْمِنْشارِ فَوضـع الْمِنْشار فِي مفْرِق رأسِهِ فَشقه حتى وقَع شِقاه، ثُم جِيءَ بِجلِيسِ الْمِلكِ فَقِيلَ لَه: ارجِع عن دِينِك فَأبى، فَوضع الْمِنْشار فِي مفْرِق رأسِهِ فَشقه بِهِ حتى وقَع شِقاه.

ثُم جِيءَ بِالْغلَامِ فَقِيلَ لَه: ارجِع عن دِينِك فَأبى فَدفَعه إِلَـى نفَـرٍ مِـن أصحابِهِ فَقَالَ: اذْهبوا بِهِ إِلَى جبلِ كَذَا وكَذَا فَاصعدوا بِهِ الْجبلَ، فَـإِذَا بلَغـتم ذُروته فَإِنْ رجع عن دِينِهِ وإِلا فَاطْرحوه، فَذَهبوا بِهِ فَصعِدوا بِهِ الْجبلَ، فَقَـالَ: اللهم اكْفِنِيهِم بِما شِئْت! فَرجف بِهِم الْجبلُ فَسقَطُوا وجاءَ يمشِي إِلَى الْمِلـكِ فَقَالَ لَه الْمِلك: ما فَعلَ أصحابك؟ قَالَ: كَفَانِيهِم الله.

فَدفَعه إِلَى نفَرٍ مِن أَصحابِهِ فَقَالَ: اذْهبوا بِهِ فَاحمِلُوه فِي قُرقُورٍ فَتوسطُوا بِهِ الْبحر، فَإِنْ رجع عن دِينِهِ وإِلا فَاقْذِفُوه، فَذَهبوا بِهِ فَقَالَ: اللهم اكْفِنِيهِم بِما شِئْت! فَانكَفَأَت بِهِم السفِينةُ فَغرِقُوا، وجاءَ يمشِي إِلَى الْملِكِ فَقَالَ لَه الْملِك: ما فَعلَ أَصحابك؟ قَالَ: كَفَانِيهِم الله. فَقَالَ لِلْملِكِ: إِنك لَست بِقَاتِلِي حتى تفْعلَ ما آمرك بِهِ. قَالَ: وما هو؟ قَالَ: تجمع الناس فِي صعِيدٍ واحِدٍ وتصلُبنِي علَى جِذْعٍ، ثُم خذْ سهما مِن كِنانَتِي، ثُم ضع السهم فِي كَبِدِ الْقَوس، ثُم قُلْ: بِاسمِ اللهِ رب الْغلَامِ. ثُم ارمِنِي فَإِنك إِذَا فَعلْت ذَلِك قَتلْتنِي.

فَجمع الناس فِي صعِيدٍ واحِدٍ وصلَبه علَى جِذْعٍ، ثُم أَخذَ سهما مِن كِنانَتِهِ، ثُم وضع السهم فِي كَبِدِ الْقَوس، ثُم قَالَ: بِاسمِ اللهِ رب الْغلَامِ. ثُم رماه فَوقَع السهم فِي صدغِهِ، فَوضع يده فِي صدغِهِ فِي موضِعِ السهمِ فَمات. فَقَالَ الناس: آمنا بِرب الْغلَامِ آمنا بِرب الْغلَامِ آمنا بِرب الْغلَامِ.

فَأُتِي الْملِك فَقِيلَ لَه: أَرأَيت ما كُنت تحذَر قَد واللهِ نزلَ بِك حذَرك قَد آمن الناس، فَأَمر بِالْأُخدودِ فِي أَفْواهِ السكَكِ فَخدت وأُضرم النيرانَ، وقَالَ: من لَم يرجِع عن دِينِهِ فَأَحموه فِيها أَو قِيلَ لَه: اقْتحِم فَفَعلُوا حتى جاءَتِ امرأَةٌ ومعها صبِي لَها فَتقَاعست أَنْ تقَع فِيها فَقَالَ لَها الْغلَام: يا أُمهِ اصبِرِي؛ فَإِنك علَى الْحق" (١)

قال القرطبي: ذكر النبي ﷺ لأمته قصة الغلام ؛ ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها؛ ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره.

1- مسلم (٥٣٢٧)، والقرقور: بضم القافيه (السفينة الصغيرة).

وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار.

وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الايمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم. [1]

(٢) أصحاب النبي ﷺ مع البلاء:

وما أكثر المعاناة التي عاناها أصحاب النبي ﷺ من أذى قريش، وقد ضـرب الصحابة أروع الأمثلة في الصبر والتحمل.

ومن ذلك على سبيل المثال ما قاله ابن مسعود ﷺ كما عند ابن ماجه بسند حسن قال عن الصحابة: فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس" [٢].

وبالرغم من شدة صبرهم وشدة تحملهم إلا أن النبي ﷺكان يغضب عندما يرى منهم من يستعجل النصر والتمكين.

فعن خبابِ بنِ الْأَرت قَالَ شكَونا إِلَى رسول اللهِ ﷺ وهو متوسد بردةً لَـه فِي ظِل الْكَعبةِ قُلْنا لَه: أَلَا تستنصِر لَنا أَلَا تدعو الله لَنا؟ قَالَ: "**كَانَ الرجلُ فِـيمن قَبلَكُم يحفَر لَه فِي الْأَرض فَيجعلُ فِيهِ، فَيجاءُ بِالْمِنشارِ فَيوضع علَى رأْسِهِ فَيشق بِاثْنتينِ وما يصده ذَلِك عن دِينِهِ، ويمشطُ بِأَمشاطِ الْحدِيدِ ما دونَ لَحمِهِ مِـن عظْمٍ أَو عصبٍ وما يصده ذَلِك عن دِينِهِ، واللهِ لَيتمن هذَا الْأَمر حتـى يـسِير**

1- القرطبي (١٩/ ٢٩٣) .

2- ابن ماجه(١٧٤)، وأحمد(٣٦٤٠) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح بن ماجه (١٤٧).

الراكِب مِن صنعاءَ إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الـذئب علـى غنمـه، ولكِنكُم تستعجِلُونَ "[1]

(٣) شيخ الإسلام- ابن تيمية- رحمه الله مع البلاء:

قال الشوكاني ـ رحمه الله : وقع للشيخ ـ رحمه الله ـ من أهل عـصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى في حياته، والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض منهم يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليـه، وهـذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويـدين بالكتاب والسنة فإنه لابد وأن يستنكر المقصرون، ويقع له معهم محنـة، ثم يكـون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ ولا يكون لغيره ، وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف النـاس مقداره ، واتفقت الألسن بالثناء عليه، إلا من لا يعتد بـه، وطـارت مـصنفاته، واشتهرت مقالاته.

فقد تعرض شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ لمحن كثيرة متتابعة، فلا يكاد تمر عليه فترة من الزمن حتى يتعرض لمحنة أو يشارك في معركة، أو تقع بينه وبـين بعـضهم مخاصمة، أو مناظرة حتى ختمت حياته بقلعة دمشق وهو صابر محتسب ، وقد حيل بينه وبين الكتابة والإفادة، فعكف على تلاوة القرآن، فختمه إحدى وثمانين ختمـة انتهى في آخر ختمة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ (القمر:٥٤، ٥٥).

1- البخاري(٦٤٣٠)

ومن المحن التي تعرض لها شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أن أهل حماة كانوا قد وجهوا للشيخ سؤالا سنة ٦٩٨هـ فأجابهم بما عرف بالفتوى الحموية الكبرى التزم فيها قانون السلف في الأسماء والصفات والبعد عن التأويل والتعطيل[1] وكان الحسد قد استقر في قلوب كثير من الفقهاء، فألبوا عليه بعض الولاة، ولكن التتار كانوا مستمرين في زحفهم، ففر الولاة والفقهاء، وصمد لها الشيخ - رحمه الله - فلما منّ الله بالنصر على التتار، واستقرت امور العباد، وعاد الشيخ إلى الإفادة والتصنيف تحرك الحسد من جديد في قلوب الحاقدين؛ لعلو كعب الشيخ وارتفاع مقامه عند العامة والولاة على السواء.

ومن ذلك ما حدث له بسبب الطائفة الأحمدية الرفاعية سنة ٧٠٥هـ ـ ، وكانوا يلبسون أطواق الحديد في أعناقهم ويدهنون بدهن خاص، ثم يدخلون النار لا يحترقون، يمخرقون بذلك على العامة من أهل الإسلام، فاشتد نكير الشيخ عليهم حتى شكوه إلى نائب السلطنة، يطلبون أن يكف الشيخ عنهم وأن يتركهم وحالهم فقال الشيخ: هذا لا يمكن ولابد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولا وفعلا، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولا الحمام، ويغسل جسده جيدا، ثم يدخل إلى النار بعد ذلك إن كان صادقا، ولو فرض أن أحدا من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلك لا يدل على صلاحه، ولا على كرامته، بل حاله من أحوال المخالفين للشريعة إذا كان صاحبها على السنة فما الظن بخلاف ذلك؟

1- وهذا هو منهج أهل الكلام في الأسماء والصفات ،وقد فصلنا ذلك في خطبة تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب .

وانتهى الحال على أن خلعوا أطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه.

ثم ورد في السنة نفسها كتاب من السلطان يحمل الشيخ إلى القاهرة، فتوجه إليها ، وخرجت جموع المسلمين باكية حزينة لوداعه، وهو واثق يرجو ويأمل فلما وصل إلى القاهرة عقد له مجلس في القلعة، اجتمع فيه القادة وكبار رجال الدولـة والقضاء والفقهاء، فلم يمكنوه من الكلام وتولى الإدعاء عليه زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية، فأخذ الشيخ في كلامه فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أجـب ولا تخطب، فعلم أنها المحاكمة لا المجادلة، فقال: من الحاكم في ؟ فقيل لـه: القاضـي المالكي. فقال له الشيخ: كيف تحكم في وأنت خصمي؟ وآل أمر الشيخ إلى الحبس في برج أياما، نقل بعدها ليلة عيد الفطر إلى السجن المعروف بالحب، وحبس معـه أخواه شرف الدين وزين.

لبث في السجن نحو ثمانية عشر شهرا حتى إذا كان شهر ربيع الأول سـنة ٧٠٧ هـ حضر حسام الدين مهما بين عيسى أمير العـرب إلى مـصر، ودخـل السجن، وأخرج الشيخ بنفسه بعد أن استأذن في ذلك.

وخرج الشيخ فأقام بالقاهرة يعلم الخير، وينشر العلم ويجتمع عليه النـاس، حتى تقدم الصوفية بشكاية ضده إلى القاضي، وذكروا أنه يتناول ابن عربي وغـيره من أعلام التصوف في الكلام، وهؤلاء عند الصوفية حريم مقدس لا يمس، فخـير الشيخ بين أشياء: أن يقيم بدمشق أو يقيم بالإسكندرية بشروط أو يحبس، فكان أن اختار الحبس مؤثراً له على قبول تلك الشروط، ودخل السجن في العام الذي خرج فيه.

ورغب أصحاب الشيخ إليه أن يجيب في السفر إلى دمشق ملتزما ما شرطوه عليه، فأجاب وركب متوجها إليها فأبى خصومه إلا يكون في قبـضتهم وتحـت أعينهم، فصدر الأمر برده إلى القاهرة، فرد من الغد إليهـا، وأرسـل إلى حـبس القضاة، وأذن بأن يكون عنده من يخدمه، وكان السلطان الناصر بن قلاوون عارفا قدر الشيخ، محبا له، إلا أنه في تلك الفترة كان قد عزل نفسه، وتولى السلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، وكان تلميذاً لنصر المنبجي الصوفي الذي يصدر عن شرب ابن عربي في آرائه وأقواله، فأصبح شيخ الإسلام عدواً سياسياً على نحو ما، إذ ينظر إليه على أنه من أنصار الناصر بن قلاوون، ويقول في أمور الاعتقاد بغير ما يقول به السلطان بيبرس وشيخ المنبجي الصوفي .

وتقرر نفي الشيخ إلى الإسكندرية في الليلة الأخيرة من شهر صـفر سـنة ٧٠٩هـ ، ومكث بها نحو ثمانية أشهر مقيدا ببرج مليح نظيف له شباكان أحـدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه من شاء، ويتردد عليه الأكابر والفقهاء والأعيان يبحثون معه ويتعلمون منه.

قال الألوسي ـ رحمه الله ـ : ولما دخل الحبس وجد المحابيس مـشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه كالشطرنج والنرد، مع تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله تعالى بالأعمـال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلىء منهم.

وظل الشيخ بالإسكندرية حتى عاد السلطان الناصر إلى عرش مصر في يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩هـ فأمر بإطلاق سراح الشيخ وحمله إلى القـاهرة مكرمـاً فخرج الشيخ منها متوجهاً إلى القاهرة، ومعه خلق من أهلها يودعونه ويسألون الله أن يرده إليهم، وكان وقتا مشهوداً ، ووصل إلى القاهرة في الثامن عشر من شوال، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه.

واستمر الشيخ بالقاهرة ينشر العلم، ويحارب البدع، حتى توجـه الجـيش المصري قاصداً غزو التتار، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقـدس، ومنه إلى دمشق، وجعل طريقه على " عجلون " ووصل دمشق أول يوم مـن ذي القعدة سنة ٧١٢هـ وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع.

عاد الشيخ إلى الشام فعاد إلى نشر العلم، وتصنيف الكتب، والإفتاء كلاما وكتابه يدور مع الكتاب والسنة حيث دارا.

وأفتى الشيخ ـ رحمه الله ـ في مسائل كثيرة من مسائل الفقه على حسب ما أدى إليه اجتهاده، فكان أن أفتي في الحلف بالطلاق بعدم الإلزام، وأنه لا يقع به طلاق، وفرق بين الطلاق المعلق وبينه، وخالف بذلك ما عليـه الأئمـة الأربعـة أصحاب المذاهب، واستنكر الفقهاء من أتباع المذاهب فتوى الـشيخ، وجـاهروا باستنكارهم، وكان ذلك في سنة ٧١٨ هـ، وأشار قاضي قضاة الشام على الشيخ بالكف عن الإفتاء في هذه المسألة ـ مسألة الحلف بالطلاق ـ فقبل ـ رحمـه الله ـ ووردت إشارة من السلطان بمنع الشيخ من الإفتاء بهذه المسألة، ونودي بـذلك في البلد، ولكن الشيخ امتنع قليلاً ثم عاد إلى الإفتاء حتى لا يقع في إثم كتم العلم.

وانعقد مجلس بدار الحكم بحضرة نائب السلطنة حضره القضاة والفقهـاء، والمفتون من المذاهب الأربعة، وعاتبوا الشيخ دون جداله، وتكرر العتاب والرجاء،

ولم يفد كل ذلك شيئا فتقرر حبسه بأمر نائب السلطنة واستمر محبوسا خمسة أشهر وثمانية عشر يوما، تبدأ من اليوم الثاني والعشرين من رجب سنة ٧٢٠هـ، وأفرج عنه بأمر السلطان في اليوم العاشر من محرم سنة ٧٢١هـ.

وعاد الشيخ إلى دروسه من جديد، إلا أن الأعين المتربصة بـه، والقلـوب الناقمة عليه، كانت له بالمرصاد، واجتمع المتأمرون عليه، وكاتبوا السلطان فجـاء الأمر إلى دمشق في السابع من شعبان سنة ٧٢٦ هـ بحبس الشيخ في القلعة قلعـة دمشق.

وفرح الشيخ بالحبس هذه المرة، وأخذ يطالع في سجنه ويصنف التـصانيف ويرسلها خارج سجنه، حتى ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده مـن كتـب وأوراق ومحابر وأقلام ومنع منعا باتا من المطالعة، وكان ذلك في اليوم التاسع مـن جمادي الآخرة سنة ٧٢٨هـ.

ولم يطل الأمر بالشيخ ـ رحمه الله ـ فقد مرض في محبسه، وكانت مـدة مرضه بضعة وعشرين يوما، واستأذن الوزير شمس الدين في الدخول عليه لعيادتـه فأذن له الشيخ في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحله مما كان منه، فأجابه الشيخ أنه قد أحله مما كان منه لكونه فعل ذلك مقلداً غير معذور ولم يفعله لحظ نفسه، وقال: قد أحللت كل أحد مما بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله ﷺ.

ثم توفى الشيخ رحمه الله ليلة الأثنين لعشرين من ذي القعـدة سـنة ثمـان وعشرين وسبعمائة، وكان بعد إخراج كتبه قد عكف على كتاب الله عز وجـل، فكان يختم كل عشرة أيام ختمه. [1]

البلاء أولا ثم التمكين والنصر:

لما صبر صحابة النبي ﷺ على أذى المشركين، دانت لهم الدنيا بعد ذلـك ، وخضعت لهم رقاب العالمين، فصار كل واحد منهم بعد ذلك أميراً على قطر مـن الأقطار كما قال بلال.

وسئل الإمام مالك (رحمه الله): أيمكن للرجل أولاً ؟فقال: يبتلى الرجـلُ أولاً ثم يمكن له. وقد مر معنا قول الشافعي السابق.

كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]

كرامات الصابرين :

(١) البشرى من الله لهم: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة : ١٥٥] ومعنى صلاة الله عليهم: ثناؤه عليهم .

1- من أعلام السلف للشيخ أحمد فريد ، ط (دار العقيدة) ص(٦٥٧- ٦٦٣) .

(٢) نيل الغرف: قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان : ٧٥] ، والغرفة هي الجنة .

(٣) الأجر الجزيل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر : ١٠]، قال العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر لا يحصر أجره إلا الله .

(٤) تسليم الملائكة عليهم : قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤]

(٥) الجزاء بأحسن العمل: قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل : ٩٦] .

(٦) معية الله لهم: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة : ١٥٣] .

والمعية هنا هي معية النصر والتأييد، كما فصلنا ذلك في تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب.

(٧) محبة الله لهم: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

الخطبة الرابعة: عوامل الثبات عند الابتلاء

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

فإذا ابتليت أخي بمصيبة كمرض، أو عقوق أحد أبنائك، أو فقد أحـب الناس إليك، أو أي نوع من أنواع الابتلاءات التي لا حصر لها فعليك بالآتي:

أولا: الإيمان بالقدر:

أن تؤمن أن الله قدر كل شيء يكون إلى ما لا نهاية له ، وأنه سبحانه قدره عن علم [1] . قال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأنعام: ٥٩

والقدر معناه: تقدير الله تعالى في الأزل.

أما القضاء فهو حكم الله بالشيء عند وقوعه.

قال الإمام ابن الأثير: وهما - أي القضاء والقدر- أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء وهو القـضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

وينبغي عليك – أخي الحبيب – أن ترضى بما قدره الله لك وأن تطمئن إليه ، وأن تعلم أن ما قدره الله لك قدره لحكمة عظيمة ، وغاية محمودة ، يـستحقها عليها الحمد فما عليك دوماً ودائماً إلا أن تقول الحمد لله على كل حال ، كمـا ورد في سنن الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال : **" إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي قالوا : نعم ، قبضتم ثمرة فـؤاده قالوا : نعم ، فيقول تعالى لملائكته ماذا قال عبدي ، فتقول : حمدك واسترجع ، فيقول جل وعلا لملائكته : ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ".** [2]

1- والقدر له أربع مراتب: العلم، والكتابة والخلق والمشيئة .

2- حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٤٠٨)

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان الذي جاء في حديث جبريل المعروف.

وكما في سنن أبي أبي داوود عن ابن الديلمِي قَالَ: أتيت أُبي بن كَعبٍ ﷺ فَقُلْت لَه: وقَع فِي نفْسِي شيءٌ مِن الْقَدرِ فَحدثْنِي بِشيءٍ؛ لَعل الله أَنْ يذْهِبه مِـن قَلْبِي! قَالَ: لَو أَن الله عذب أَهلَ سماواتِهِ وأَهلَ أَرضِهِ عذبهم وهو غَير ظَالِمٍ لَهم، ولَو رحِمهم كَانت رحمته خيرا لَهم مِن أَعمالِهِم، ولَو أَنفَقْت مِثْلَ أُحدٍ ذَهبا فِـي سبِيلِ اللهِ ما قَبِلَه الله مِنك حتى تؤمِن بِالْقَدرِ، وتعلَم أَن ما أَصـابك لَـم يكُـن لِيخطِئَك وأَن ما أَخطَأَك لَم يكُن لِيصِيبك، ولَو مت علَى غَيرِ هذَا لَدخلْت النـار. قَالَ: ثُم أَتيت عبد اللهِ بن مسعودٍ ﷺ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِك، قَالَ: ثُم أَتيت حذَيفَةَ ابـن الْيمان ﷺ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِك قَالَ: ثُم أَتيت زيد بن ثَابِتٍ ﷺ فَحدثَنِي عن النبِـي ﷺ مِثْلَ ذَلِك" [1]

فإذا أصيب العبد بمصيبة فليقل: قَدر الله وما شاء فعل؛ وذلك لمـا ورد في كتاب القدر من صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول ﷺ:**"الْمؤمِن الْقَوي خير وأَحب إِلَى اللهِ مِن الْمؤمِن الضعِيفِ، وفِي كُل خير، احرِص علَى ما ينفَعك واستعِن بِاللهِ ولَا تعجز، وإِنْ أَصابك شيءٌ فَلَا تقُلْ: لَو أَني فَعلْت كَـانَ كَذَا وكَذَا ولَكِن قُلْ قَدر اللهِ وما شاءَ فَعلَ؛ فَإِن لَو تفْتح عملَ الشيطَانِ"** [2]

1- أبو داوود (٤٠٧٧) وأحمد (٢٠٦٠٧)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١١٥) .
2- مسلم (٤٨١٦).

هل الدعاء يغير في قضاء الله ؟

لا شك أن للدعاء تأثيراً في التغيير، لكن هذا التغيير الذي سببه الدعاء هـو مكتوب أيضا، والدعاء مكتوب أيضا [1] .

ثانيا:الصبر على البلاء:

الصبر لغة: الحبس والمنع ، ومنه قولهم: فلان قُتل صبراً أي محبوساً مأسوراً.

ومعناه في الاصطلاح: هو حبس النفس على أشياء وعن أشياء.

وقيل : هو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي وحـبس الجوارح عن المعاصي .

وهو ثلاثة أشياء:

صبر على المأمور، وصبر على المحظور، وصبر على المكروه.

فالأول: هو الصبر على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[طـه:١٣٢] وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾[الإنسان :٢٣، ٢٤]

والثاني: الصبر عن معصية الله، كصبر يوسف عليه السلام عن إجابة امرأة العزيز

والثالث: الصبر على المكروه، وهو الصبر على أقدار الله، قال تعـالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[الإنـسان:٢٤] ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[الأحقاف: ٣٥]

1- وانظر تفصيل ذلك في خطبة الدعاء من هذا الكتاب.

أولا: الصبر على المأمور ويشتمل على الآتي:

(١) الصبر على أوامر الله:

إن الطريق إلى الله مليء بالعوائق؛ لأن النفس بطبيعتها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس، ولذلك فإن الأمر يحتاج إلى ترويض واصطبار، وقد أمر الله بالصبر على طاعته في كثير من سور القرآن، وعلى لسان خير الأنام ﷺ فقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم:٦٥]

والصبر على طاعة الله يتكون من ثلاث شعب:

الأولى: صبر قبل الطاعة، ويكون ذلك بتصحيح النية والإخلاص، والتبرؤ من شوائب الرياء؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ [هود :١١] فقدم سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر على الطاعة أثناء تأديتها، دون تغافل أو تكاسل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]

الثالثة: الصبر بعد العمل : فلا ينظر لنفسه بعين العجب ، فيتظاهر بما قدم سمعةً ورياءً ، بل عليه أن يحمد الله على أن وفقه لهذا العمل ، ولا يكون له هم إلا هل قبل الله العمل أم رده ؟

فللأسف الشديد نسمع من بعض الناس من يقول : أنا الصائم النهار أنا القائم الليل ، أنا الحافظ لكتاب الله ، ويضيع الثواب بكلامه هذا ، فينبغي عليه أن يقوم بالعمل دون إعجاب أو رياء .

(٢) الصبر في الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله هي رسالة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وهي من أعظم القربات إلى الله؛ لأن العمل المتعدي نفعه يكون دائما أعظم أجراً من المقصور نفعه على الشخص، ولذا فطريق الدعوة محفوف بالمتاعب والآلام، لكن على قدر التعب والآلام يكون الأجر عند الله، وتكون الثمرة لدعوته، لذا يعترض الداعية إلى الله بعض المعوقات ،

ومن هذه المعوقات ما يلي:

(أ) إعراض الناس عن الدعوة:

وهذا من أصعب الأشياء على النفس، أن يصيح الإنسان بأعلى صوته وينادي بملء فيه فلا يجد إلا آذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، كما حدث مع نوح وغيره من الأنبياء حتى خاتم الأنبياء، والإعراض هو سبيل المجرمين دائما: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الطور:٣٢]

وعلى الداعية في ذلك أن يصبر ويعلم أن العاقبة له بقدر إخلاصه وهمته في الدعوة، ولا يضعف من أول وهلة، وليتأس في ذلك بسيد المرسلين ﷺ بعد أن لاقى الأذى من أهل الطائف، وقبلهم أهل مكة ، فعن عائشةَ (رضِي الله عنها) زوج النبِي ﷺ حدثته أنها قالت لِلنبِي ﷺ هلْ أتى علَيك يوم كانَ أشد مِن يومِ أحدٍ؟ قالَ:"**لقَد لقِيت مِن قَومِكِ ما لقِيت، وكانَ أشد ما لقِيت مِنهم يوم العقَبةِ إِذْ عرضت نفْسِي علَى ابن عبدِيالِيلَ بن عبدِكُلَالٍ فَلم يجِبنِي إِلَى ما أردت، فَانطَلَقْت وأنا مهموم علَى وجهي، فَلم أستفِق إِلا وأنا بِقَرن الثعالِبِ، فَرفَعت رأسِي فَإِذَا أنا بِسحابةٍ قَد أظَلتنِي.**

فَنظرت فَإذَا فِيها جِبرِيلُ فَنادانِي فَقَالَ: إن الله قد سمِع قَولَ قَومِك لَك وما ردوا عليك، وقد بعثَ إلَيك ملك الْجِبال لِتأمره بِما شِئْت فِيهِم فَنادانِي ملك الْجِبال فَسلم علي ثُم قَالَ: يا محمد فَقَالَ ذَلِك فِيما شِئْت إنْ شِئْت أَنْ أُطْبِق عليهِم الْأَخشبين فَقَالَ النبِي ﷺ: بلْ أرجو أنْ يخرِج الله مِن أصلَابِهِم من يعبد الله وحده لَا يشرِك بِهِ شيئًا"(1)

وبالفعل تحقق كلامه ﷺ فأسلم خالد رضي الله عنه وهو ابن الوليد بن المغيرة، الذي نزل في شأنه قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ الآيات (من ١١ إلى ٢٩) من سورة المدثر ، وعمرو بن العاص فاتح مصر، وعكرمة، وغيرهم ممن خدموا دين الله عز وجل.

(ب) الأذى من الناس قولاً وعملاً:

الداعي دائماً يتهم بما ليس فيه، فيردون الحلم بالجهل ، والإحسان بالإساءة، وعليه هنا أيضا التأسي بالأنبياء، كما حدث مع لوط عليه السلام حين نهى قومه عن العادة السيئة قالوا عنه وعن أتباعه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل:٥٦] وكما حدث مع النبي محمد ﷺ حين قالوا عنه: ساحر وكاهن، وأذاقوه ألوان العذاب، فما كان منه إلا الصبر والصفح الجميل.

فعلى الداعي هنا أن يعفوا ويصفح ويصبركما قال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت :٣٤]

1- البخاري (٢٩٩٢) ومسلم (٣٢٥٢).

(٣) الصبر على الزوجة والأولاد:

لا تستقيم الحياة الزوجية بين الزوجين إلا إذا كانا الزوجان واقعيين يـصبر كل منهما على الآخر ؛ لأنه لا يوجد إنسان يخلو من العيوب، فعلـى الـزوج أن يصبر على زوجته ، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللـهِ ﷺ: **"لا يفْرك مؤمن مؤمنةً إنْ كره مِنها خلُقًا رضِي مِنها آخر أو قَالَ غَيره "**[1]

وقد أمر الله الرجال بحسن العشرة مع النساء فقال تعـالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩]

وكذلك يصبر الإنسان على أمر زوجته وولده بأوامر الله كما قال تعـالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٠]

وقال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦]

(٤) الصبر على الإخوة في الله:

قد حث الرسول ﷺ على الإخوة في الله وحبب فيها وفي ثوابهـا كمـا في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ:**"سبعةٌ يظِلهم الله تعالى فِي ظِلِهِ يوم لا ظِل إلا ظِله: إمام عدلٌ، وشاب نشأ فِي عِبادةِ اللهِ، ورجلٌ قَلْبه معلق فِي الْمساجِدِ، ورجلَان تحابا فِي اللهِ اجتمعا علَيهِ وتفَرقَا علَيهِ، ورجلٌ دعته امـرأةٌ ذَات منصِبٍ وجمالٍ فَقَالَ: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بِصدقَةٍ فَأَخفَاها حتى**

1- مسلم (٢٦٧٢)، ومعنى يفرق: يغضب.

لا تعلم شِمالُه ما تنفِق يمِينه، ورجلٌ ذَكر الله خالِيا فَفَاضت عيناه "[1]، فـذكر منهم الإخوة في الله تعالى .

فإذا رأى الإنسان من أخيه فعلاً يكرهه فليصبر عليه؛ حتى لا يكون عونـاً للشيطان عليه، ويدرء السيئة بالحسنة كما أمر الله، ويلتمس له الأعذار كما كـان يفعل صحابة النبي ﷺ، كذلك إذا رأى من أخيه جفوة وانقطاعاً فليصلْ هو عمـلاً بقوله ﷺ: **"عليكُم بِالْجماعةِ وإياكُم والْفُرقَةَ؛ فَإن الشيطَانَ مع الْواحِدِ وهو مِن الِاثْنين أبعد، من أراد بحبوحةَ الْجنةِ فَلْيلْزمِ الْجماعةَ، من سرته حسنته وسـاءَته سيئَته فَذَلِكُم الْمؤمِن "**[2]

وقوله ﷺ :"**إنما يأكلُ الذئب من الغنمِ القاصيةَ**"[3]أي البعيدة المنفردة

وكذلك أنك لو تركت أخاك أخذه أهل الباطل من شياطين الإنس والجـن وهم كثر - لا كثرهم الله- فتكون بذلك أعنت الشيطان على أخيك، وقد نهـى النبي ﷺ عن ذلك فقال: **"لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكُم"** [4]

(5)الصبر على طلب العلم:

العلم ميراث الأنبياء، فمن سلك سبيله فقد أخذ بحظ وافر، ولذا يجب على طالب العلم أن يتحلى بما يلي:

1- البخاري (١٣٣٤) ومسلم (١٧١٢) .

2- الترمذي (٢٠٩١) وأحمد (١٧٣) وضحه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٣١).

3- النسائي (٨٣٨) وأبو داود(٤٦٠) وأحمد (٢٦٢٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٢٧) .

4- أحمد (٣٩٥٥) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٤٤٢).

(أ) التواضع: فقد أدب الله موسى، وهو نبيه لما قال: لا أعلم أحداً علـى الأرض أعلم مني[1] . فكان يجب أن يرد العلم إلى الله ، ولكن نسبه إليه فأدبه ربه .

وكذلك ما روي عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:"**من تعلـم الْعِلْـم؛ لِيباهِي بِهِ الْعلَماءَ، ويجارِي بِهِ السفَهاءَ، ويصرِف بِهِ وجوه الناسِ إِلَيهِ أدخله الله جهنم**" [2]

(ب) يجب أن يصبر ويصابر: لأن من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(ج) أن يلتزم مع شيخه بما عقد معه من شرط ؛فالمؤمنون عند شروطهم.

(د) يجب على الشيخ أن يراعي ضعف تلميذه، فلا يؤاخذه من أول عثرة بل عليه أن يذكره ويتعهده بالإرشاد، وكان **عمر يقـول:** تَواضـعوا لِمـن علمتُـم، وتَواضعوا لِمن تُعلمون، ولاَ تَكُونُوا مِن جبارِي الْعلَماءِ[3].

ثانيا: الصبر على المحظور:

وهو الصبر على شهوات النفس الأمارة بالسوء من نساء وأموال يجمعها مـن أي طريق ومن غيبة ونميمة، ومن غير ذلك من المحظورات التي نهى الله عنها.

فعلى العبد الصالح أن يجمح نفسه، وأن لا يترك لها العنان فتهلكه، ويعلم أن معصية واحدة قد تكون سبباً في شقائه في الدارين.

كما جاء عن حذَيفَةُ ﷺ قال: سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:" **تعرض الْفِتن علـى الْقُلُوبِ كَالْحصِيرِ عودا عودا، فَأي قَلْبٍ أُشربها نكِت فِيهِ نكْتةٌ سـوداءُ، وأي**

1- أحمد (٢٠٢٠٠) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤).

2- ابن ماجه (٢٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٠) .

3- الموسوعة الفقهية الكويتية (٩/١٣)، دار السلاسل بالكويت، الطبعة الثانية .

قَلْبٍ أنكرها نكِت فِيهِ نكْتةٌ بيضاءُ، حتى تصِير على قَلْبين على أبيض مِثْل الصفَا فَلَا تضره فِتنةٌ ما دامتِ السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كَالْكُوزِ مجخيا لَا يعرف معروفًا ولَا ينكِر منكرا، إلا ما أشرب مِن هواه" [1]

وعليه أن لا يستصغر معصية من المعاصي؛ فالصغيرة تأتي بالكبيرة وفي الحديث: "لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" [2]

يقول ابن القيم – رحمه الله:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى .

يقول صاحب البردة:

والنفس كالطفل إن تتركه شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

ثالثا: الصبر على المكروه:

وهذا هو ما فصلناه في الخطبة السابقة، وهو كما قلنا لا يخلو منه بر ولا فاجر، وعلى الإنسان أن يصبر ويصابر ولا يتسخط بقضاء الله بل يصبر ويحتسب.

1- مسلم (٢٠٧) ، ومعنى مرباداً: شيء من بياض يسير يخالطه السواد، مجخياً:منكوثاً مائلاً .

2- ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٠٨)

اصبر لكـل مـصيبة وتجلـد ... واعلم أن المرء غـير مخلـد

اصبر كمـا صـبر الكـرام ... فإنها نوب تنوب اليوم تكشف في غدٍ

وإذا أتتك مـصيبة يرثـى لهـا ... فاذكر مصابك بالنبي محمـد

وصدق من قال:

إذا أصابتك نكبة فاصبر لهـا ... وارع الأمانة والخيانة فاجتنب

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتـي ... من ذا رأيت مسلما لا ينكـب

اعدل ولا تظلم يطب لك مكسب ... والنصح أغلى ما يباع ويوهـب

أيها المبتلى: إياك والتفريط في الصلاة:

أنصحك -أيها المبتلى- وأنصح نفسي بعدم التفريط في الصلاة مهما كـان الأمر، فأثناء زيارتي لأحد المرضى الأقارب سألت أخاه: هل يصلي؟ فقال بصراحة: لا، فسألت عن السبب، فقال: لأن حالته النفسية سيئة للغاية، فقلت لأخيـه: ألا تعلم أنه لو مات الآن يموت على خطر عظيم؟! ألا يعلم هذا الرجـل أن الـصلاة تفرج عنه ما هو فيه؟! فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، بـل كان يقول ﷺ لبلال: **«يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»**[1] فالصلاة عماد الدين، ولن يقوم دين بلا عماد، أليس كذلك؟! بلى..

فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وعليـك بقـراءة القرآن؛ فإن الله ربط بين القرآن والصلاة، فقـال: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ

1- أبو داود (٤٣٣٣) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت٤٥] فـ اقرأ القرآن ولا تغفل عنه، وصل؛ فالصلاة صلة عظيمة بينك وبين رب الأنام، وللأسف ما أكثر تاركي الصلاة اليوم من المرضى!

وعلينا أن نذكر هذا المريض بخطئه العظيم، فالصلاة عمود الإسلام، فالرجل المصلي الصابر في معية الله- كما أسلفنا القول- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]

وواجبنا نحوه وجوب مناصحته ودعوته الدائمة إلى الحق، فإن أصر على تركها فيجب تركه وهجره وعدم إجابة دعوته؛ حتى يتوب إلى مولاه؛ فيتوب الله عليه برحمته وفضله.

ونبشره بحديث النبي«**ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا نصبٍ ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته**» [1]

ولكن انظر مرة ثانية إلى قول النبي ﷺ: **ما يصيب المؤمن**، وهل يتخيل أن هناك مؤمنا لا يصلي لله العلي الكبير؟!

إن الله يريد أن يطهرك؛ حتى تمشي على الأرض ما عليك خطيئة، فهل أنت على الدرب سائر إلى ربك.. ملتزم بسنة نبيك؟!.

واجبنا نحو أهل البلاء :

وأهيب بإخواننا أن يحرصوا على زيارة إخوانهم المرضى قدر استطاعتهم، فسيجدون عندهم رب العالمين بفضله وكرمه؛ حتى لا يعاتبهم ربهم، كما ورد في الحديث القدسي الطويل، وشاهدنا فيه قول ربنا عز وجل يوم القيامة: « **إن الله**

1- مسلم (٤٦٧٠) .

عز وجل يقُولُ يوم الْقِيامةِ: يا ابن آدم مرضت فَلَم تعدنِي! قَالَ: يا رب كَيـف أعودك وأنت رب الْعالَمِين؟! قَالَ: أما عَلِمت أن عبدِي فُلَانا مرض فَلَم تعده، أما عَلِمت أنك لَو عدته لَوجدتنِي عِنده.

يا ابن آدم استطْعمتك فَلَم تطْعِمنِي! قَالَ: يا رب وكَيف أُطْعِمك وأنت رب الْعالَمِين؟ قَالَ: أما عَلِمت أنه استطْعمك عبدِي فُلَانٌ فَلَم تطْعِمه، أما عَلِمت أنك لَو أطْعمته لَوجدت ذَلك عِندِي.

يا ابن آدم استسقَيتك فَلَم تسقِنِي قَالَ: يا رب كَيف أَسقِيك وأنت رب الْعالَمِين؟ قَالَ: استسقَاك عبدِي فُلَانٌ فَلَم تسقِهِ أما إِنك لَو سقَيته وجدت ذَلك عِندِي» [1]

انظر إلى معية الله عند المريض؛ فالمريض منكسر، فـأراد ربـك أن يجـبر انكساره بهذه المعية بلا تمثيل أو تشبيه أو تعطيل.

وقال رسول ﷺ:"**خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنـة: مـن عـاد مريضا، وشهد جنازة، وصام يوما، وراح إلي الجمعة، وأعتق رقبة**" [2]

وقال أيضا ﷺ : "**من عاد مريضا ناداه منادٍ من السماء: طبت، وطـاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا**" [3].

وقَالَ أيضاً ﷺ : « **عائِد الْمرِيضِ فِى مخرفَةِ الْجنةِ حتى يرجِع** » [4]

1- مسلم (٤٦٦١) .

2- صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٢٣) .

3- صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٧٤).

4- مسلم (٤٦٥٧)، وأحمد (٢١٤٠٩) وانظر الصحيحة (١٩٢٩)

مخرفة الجنة :أي جناها وهو ما يجتنى من نخلها

وقال أيضاً ﷺ : « **ما مِن مسلِمٍ يعود مسلِما غُدوةً إلا صلى عليهِ سبعونَ ألف ملكٍ حتى يمسِي، وإنْ عاده عشِيةً إلا صلى عليهِ سبعونَ ألف ملكٍ حتى يصبِح، وكانَ له خريف فِي الْجنةِ**» [1]

وعلينا أن نذكره بعظيم ثواب الله الذي أعده للصابرين المحتسبين، كما مر معنا في الأحاديث السابقة، ونؤمله في الفرج، ونقول له:

يا صاحب الهم إن الهم منفـ ـ ـرج ... أبـشر بقـرب فـإن الفـارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبـ ـ ـه لا ... تيأسـ ـن فـ ـإن الكـ ـافي الله
الله يحدث بعد العسر ميـسـ ـرة لا ... تجزعن فإن القـادر اللـ ـ ـ ـ ـه
إذا بليـت فثق بالله وارض بـ ـه إن ... الذي يكشف البلوى هـو اللـ ـه

شروط الصبر:

أي لكي يؤجر الإنسان على هذا الصبر لا بد من شروط ومنها :

أولا: الإخلاص:

وهو شرط لقبول أي عمل قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف :١١٠] العمل الـصالح هـو الموافـق للكتاب والسنة

1- الترمذي (٨٩١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٧٦) .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي يخلص أعماله من الرياء، فتكون خالصة لله تعالى، فالصبر المحمود في الكتاب والسنة الذي يؤجر عليه صاحبه، هو ما كان لله تعالى؛حيث يقول تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[المدثر:٧]

ولا ينافي الإخلاص دمع العين، ولا حزنُ القلب؛ فقد قَالَ ﷺ: **"تدمع العين، ويحزنُ القلب، ولا نقُولُ إلا ما يرضى ربنا، واللهِ يا إبراهيم إنا بك لمحزونونَ"** (١)

ثانيا: عدم شكوى الله:

أي الشكوى للعباد مع التسخط على قضاء الله، لكنه لو كان يوضح شدة ألمه مع الرضا بقضاء الله وقدره فلا بأس؛ وكذلك أيضا لو اشتكى إلى الله حاله كما فعل أيوب عليه السلام﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء :٨٣] لكي يعافيه الله من هذا البلاء الذي حل به، وكما قال موسى عليه السلام﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص:٢٤] حيث كان موسى ﷺجوعان فاشتكى إلى الله الجوع؛ ليطعمه فهذا كله جائز طالما ليس فيه تسخط على قدر الله (٢)

ثالثا: أن يكون الصبر في أوانه:

أن يكون في أوانه : فالصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان في أوانه ، أما إذا فات أوانه فلا جدوى منه ، لأنه صبر في غير محله وبعد انتهاء أمده وزمانه ، قال

1- مسلم (٤٣٧٩) .

2- كأن يقول مثلا: يا رب ليس هناك إلا أنا كي تبتليني بهذا المرض، أو ما شابه ذلك من الأقوال التي فيها تسخط على قدر الله عزوجل .

تعالى عن صبر أهل النار : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢١]

وقال تعالى : ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الطور: ١٦]

وكما جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فَقَالَ: "**اتقي الله واصبري**" قَالَت إليك عني؛ فَإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفْه، فَقيلَ لَها: إنه النبيﷺ فَأتت باب النبي ﷺ فَلم تجد عنده بوابين فَقَالَت: لم أعرفْك. فَقَالَ:"**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**"[1]

أي عند وقوع المصيبة مباشرة، وليس بعد أن نشق الجيوب ونلطم الخدود وندعو بدعوى الجاهلية نتذكر حمد الله والاسترجاع والصبر .

عقبات في طريق الصبر:

(١) الاستعجال:

الإنسان مولع بالعجلة؛ لأنه خلق من عجل، والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وعلى العبد أن يعلم أن لكل ثمرة أواناً لقطفها ونضجها، وقديما قالوا: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يصبر فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[الأحقاف:٣٥]

1- البخاري (١٣٠٣) ومسلم (١٥٣٥) .

والاستعجال دائما من سنن المشركين، فقد كانوا يستعجلون العذاب، فـرد الله عليهم بما يقطع دابرهم فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[العنكبوت:٥٣]

(٢)الغضب:

على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة؛ عسى الله أن يهدي بك رجلاً واحداً ، فهذا خير لك من حمر الـنعم – الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب – كما قال ﷺ.

وعن أَبِي هريرة ﷺ أن رجلًا قَالَ لِلنبِي ﷺأَوصِنِي قَالَ:"**لَا تغـضب فَـردد مِرارا قَالَ لَا تغضب** "[1]

وكلمـا صبـر الإنسان وتحمل كلما عظم أجـره، وعظمـت دعوتـه، وعظمت ثمرتها.

(٣) الضيق:

قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل : ١٢٧]

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود :١٢]

1- البخاري (٥٦٥١).

فعلى الإنسان أن ينصح ويذكر فقط، وليست عليه هداية الناس إنما الذي يهديهم حقيقة هو الله [1]

(٤) اليأس:

وهو آفة الصبر الكبرى؛ لأنها تطفيء سراج الأمل، فيترك العبد العمل ويخلد إلى الكسل، ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على غـرس بـذور الأمل في نفوس المؤمنين، قال تعـالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]

وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج النبي الأمـين عليه أفضل الصلاة والتسليم عندما جاءه خباب ابن الأرت كما مر معنا.

أمور لا تنافي الصبر:

(١) الشكوى إلى الله:

التضرع إلى الله والالتجاء إليه ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمـة؛ لأن العبد يظهر عبوديته لله، وحاجته لربه، ومسكنته بين يديه.

وقد تحل بالإنسان المصيبة فيشكو همه ويبث حزنه إلى الله، وهذا المقـام لا ينافي الصبر ولا يخدشه .

1- **الهداية نوعان: هداية الدلالة والتوضيح** وهو أن يدل الناس على طريق الله، وهذا معنـى قولـه تعالى لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] .

والنوع الثاني :وهي هداية التوفيق والإرشاد وهذه لا يملكها إلا الله قال تعالى لنبيـه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص:٥٦]

فإن يعقوب – عليه السلام – وعد بالصبر الجميل فيما أخبر الله عنه فقـال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسـف] وقـال أيـضا: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

وأيوب – عليه السلام – أخبر الله سبحانه وتعالى أنه من الصابرين، ومع ذلك فقد شكا مصيبته إلى الله حين ناداه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء] ، فإذا أصاب العبد مصيبة فشكا إلى الله وطلب منه كشفها، فهذا لا ينافي الصبر .

(٢) الحزن ودمع العين:

كما مر معنا من حزن النبي ﷺ وبكائه على ولده إبراهيم.

الخطبة الخامسة: سماحة الإسلام وإرهاب الغرب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالةٌ، وكُل ضلالةٍ فِي النارِ.

إن من المصطلحات التي أطلقها الكفار في هذه السنوات الأخيرة واستحدثوها مصطلح الإرهاب، وهو اصطلاح شاع وذاع في الأمة الإسلامية بواسطة وسائل الإعلام في العالم العربي والإسلامي التي تردد في أغلبها ما يقوله اليهود والنصارى في وسائل إعلامهم.

وقد راج هذا المصطلح وأصبح يردد على ألسنة العوام؛ بسبب التكرار الإعلامي، والتركيز الشديد الماكر على هذا المصطلح الغامض الذي تلتبس فيه الحقائق، وتضيع فيه الحقوق، ولا يفرق فيه بين الحق والباطل.

فكان من الواجب علينا أن نبين للأمة حقيقة الإرهاب ومعناه عند اليهود والنصارى، والأهداف التي ينشدونها من وراء هذه الكلمة، وكذلك معنى الإرهاب في الشريعة الإسلامية وحدوده التي لا يتعداها؛ كي تكون الأمة على بينة من هذا المصطلح، ويتضح لها بجلاء الفرق الكبير بين الإرهاب في الشريعة الإسلامية والإرهاب الذي تردده وسائل الإعلام الغربية وتروج له بين المسلمين .

تعريف الإرهاب:

لغة: قال صاحب اللسان: رهِب بالكسر يرهب رهبةً ورهباً بالضم ورهباً بالتحريك أي: خاف، ورهِب الشيءَ رهباً ورهباً ورهبةً خافه [1] .

قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]

أما في الاصطلاح:

الإر**هاب** في **الشريعة الإسلامية قسمان:**

الأول: وهو المذموم المحرم، وهو الاعتداء على المدنيين الأبرياء بدون ذنب ارتكبوه، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

1- لسان العرب، مادة: رهب طبعة (دار: صادر ببيروت) .

ويدل على ذلك ما ورد في السنه أنه ﷺ قال: **"من أمن رجلًا على نفْـسِهِ فَقَتلَـه أعطِي لِواءَ الْغدرِ يوم الْقِيامةِ"**[1]

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنـهما) أنه ﷺ قال: **"من قَتلَ معاهدا لَم يرح رائِحةَ الْجنةِ؛ وإِن رِيحها توجد مِن مـسِيرةِ أربعِين عاما"** [2]

وقال ﷺ : **"أَلَا من ظَلَم معاهِدا، أَو انتقَصه، أَو كَلَّفَه فَوق طَاقَتِهِ، أَو أَخذَ مِنه شيئًا بِغيرِ طِيبِ نفْسٍ فَأَنا حجِيجه يوم الْقِيامةِ"** [3]

والمعاهد: هو كل من أخذ أماناً على نفسه وماله، سواء كان مـن قبـل السلطان أو أي واحد من المسلمين، حتى لو كانت امرأة .

الثاني: وهو الإرهاب المشروع، وهو إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال :٦٠]

أما الإرهاب عند اليهود وأعوانهم اليوم فهو أن يحتلوا بـلاد المـسلمين ، ومقدساتهم وينهبوا خيراتهم ، ويزيلوا شريعتهم ، ويستبدلوها بقوانين وضعية.

فإذا تصدى المسلمون للدفاع عن الأرض فهم عندئذ إرهابيون - في نظـر اليهود - ويجب أن يتكاتف العالم كله للتخلص من هؤلاء الإرهابيين.

---

1 - ابن ماجه (٢٦٧٨) وأحمد (٢٠٩٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١٧٧) .

2 - البخاري (٢٩٣٠) .

3 -أبو داوود (٢٦٥٤)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٥) .

صور من سماحة الإسلام:

(١) وصية الإسلام للمجاهدين:

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة :١٩٠]

وكما جاء في صحيح مسلم عن سليمانَ بن بريدةَ عن أبيهِ قَـالَ: كَـانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذَا أمر أميرا علَى جيشٍ أو سريةٍ أوصاه في خاصتِهِ بتقْوى اللهِ ومن معه مِن الْمسلِمين خيرا، ثُم قَالَ:"**اغْزوا باسمِ اللهِ في سبيلِ اللهِ، قَاتِلُوا من كَفَر باللهِ، اغْزوا ولَا تغلوا ولَا تغدِروا ولَا تمثُلُوا ولَا تقْتلُوا وليدا، وإذَا لَقِيت عدوك مِن الْمشرِكِين فَادعهم إلَى ثَلَاثِ خِصالٍ أو خِلَالٍ، فَأيتهن ما أجابوك فَاقْبلْ مِنهم وكُف عنهم، ثُم ادعهم إلَى الْإسلَامِ فَإنْ أجابوك فَاقْبلْ مِنهم وكُف عنهم** "[1]

وقال ﷺ كما عند أبي داوود: "**ولَا تقْتلُوا شيخا فَانيا ولَا طِفْلًا ولَا صغِيرا ولَا امرأةً، ولَا تغلوا وضموا غَنائِمكُم وأصلِحوا، وأحـسِنوا إن اللـه يحِـب الْمحسِنين**"

وفي رواية "**ولا تمثلوا بالبهائم**" [2]

وهذه هي نفس الوصايا التي كان يوصي بها الخلفاء الراشدون (رضـي الله عنهم) .

1- مسلم (٣٢٦١)، وأحمد (٢١٩٥٢) .

2- أبو داوود (٢٢٧٤)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود (٥٦١) .

(٢) مع الأسرى في الحرب[١]:

قد عامل النبي ﷺ الأسرى أحسن معاملة، وأمر أصحابه أن يحسنوا إليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم في كل شيء، وأشير عليه ﷺ أن يمثل بسهيل بن عمرو أحد المحرضين على محاربة الإسلام والمسلمين بأن ينزع ثنيتيه السفليتين فلا يستطيع الخطابة فرفض النبي ﷺ وقال: " **لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا**"[٢]، وكذلك الحال مع أسرى بني المصطلق .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بعثَ النبِي ﷺ خيلًا قِبلَ نجدٍ فَجاءَت برجلٍ مِن بني حنِيفَةَ يقَالُ لَه ثُمامةُ بن أُثَالٍ فَربطُوه بِسارِيةِ مِن سوارِي الْمسجِدِ فَخرج إِلَيهِ النبِيﷺ فَقَالَ: **"ما عِندك يا ثُمامةُ؟"** فَقَالَ: عِندِي خيرٍ يا محمد إِنْ تقْتلْنِي تقْتلْ ذَا دمٍ، وإِنْ تنعِم تنعِم علَى شاكِرٍ، وإِنْ كُنت ترِيد الْمالَ فَسلْ مِنه ما شِئْت، فَتركَ حتى كَانَ الْغد ثُم قَالَ لَه:**"ما عِندك يا ثُمامةُ؟"** قَالَ: ما قُلْت لَك إِنْ تنعِم تنعِم علَى شاكِرٍ، فَتركَه حتى كَانَ بعد الْغدِ، فَقَالَ: **"ما عِندك يا ثُمامةُ؟"** فَقَالَ: عِندِي ما قُلْت لَك. فَقَالَ: **"أَطْلِقُوا ثُمامةَ".**

فَانطَلَق إِلَى نخلٍ قَرِيبٍ مِن الْمسجِدِ فَاغْتسلَ ثُم دخلَ الْمسجِد فَقَالَ: أشهد أَنْ لَا إِلَه إِلا الله وأشهد أن محمدا رسولُ اللهِ، يا محمد واللهِ ما كَانَ علَى الْأَرضِ وجه أبغض إِلَي مِن وجهك فَقَد أصبح وجهك أحب الْوجوهِ إِلَي، واللهِ ما كَانَ مِن دِينٍ أبغض إِلَي مِن دِينك فَأصبح دِينك أحب الدينِ إِلَي، واللهِ ما كَانَ مِن بلَدٍ أبغض إِلَي مِن بلَدِك فَأصبح بلَدك أحب الْبلَادِ إِلَي، وإِن خيلُك أخذَتنِي وأنا أُرِيد الْعمرةَ فَماذَا ترى؟ فَبشره رسولُ اللهِﷺ وأمره أَنْ يعتمِر، فَلَما قَدِم مكةَ قَالَ لَه

1- وانظر في الصفحات القادمة الرد على شبهة وجود الرق في النظام الإسلامي .

2- مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٤).

قَائِلٌ: صبوت؟ قَالَ: لَا ولَكِن أسلَمت مع محمدٍ رسول اللهِ . ﷺ ولَا واللهِ لَا يأْتيكُم مِن الْيمامةِ حبةُ حِنطَةٍ حتى يأْذَنَ فِيها النبِي ﷺ"[1]

وعند البخاري عن أَبِي موسى ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:"**فُكوا الْعانِي - يعنِي الْأَسِير - وأَطْعِموا الْجائِع وعودوا الْمرِيض**" [2]

(٣) الرحمة بالعبيد والضعفاء:

عن أَنسٍ أَن امرأَةً كَانَ فِي عقْلِها شيءٌ فَقَالَت: يا رسولَ اللهِ إِن لِي إِلَيك حاجةً فَقَالَ:

" **يا أُم فُلَانٍ انظُرِي أَي السكَكِ شِئْتِ حتى أَقْضِي لَكِ حاجتكِ**" فَخَلَا معها فِي بعضِ الطرقِ حتى فَرغَت مِن حاجتِها"[3]

انظر كيف يسير مع المرأة المجنونة حيث شاءت فيقضي لها حاجتها وهو من هو في المكانة والعظمة ؟!

وكان يحث على رحمة من لا راعي له من الأرامل والمساكين فيقول أبو هريرة ﷺ قَالَ النبِي ﷺ: "**الساعِي علَى الْأَرملَةِ والْمِسكِينِ كَالْمجاهِدِ فِي سبِيلِ اللهِ أَو الْقَائِمِ الليلَ الصائِمِ النهار**" [4]

وعن الْمعرورِ بنِ سويدٍ قَالَ: لَقِيت أَبا ذَر بِالربذَةِ وعلَيهِ حلةٌ، وعلَى غُلَامِهِ حلةٌ فَسأَلْته عن ذَلِك؟ فَقَالَ: إِني ساببت رجلًا فَعيرته بِأُمِهِ فَقَالَ لِي النبِي ﷺ:"**يا أَبا**

1- البخاري (٤٠٢٤)، ومسلم (٣٣١٠) .

2- البخاري (٢٨١٩)

3- مسلم (٤٢٩٣) .

4- البخاري (٤٩٣٤) .

ذَر أعيرته بِأُمِهِ إنك امرؤ فِيك جاهِلِيةٌ، إخوانكُم خولُكُم جعلهم اللـه تحـت أيدِيكُم، فَمن كَانَ أخوه تحت يدِهِ فَلْيطْعِمه مِما يأكُلُ، ولْيلْبِسه مِما يلْبس، ولَا تكَلفُوهم ما يغلِبهم، فَإِنْ كَلفْتموهم فَأَعِينوهم" (١)

وعن أنسٍ قَالَ: خدمت رسولَ اللهِ ﷺ تسع سِنين فَما أعلَمه قَالَ لِي قَـط: لِم فَعلْت كَذَا وكَذَا، ولَا عاب علَي شيئًا قَط" (٢)

(٤) رحمته بالصبيان والنساء والوصية بهن حتى لا يظلمن عند الأزواج:

عن سلَيمانَ بنِ عمرِو بنِ الْأَحوصِ قَالَ: حدثَنِي أَبِي أنه شهد حجةَ الْوداعِ مع رسول اللهِ ﷺ فَحمِد الله وأَثْنى علَيهِ وذَكر ووعظَ فَذَكَر فِي الْحـدِيثِ قِـصةً فَقَالَ:" **أَلَا واستوصوا بِالنساءِ خيرا؛ فَإنما هن عوانٌ عِندكُم لَيس تملِكُونَ مِنهن شيئًا غَير ذَلِك، إلا أَنْ يأْتِين بِفَاحِشةٍ مبينةٍ، فَإِنْ فَعلْن فَاهجروهن فِي الْمـضاجِعِ واضربوهن ضربا غَير مبرحٍ، فَإِنْ أَطَعنكُم فَلَا تبغوا علَيهِن سبِيلًا، أَلَا إِن لَكُـم علَى نِسائِكُم حقا ولِنِسائِكُم علَيكُم حقا، فَأَما حقكُم علَى نِسائِكُم فَلَا يـوطِئْن فُرشكُم من تكْرهونَ، ولَا يأْذَن فِي بيوتِكُم لِمن تكْرهونَ، أَلَا وحقهن علَيكُم أَنْ تحسِنوا إِلَيهِن فِي كِسوتِهِن وطَعامِهِن"** (٣) ومعنى قَولِهِ عوانٌ عِندكُم يعنِي أسرى فِي أَيدِيكُم

1- البخاري (٢٩) ومسلم (٣١٤٠) .

2- مسلم (٤٢٧١).

3- الترمذي (١٠٨٣) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٦٣) وقد فصلنا ذلـك في خطبة الحقوق الزوجية من هذا الكتاب.

ويخبرهم أن خير الرجال أرحمهم بنسائه فيقول كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِﷺ: **((أكْملُ الْمؤمِنين إيمانا أحـسنهم خلُقًـا، وخِيـاركُم خِياركُم لِنسائِهم خلُقًا))** [1]

وعن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته قالت: جاءتني امرأةٌ معها ابنتان تسألُني فلم تجِد عِندِي غير تمرةٍ واحِدةٍ فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثُم قامت فخرجت فدخلَ النبيﷺ فحدثْته فقَالَ: "**من يلِي مِن هذِهِ الْبناتِ شيئًا فأحسن إلَيهن كُن له سِترا مِن النارِ**"[2]

ومن ذلك رحمته بالأطفال الصغار:

فعن أبي قتادةَ الْأنصارِي قَالَ: رأيت النبي ﷺ يؤم الناس، وأُمامةُ بِنـت أبـي الْعاصِ وهِي ابنةُ زينب بِنتِ النبيِ ﷺ علَى عاتِقِهِ، فإذَا ركَع وضعها، وإذَا رفَع مِـن السجودِ أعادها)) [3]

(5) بل تجاوزت ذلك إلى رحمته بأعدائه:

عن عروةَ أن عائِشةَ (رضِي الله عنها) زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت لِلنبي ﷺ: هلْ أتى علَيك يوم كانَ أشد مِن يومِ أحدٍ؟ قالَ: "**لقد لَقِيت مِن قَومِـك مـا لَقِيت، وكانَ أشد ما لَقِيت مِنهم يوم الْعقَبةِ إذْ عرضت نفْسِي علَى ابن عبدِياليلَ بن عبدِكُلَالٍ فلَم يجِبنِي إلَى ما أردت، فانطلَقْت وأنا مهموم علَى وجهي فلَـم أستفِق إلا وأنا بِقرن الثعالِبِ فرفَعت رأسِي فإذَا أنا بِسحابةٍ قد أظلَّتنِي، فنظرت فإذَا فِيها جِبرِيلُ فنادانِي فقَالَ: إن الله قد سمِع قَولَ قَومِـك لَـك ومـا ردوا**

1- الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٨٤) .

2- البخاري (٥٥٣٦) .

3- مسلم (٨٤٥)

عليك، وقد بعثَ إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم: فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقالَ ذلك فيما شئت إنْ شئت أنْ أطبق عليهم الأخشبين. فقالَ النبيﷺ: بلْ أرجو أنْ يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا" (١)

عن أنسٍ ﷺ قالَ: كانَ غُلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده(٢) فقعد عند رأسه فقالَ له:"**أسلم**" فنظر إلى أبيه وهو عنده فقالَ له أطع أبا القاسمﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقولُ: "**الحمد لله الذي أنقذه من النار**" (٣)

وعن عائشةَ (رضي الله عنها) قالتِ: استأذنَ رهطٌ من اليهودِ على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك فقلت: بلْ عليكم السام واللعنةُ. فقالَ: "**يا عائشةُ إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**". قلت: أولم تسمع ما قالوا قالَ: "**قلت: وعليكم**" (٤) والسام هو الموت.

(٥) ومن رحمته مراعاته لأحوال المصلين والمقتدين به :

عن معاوية بن الحكمِ السلمي قالَ: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذْ عطس رجلٌ من القومِ فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: وا ثكلَ أمياه ما شأنكم تنظرونَ إلي؟ فجعلوا يضربونَ بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسولُ اللهِ ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده

1- البخاري (٢٩٩٢) ومسلم (٣٣٥٣).

2- وهذه من المواضع التي يجوز فيها عيادة أهل الكتاب ومشاركتهم في أحزانهم بشرط أن ندعوهم إلى الإسلام، وانظر الكلام الآتي ذكره .

3- البخاري (١٢٦٨) .

4- البخاري (٦٤١٥) .

أحسن تعليما منه؛ فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: "**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القـرآن**" أو كما قال رسولُ اللهﷺ، قُلْت: يا رسولَ اللهِ إني حديثُ عهدٍ بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالًا يأتونَ الكُهانَ قالَ: "**فلا تأتهم**". قالَ: ومنا رجالٌ يتطيرونَ. قالَ: "**ذاك شيءٌ يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**" قالَ: قُلْـت: ومنـا رجـالٌ يخطونَ قالَ: "**كانَ نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك**". قالَ: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنما لي قبلَ أحدٍ والجوانية، فاطلعت ذات يومٍ فإذا الذيب قد ذهـب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم آسف كما يأسفُونَ، لكني صككْتها صكةً، فأتيت رسولَ اللهﷺ فعظم ذلك علي، قُلْت: يا رسولَ اللهِ أفلا أعتقُها؟ قالَ: "**ائتني بها**" فأتيته بها، **فقالَ لها: "أين الله؟"** قالت: في السماء [1] قالَ: "**من أنا**؟" قالـت: أنت رسولُ اللهِ. قالَ: "**أعتقْها؛ فإنها مؤمنةٌ**" [2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:"**إذا صلى أحدكُم للناس فلْيخفف؛ فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكُم لنفْسِه فلْيطـولْ مـا شاءَ**"[3]

1 - وقد أجمعت الأمة على إثبات علو الله (بذاته) على عرشه علواً يليق بكماله وجلاله.

2 - مسلم (٨٣٦) .

3 - البخاري (٦٦٢) ومسلم (٧١٦)

(٦) ومن رحمته كذلك الرفق بالجاهل مهما عظم جهله:

عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: دخلَ أَعرابِي الْمسجِد والنبِي ﷺ جالِس فَصلى، فَلَما فَرغَ قَالَ: اللهم ارحمنِي ومحمدا ولَا ترحم معنا أَحدا، فَالْتفَت إِلَيهِ النبِي ﷺ فَقَالَ: **"لَقَد تحجرت واسِعا".** فَلَم يلْبثْ أَنْ بالَ فِي الْمسجِدِ، فَأَسرع إِلَيهِ الناس فَقَالَ النبِي ﷺ: **"أَهرِيقُوا علَيهِ سجلًا مِن ماءٍ أَو دلُوا مِن ماءٍ ثُم قَالَ: إِنما بعِثْتم ميسرين ولَم تبعثُوا معسرين"** (١)

واعلم أن هذا المبدأ مهم جداً وهو مبدأ الرفق بالجاهل والحلم معه، بسببه ترتقي الدعوة إلى آفاق بعيدة، وبعدمه تتعطل الدعوة أعواماً مديدة، ولنا الأسوة في رسول الله ﷺ حيث يقول كما تحكي لنا أمنا عائشةُ أن النبِي ﷺ قَالَ: **"ما كَانَ الرفْق فِي شيءٍ قَط إِلا زانه ولَا عزلَ عن شيءٍ إِلا شانه"** (٢)

(٧) رحمة الإسلام العامة حتى مع الحيوان:

لم تكتف شريعة الإسلام بالنهي عن إيذاء الإنسان أو تعذيبه بأية صورة كانت، بل تعدى ذلك إلى أحاسيس الحيوان الأعجم، وأشار النبي ﷺ إلى أن هذا الحيوان يحس ويتألم، ولذا ينبغي الإحسان إليه ،

فعند البخاري عن عبدِاللهِ بن عمر (رضِي الله عنهما) أن رسولَ الله ﷺ قَالَ:" **عذبتِ امرأَةٌ فِي هِرةٍ حبستها حتى ماتت جوعا فَدخلَت فِيها النار قَالَ فَقَالَ: لَا**

1 - الترمذي (١٣٧) والحديث أصله في الصحيحين .

2 - أحمد (٢٤٥٢٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٥٩١) .

أنتِ أطعمتِها ولا سقيتِها حِين حبستِيها، ولا أنتِ أرسلتِها فأكلت مِن خـشاش الأرض" [1]

وعن شداد بن أوس ﷺ أن النبي ﷺ قالَ:**"إن الله كتب الإحسانَ على كُل شيءٍ، فإذَا قتلتم فأحسِنوا القِتلةَ، وإذَا ذبحتم فأحسِنوا الذبحةَ، وليحِد أحدكُم شفْرته وليرح ذَبيحته"**[2]

وعن عبدِ اللهِ بنِ جعفَرٍ قَالَ: أردفَنِي رسولُ اللهِ ﷺ خلْفَه ذَات يومٍ فَأسـر إِلَي حدِيثًا لا أُحدثُ بِهِ أحدا مِن الناسِ، وكَانَ أحب ما استتر بِهِ رسولُ اللـهِ ﷺ لِحاجتِهِ هدفًا أو حائِش نخلٍ، قَالَ: فَدخلَ حائِطًا لِرجلٍ مِن الْأَنصارِ، فَإِذَا جمـلٌ، فَلَما رأى النبِي ﷺ حن وذَرفَت عيناه فَأَتاه النبِي ﷺ فَمسح ذِفْراه فَسكَت فَقَـالَ: **"من رب هذَا الْجمل- أي صاحبه - لِمن هذَا الْجملُ؟** فَجاءَ فَتى مِن الْأَنصارِ فَقَالَ: لِي يا رسولَ اللهِ. فَقَالَ: **"أفَلا تتقِي الله فِي هذِهِ الْبهِيمةِ الَّتِي ملكَك اللـه إِياها؛ فَإِنه شكَا إِلَي أنك تجِيعه وتدئبه"** [3]

ومعنى ذفراه: أي الموقع الذي يعرق من قفا رأسه، ومعنى تدئبه: تتعبه في العمل

وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ" كُنا مع رسول اللهِ ﷺ فِي سفَرٍ فَانطَلَق لِحاجتِهِ فَرأينا حمرةً معها فَرخان فَأَخذْنا فَرخيها، فَجاءَتِ الْحمرةُ فَجعلَت تفْـرِش فَجـاءَ النبِيﷺ فَقَالَ: **"من فَجع هذِهِ بِولَدِها ردوا ولَدها إِلَيها.** ورأى قَريـةَ نمـلٍ قَـد

1- البخاري (٢١٩٢) .

2- أبو داوود (٢٤٣٢) والنسائي (٤٢٢٥) والترمذي (١٣٢٩) ، وصححه الـشيخ الألبـاني فـي صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٩) .

3- أبو داوود (٢٥٥١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٢٢٦٩) .

حرقْناها فَقَالَ: **من حرق هذِهِ؟** قُلْنا: نحن قَالَ"**إنه لَا ينبغِي أَنْ يعذب بِالنارِ إِلَّا رب النارِ**" [1]

(٨) الإسلام يفي بالعهود حتى لو كانت للكفار:

كما في صحيح مسلم من حديث حذَيفَةَ بن الْيمان قَالَ: ما منعنِي أَنْ أشهد بدرا إِلا أني خرجت أنا وأَبِي حسيلٌ، قَالَ: فَأخذَنا كُفار قُريشٍ قَالُوا: إِنكُم تِريدونَ محمدا فَقُلْنا: ما نِريده ما نِريد إِلا الْمدِينةَ. فَأَخذُوا مِنا عهد اللهِ ومِيثَاقَه لَننصرِفَن إِلَى الْمدِينةِ، ولَا نقَاتِلُ معه فَأَتينا رسولَ اللهِ ﷺ فَأخبرناه الْخبر، فَقَالَ: **"انصرِفَا نفِي لَهم بِعهدِهِم ونستعِين الله عليهم"**[2]

(٩) موقف الإسلام من الديانات الأخرى:

إن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، وأمر أتباعه أن يكون موقفهم مع غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾

[الممتحنة: ٨]

وقد أكدت السنة هذا الموقف بالأحاديث السابقة .

وكان ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب، ويفشى مجالسم ويواسيهم في مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد، فقد كان يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً، ولم يكن ذلك عجزاً من

---

1 - أبو داوود (٣٢٧٥) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٥) ومعنى حمرة بتشديد الميم المفتوحة نوع من الطير الصغار، وتفرش: أي تبسط جناحها حول النبي.

2 - مسلم (٣٣٤٢)

أصحابه عن إقراضه، بل كان يفعل ذلك تعليماً للأمة وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم[1].

الجمع بين آية الممتحنة السابقة، وبين آيـة المائـدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ :

نقول: إن فعل المعروف إلى الشخص لا يعني أني أحبه، فالمحبـة والإخـاء والموالاة لا تكون إلا للمسلم، ولكن فعل المعروف يكون للمسلم وغـيره، وهـو أوكد في حق المسلم.

1 - ولكن لا يفهم من هذا أننا نشاركهم في أعيادهم ونذهب إليهم في كنائسهم أو دورهم فنهنئهم على أعيادهم، أو أننا نحن المسلمين نحتفل في نفس اليوم الذي يكون لهم عيداً كيوم شم النسيم أو مـا شابه ذلك؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة: ٥١]

قال الذهبي في كتاب تحذير الخسيس من الاحتفال بأعياد أهـل الخمـيس قـال: إن الاحتفـال بأعيادهم من الموالاة التي نهى الله عنها وذكر الآية .

وكان ﷺ يذهب يزور مريضهم لكنه ﷺ كان إذا فعل ذلك دعاهم إلى الإسلام كمـا فـي القـصة المعروفة عندما ذهب لعيادة غلام يهودي فعرض عليه الإسلام فأسلم.

مواقف للخلفاء وغيرهم تدل على سماحة الإسلام:

ها هو عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل إيلياء (القدس) كتب إليهم :

هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسم وصلبانهم وسـائر ملتـهم، لا تـسكن كنائسم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من شيء منها، ولا يضار أحد منـهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود. [1]

ولما فتح الله على المسلمين (بلبيس) [2] وجدوا فيها ابنة المقوقس واسمهـا (أرمانوسة) وكانت مقربة من أبيها، وكانت في زيارة لمدينة بلبيس مع خادمتـها (بربارة) هرباً من زواجها من قسطنطين ابن هرقل (وهو فيما بعد والد قنـسطنز) صاحب موقعة ذات الصواري وكانت غير راغبة في الزواج منـه، ولمـا تمكنـت مجموعة من الجيش الإسلامي من أسر أرمانوسة جمع عمرو بن العـاص الـصحابة وذكرهم بقوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن:٦٠].

ثم **قال:** لقد أرسل المقوقس هدية إلى نبينا ﷺ وأرى أن نبعث إليه بابنته وجميع من أسرناهم من جواريها وأتباعها، وما أخذنا من أموالهم، فاستصوبوا رأيه، فأرسلها عمرو إلى أبيها معززة مكرمة ومعها كل مجوهراتها وجواريها ومماليكها، وقالت لهـا خادمتها (بربارة) أثناء سفرهما: يا مولاتي إن العرب يحيطون بنا من كل جانب.

---

1 - تاريخ الأمم والملوك للطبري (٤٤٩/٢)

2 - هي إحدى المدن التي مر عليها عمرو بن العاص عندما فتح مصر، فقد مر برفح ثم العريش ثم بلبيس، وهي إحدى مدن محافظة الشرقية بمصر.

فقالت : إني آمن على نفسي وعرضي في خيمة العربي، ولا آمن على نفسي وعرضي في قصر أبي. [1]

وقد أعطى صلاح االدين الأمان للصليبيين في بيت المقدس، بل قد أرسل صلاح الدين طبيبه الخاص إلى خصمه ريتشارد الملقب بقلب الأسد[2].

ولما دخل التتار بلاد الإسلام وأسروا من الناس الكثير، ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى كبير التتار يكلمه في إطلاق الأسرى، فأطلق له الأسرى المسلمين، وقال: لكن معنا نصارى أخذناهم من بيت المقدس، فهؤلاء لا يطلقون.

فقال ابن تيمة: بل جميع من اليهود والنصارى من أهل ذمتنا فإنا نفكهم، ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة، فكان ما أراده الشيخ رحمه الله[3].

بل حتى مع الوثنية - التي هي أبعد الديانات عن الإسلام، ولا يربطنا بها شيء من أواصر الوحي السماوي- قد أوصانا الإسلام بها خيرا، فلا نكتفي معهم أن ندلهم على الحق ونجيرهم فقط، بل نبلغهم إلى المكان الذي يأمنون فيه من كل غائلة قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة :٦]

ويقف رسول الله ﷺ لجنازة رجل يهودي فيقول الصحابة: يا رسول الله إنها جنازة يهودي .فيقول "**أو ليست نفسا**" [4]

1- فتح مصر ، صبحي ندا صـ٢٤

2- السابق.

3- الفتاوى(٦١٧/٢٨).

4- البخاري (١٣١٢)

ومر عمر بن الخطاب على قوم من النصارى قد أُصيبوا بمرض الجذام فـأمر لهم بعطاء من بيت مال المسلمين.

ويحتكم علي بن أبي طالب ﷺ - وهو أمير المؤمنين – إلى القاضي شريح قاضـي المسلمين في شأن درع سرقها يهودي، ويجتمع الخصمان علي واليهودي ويجلـسان أمام القاضي، والقاضي يعدل وعلي يمتثل، مما جعل اليهودي ينبهر بأفعال المسلمين ويسلم.

(١٠) موقف الإسلام من أعمال التفجير والتخريب والغدر والخيانة:

أجابت عن هذا السؤال اللجنة الدائمة للإفتاء فقالت:

ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفـس المعـصومة في ديـن الإسلام، إما أن تكون مسلمة فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة وقتلـها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب العظام؛ يقـول الله تعـالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء]

ومن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي قال: **"من قتل معاهدا** لم **يـرح رائحة الجنة ..."** [1]

وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتـهم واحدة، يقول النبي: **"المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم"[2]**

1- سبق تخريجه

2 - أبو داود (٤٥٣٠)،والنسائي (٤٦٥٣) وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٣٤٧٥).

ولما أجارت أم هانيء (رضي الله عنها) رجلاً مشركاً عام الفتح، وأراد علي بن أبي طالب أن يقتله، ذهبت للنبيﷺ فأخبرته فقال: **"قد أجرنا مـن أجـارت أم هانيء"** [1]

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر؛ لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له، ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله[2] .

(١١) موقف الإسلام من المظاهرات:

قال العلامة ابن باز – رحمه الله:

الأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقـل، والظلـم والعـدوان والمضاربات .

ويلحق بهذا الباب: ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرا عظيما على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هـي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبة التي هي أحـسن، فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق، لا بالعنف والمظاهرة، فـالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنةلم يستعمل المظاهرات ولا المـسيرات، ولم يهـدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم .

ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها ويحمـل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن، فهم يريـدون الخـير بهـذا

---

1 - البخاري (٣٥٧) ومسلم (١٧٠٢) .

2 - الانتصار للنبي المختار، للشيخ سعد العتري ، صـ : ٩٨ ، ٩٩ باختصار .

الأسلوب لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالنصيحة مني لكل داعٍ إلى الله أن يستعمل الرفق في كلامه، وفي خطبته، وفي مكاتباته، وفي جميع تصرفاته حول الدعوة، يحرص على الرفق مع كـل أحد إلا من ظلم، وليس هناك طريق أصلح للدعوة من طريق الرسل فهم القـدوة، وهم الأئمة وقد صبروا، صبر نوح على قومه ألف سنة إلا خمسين عامـا، وصـبر هود، وصبر صالح، وصبر شعيب .[1]

(١٢) وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعدم جواز الخروج عليهم :

استفاضت النصوص الشرعية وأقوال السلف في السمع والطاعـة لأئمـة المسلمين ولزوم جماعتهم وتحريم الخروج على الولاة ومفارقة الجماعة، ومن ذلـك قوله ﷺ: **" من خرج مِن الطاعةِ وفَارق الْجماعةَ فَمات مات مِيتةً جاهِلِيةً، ومـن قَاتلَ تحت رايةٍ عِمِيةٍ يغضب لِعصبةٍ أو يدعو إِلَى عصبةٍ أو ينصر عصبةً فَقُتِـلَ فَقِتلَةٌ جاهِلِيةٌ، ومن خرج علَى أُمتِي يضرِب برها وفَاجِرها ولَا يتحاشـى مِـن مؤمِنِها ولَا يفِي لِذِي عهدٍ عهده فَلَيس مِني ولَست مِنه"** [2]

وقوله ﷺ: **((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكـره مـا لم يـؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))** [3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليك السمع والطاعـة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك »[1].** والأثرة: هم الظلمة .

---

1 - مجموع فتاوى ابن باز (٢٧/ ١٦٤) .

2 - مسلم (٣٤٣٦) .

3 - البخاري (٧١٤٤) وصحيح مسلم (٤٨٦٠)

وقال الإمام أحمد في اعتقاده كما في السنة للالكائي: ((ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضـا أو بالغلبة؛ فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فـإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق)). [٢]

وقال الإمام الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة: ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتـهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهـم بالـصلاح والمعافاة)). [٣]

(١٣) الحكمة من الجهاد في **سبيل الله:**

ما فرض الله تعالى شيئاً إلا وفيه مصلحة للعباد ، ومن ذلك فريضة الجهاد؛ فإن لها حكماً كثيرة وفوائد عظيمة منها:

(١) إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى **نور الإيمان ومن طريق الـشيطان** إلى **سبيل الرحمن وعبادته،** فقد أنقذ الله بهذه الأمة وجهادها من شاء من الأمـم الهالكين وفى هذا المعنى قول أبى هريرة رضي الله عنه فى قول الله تعـالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمـران :١١٠] قال: **خير الناس للناس تـأتون بهـم** فى **السلاسل** فى **أعناقهم حتى يدخلوا** فى **الإسلام** [٤] .

---

1 - مسلم (٤٨٩٢) .

2 - شرح السنة للالكائي .

3 - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : أحمد بن علي ، دار الحديث صـ٣١٢

4 - البخاري (٤١٩١) .

(٢) ومنها ابتلاء الله عباده واختبارهم بتكليفهم بالقتال وبذلهم في طاعته النفوس والأموال كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد:٤] **وقال:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، **وقال:** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥]

(٣) ومنها إصلاح الأرض بالإيمان بعد فسادها بالكفر والضلال والمعصية، وقد أصلح الله الأرض ببعثة محمد وجهاده للكفار، فانتشر العدل والتوحيد والطاعة، وارتفع الظلم والشرك والمعصية، وأعز الله أهل الإيمان وخذل أهل الشرك والطغيان، ثم حذر من ضد ذلك فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦]

(٤) دفع الفساد عن الأرض ورفعه منها، وقد نبه الله تعالى على ذلك لما ذكر خبر حرب بني إسرائيل بقيادة الملك طالوت ضد القوم المجرمين بقيادة جالوت قال في آخره: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١]

(0) ومنهـا دفع الناس بعضهم عن بعض ورد الظالم عن المظلوم قال تعـالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج : ٣٨: ٤٢] (١)

ولا يخفى عليك أخي ما كانت مصر تعانيه من ظلم الرومـان قبـل الفـتح الإسلامي لها على يد عمرو بن العاص ، وأمثال ذلك كثيرة مما لا نستطيع حصرها هنا.

وبهذا يتبين أن المقصود من الجهاد هو رحمة الناس وهدايتهم للإسلام وفسح السبيل أمامهم لمعرفة الحق ودفع الظلم عنهم، وليس المقصود هو القتـل والـسلب والإرهاب كما يزعم أعداء الأنبياء (٢)

(١٤) الأضرار التي نتجت عن قتل السياح المعاهدين من قبل الشباب المفتونين مقارنة بما يفعله الدعاة المصلحون:

١- الشباب المفتونون يقتلون الكافر على كفره، فيـسرعون بـه إلى النـار، ويخرجونه من ظلام إلى ظلام وعذاب دائم، والدعاة المصلحون يعملـون على إخراج الكافر من الظلمات إلى النور، فيظفر بسعادة الدنيا والآخرة.

1 - الانتصار للنبي المختار للشيخ : سعد العتري من ص: ٤٦ إلى ص: ٤٨ .

2 - السابق .

٢- الشباب المفتونون في قتلهم الكافر يصل إلى أهله في تابوت، فيمتلئون حقداً على الإسلام والمسلمين، وينسبون إلى الإسلام ما هو براء منه بسبب عمل هؤلاء المفتونين، والدعاة المصلحون بدعوتهم غيرهم إلى الإسلام يرجع الإنسان إلى أهله مسلماً قد أصبح من أهل الإسلام، فيدعو أهله وغيرهم إلى الإسلام.

٣- الشباب المفتونون أهلوهم وذووهم في هم وغم وحزن وأسى لحال أبنائهم السيئة، والدعاة المصلحون أهلوهم وذووهم في فرح وسرور وغِبطة وبهجة لحال أبنائهم الحسنة.

٤- الشباب المفتونون لم يوفقوا لجهاد أنفسهم، فأساؤوا إليها وإلى غيرهم، بأن وقعوا في إفسادٍ سموه جهاداً، والدعاة المصلحون وفقوا لجهاد أنفسهم، فسعوا إلى جهاد غيرهم بدعوته إلى الإسلام.

٥- الشباب المفتونون بأعمالهم الشنيعة مفاتيح شر مغاليق خير، والدعاة المصلحون بأعمالهم الحسنة مفاتيح خير مغاليق شر، كما ورد في سنن ابن ماجه عن أنس قال ﷺ : قال رسول اللهﷺ: **((إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل اللهُ مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه))** [1]

1 - ابن ماجه (٢٣٧)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣٣٢) .

(١٤) اعتراف غير المسلمين بسماحة تعاليم الإسلام:

يقول المفكر الفرنسي الشهيرغوستاف لوبن: لقد سار عمرو بن العاص في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط بأن يستمروا على اختيار باطرياك لهم كما في الماضي.

ويقول إدوين: احتفظ المسلمون للإقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم الدينية، ويقول: في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعا ويجب أن يعرفها غيرهم وهي: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾[البقرة:٢٥٦] فلقد ارتقت حضارة الإسلام بالإنسان في عموم شخصه فكونت منه إنسانا بكل معاني الإنسانية، يتعاون مع الآخرين، ويرحم الآخرين، ويعمل بصدق ويخلص بحق، له أخلاق كريمة نابعة من عقيدة قويمة.

وصدق من قال:

إسلامنا دين التسامح فاعلموا ... سحقاً لقوم عن سماحته عموا

دين من الله الرحيم بخلقه ... يهدي البرية للتي هي أقوم

وكتابنا القرآن منحة ربنا ... للعالمين هو الكتاب المحكم

آياته فيض الإله على الدنا ... وعطاؤه الأوفى يدين بكرم

إسلامنا يا قوم ليس تنطعا ... كلا ولا فكرا سقيما يهدم

إسلامنا ليس الخناجر والمدى ... كلا ولا القتل المروع والدم

يا ويح قوم قد أساؤا فهمه ... فتمردوا وتآمروا وتشرذموا

ضلوا سبيل الرشد فالشيطان قد ... أغواهم وغدا سيلومنهموا

يا ليتهم يتداركون أمورهم ... فالله يقبل من أناب ويرحم

الرد على شبهة وجود الرق في النظام الإسلامي:

طعن بعض أعداء الإسلام في النظام الإسلامي بأنه أباح الـرق، وزعمـوا بذلك أنه اضطهد طائفة من الناس بما لا يتناسب مع دعوته بالمساواة في أصل الخلقة **"كلكم لآدم وآدم من تراب"**

والرد على هذه الشبهة كما يلي:

أولاً: تقدير الوضع الاجتماعي السائد:

إن الإسلام جاء إلى البشرية ونظام الرق سائد في حياة النـاس الاقتـصادية والاجتماعية، فلو أنه فرض عليهم إطلاق الرقيق فجأة وحتم عليهم ذلك لكان ذلك الأمر يبوء بالفشل، ولعرض أوامره للمخالفة والامتهان وعـدم القبـول، فـإقرار الإسلام للرق كان تحت هذه الظروف؛ لحكمة سامية وهي عدم تعـرض الحيـاة الاجتماعية لهزة عنيفة تؤدي إلى أضرار بالغة [1].

---

1 - ولعل أبلغ رد على من يتوهمون إمكانية إلغاء الرق بضربة واحدة حاسمة هـو مـا حـدث فـي الولايات المتحدة الأمريكية .فقد حاول الرئيس المصلح "أبراهام لنكولن" القضاء على الرق هنـاك بقانون حاسم فماذا كانت النتيجة ؟ اندلعت حرب أهلية طاحنة بين ولايات الشمال المطالبة بإلغـاء الرق، والولايات الجنوبية داعمة الاستعباد، استمرت سنوات، وهلك فيها الملايين من الفـريقين، وتعرضت البلاد لخراب شامل. بل لقي لنكولن نفسه مصرعه بسبب محاولته إلغـاء الـرق، فقـد اغتاله أحد المجرمين البيض الذين يرفضون السماح بتحرير السود ومساواتهم بالسادة !! وبقيت التفرقة العنصرية بعده قروناً عديدة بل مازالت العبودية هناك في صور أخرى كما رأينا !! ونشير أيضاً إلى مئات الثورات الدموية الرهيبة التي اندلعت من جانب العبيد على مر العصور، احتجاجـاً على القهر والإذلال وإهدار الآدمية، وتطلب قمع هذه الثورات - من جانب السادة - أنهـاراً مـن الدماء، وخسائر اقتصادية فادحة . فهل هذا الهلاك للحرث والنسل والخراب الـشامل ممـا يـلام الإسلام على تجنبه ؟! إن هذه الجزئية في حد ذاتها هي من دلائل عظمة الإسلام، وأنه بالفعل من عند الله الحكيم العليم بما يصلح خلقه وما يناسبهم من تشريعات تحقق العـدل والمـساواة بـين الجميع، وفي ذات الوقت تضمن الأمن والاستقرار في المجتمع..

ثانياً: تشريع الوسائل التي تساعد على العتق تدريجياً:

ويتلخص ذلك في طريقين:

أحدهما: تضييق منافذ الرق:

بأن وضع قيوداً على بعض مناهج الرق التي كانت سائدة فحرمها الإسلام ولم يجعلها وسيلة للرق، بل جعل بعض صورها للعتق، فمن هذه النظم التي كانت سائدة وأبطلها الإسلام:

(١) تحريم رق الحر:

كان الحر إذا اختطف يباع ويكون رقيقاً قال النبيﷺ:"**قال الله: ثَلَاثَةٌ أَنَا خصمهم يوم الْقِيامَةِ، ومن كُنت خصمه خصمته يوم الْقِيامَةِ: رجلٌ أعطى بِي ثُم**

وهناك عبارة موجزة خالدة لعمر بن عبد العزيز تلخص بالضبط التصرف السليم تجاه مشكلة كالرق. فقد كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنهما) شاباً صالحاً يحث أباه العظيم على الإسراع بالقضاء على كافة المظالم التي وقعت قبل توليه الخلافة . فقال الخليفة العظيم: "يا بنى .. لو حملناهم على الحق جملة لتركوه جملة" .. والمعنى الواضح هو أن أغلب الناس لا يتحملون التغيير المفاجئ، وخاصة إذا كان تغييراً اجتماعياً واقتصادياً هائلاً مثل إلغاء الرق وتحرير العبيد الذين كانوا أكثر من الأحرار عدداً في كل المجتمعات . عليها . ونشير هنا مرة أخرى إلى أن ومن شأن التشريع الذي يفعل هذا بخطوة واحدة متسرعة أن يفشل فشلاً ذريعاً، وبالتالي يتسبب في تثبيت دعائم المظالم وليس القضاء على المعاهدات الدولية والقوانين المحلية في كل الدول قد فشلت حتى الآن في القضاء على الرق - كما رأينا - وما زال عشرات الملايين من الفقراء - خاصة النساء والأطفال - ينضمون سنوياً - إلى جيوش الضحايا المستضعفين في الأرض .. المسألة ليست نصوصاً تصدر فينتهي الرق؛ إذ لا جدوى من تغيير النصوص إذا لم تصلح النفوس. وإصلاح الأنفس هو بالضبط ما فعله الإسلام أولا. وبدون إصلاح القلوب والعقول تتحول النصوص إلى مجرد "حبر على ورق" لا يسمن ولا يغني من جوع (الإسلام محرر العبيد: حمدي شفيق) وانظر كذلك شبهات حول الإسلام محمد قطب.

غَدر، ورجلٌ باع حرا فَأكَلَ ثَمنه، ورجلٌ استأجر أجِيرا فَاستوفَى مِنه ولَم يوفِـهِ أجره" [1]

(٢) تحريم **رق من ارتكب بعض الجرائم**: وكان هذا أيضاً من النظام السائد أن من سرق أو قتل يجعلونه رقيقاً لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليه.

(٣) تحريم **رق أولاد الجواري** [2]:

وهذا من أعظم ما يفخر به الإسلام؛ لأنه بذلك فتح باباً واسعاً للعتق، فالمرأة إذا حملت من سيدها كان ولدها عبداً في النظم القديمة، ولا شك أن هذا كان يدفع في المجتمع بالآلاف من الرقيق فحرم الإسلام ذلك، وجعل أولاد الجواري أحراراً، بل تصير الجارية نفسها حرة إذا مات سيدها؛ لأن ولدها حر ويقال لها: أم الولد .

(٤) هناك أشياء أخرى حرمها الإسلام في نظام الرق كرق المدين إذا عجز عـن دفع دينه، وهذا كان النظام واقعاً قبل الإسلام.

(٥)ومن ذلك أن يبيع الإنسان نفسه ويتنازل عن حريته إذا دفعه العوز إلى ذلك .

(٦) ومنها تحريم **استغلال الوالد** سلطته في بيع بعض أولاده الذكور أو الإناث .

وعلى هذا فالإسلام لم يقر إلا نوعين فقط من الرق وهما: ما كان نتيجـة البيع والشراء للعبيد والجواري الأصليين أو ما كان من أسرى الحرب، ومع ذلـك فقد فتح الأبواب ورغب في عتق هذين النوعين على ما يأتي:

أنه أيضاً لم يجعل رق الحرب نتيجة حتمية لا بد منها، بل يبيح المن بـدون مقابل أو الفداء بإطلاق سراحهم مقابل مال أو نظير تبادل الأسرى.

1- البخاري (٢٠٧٥)

2- وكذلك أولاد الحرة من العبد هم أيضاً أحرار .

ثانيهما: فتح منافذ العتق:

كان نظام الرق في النظم القديمة يضيق المنافذ على نيل الحرية للرقيق، بل إنه لم يبح العتق إلا في حالة واحدة فقط، وهو إذا رغب السيد في عتق عبده، وذلك في ظل شروط قاسية ومعقدة، بل إنهم في بعض المجتمعات كانوا يفرضون غرامة مالية كبيرة يدفعها السيد للدولة إذا أعتق عبده، وأما الإسلام.

وأما الإسلام فقد وسع المنافذ للعتق فمن ذلك:

(١) العتق بمجرد صدور كلمة العتق من السيد:

ولو كان هازلاً: قال ﷺ: "**ثلاثة جدهن جد وهـزلهن جـد: النكـاح، والطلاق، والعتق**"[1]

(٢) الوصية بالعتق: كأن يقول لعبده أنت حر بعد موتى، ويسمى هـذا العبـد "المدبر" ولا يجوز للسيد إذا صدر منه هذا اللفظ الرجوع فيه، ولا يجوز له أن يبيعه أو يرهنه أو يهبه أى أنه يمنع حق التصرف فيه.

(٣) العتق بسبب أن تحمل منه الجارية وتسمى" أم الولد"، وقد حرم الإسلام بيع أمهات الأولاد فقد أعتقها ولدها، وهذا الولد أيضا حر، وقد تقدم أنه كـان فى النظم القديمة يصير عبداً.

(٤) نظام المكاتبة: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[النور :٣٣]

1- أخرجه الخمسة إلا النسائي بلفظ " الرجعة " وليس " العتق" ، وبهذا اللفظ حسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٢٠٦١)، وأما لفظ "العتق" فقد ورد عند مالك.

وذلك أن يتفق السيد مع عبده بأن يدفع له مبلغاً من المال فينال بذلك الحرية، وحثت الآية على مساعدتهم والتصدق عليهم: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ وظاهر الآية أنه يجب على السيد قبول المكاتبة مع العبد إذا رغب العبد في ذلك؛ لأن الله أمرهم بذلك .

(٥) العتق كفارة عن المعاصي:

فبينما كانت الجرائم في النظم السابقة سبباً للرق صارت في نظام الإسلام للعتق، فتحرير العبد قربة يكفر بها العاصي عن جرمه ومعصيته، فجعله كفارة في القتل الخطأ، وفي كفارة من جامع في نهار رمضان.

(٦) العتق في كفارة الأيمان: فتحرير الرقبة كفارة في يمين الظهار، وكفارة في الحنث في يمين الحلف.

(٧) حبب الإسلام العتق تطوعا: قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [البلد]، وقال ﷺ:"**من أعتق رقبةً أعتق الله بِكُل عضوٍ مِنها عضوا مِن أعضائِهِ مِن النارِ، حتى فَرجه بِفَرجِهِ**"[1]

(٨) خصص الإسلام في سهم الزكاة سهما لتحرير الأرقاء، أي أنه جعل في ميزانية الدولة جزءًا لتحرير الرقيق، عكس ما كان سائداً أن من حرر عبداً أخذت منه غرامة مالية.

وبهذا يعلم أن الإسلام ساهم مساهمة كبيرة في تحرير الأرقاء، ومن الملاحظ أنك لا تجد في كتب الفقه الإسلامي أبوابا تسمى أبواب الرق، وإنما تجدهم يسمونها

1 - البخاري(٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٧٦)

أبواب العتق، وذلك يدل على مدى الرغبة الشديدة المتوفرة في نصوص الـشريعة الإسلامية إلى عتق الأرقاء ونيلهم الحرية، حتى صار الأمر إلى ما هو معلوم اليـوم، حيث لا ترى رقيقاً واحداً ، وليس هذا بفضل قوانين الأمم المتحدة، فـإلى عهـد قريب كان الرقيق في بلاد أمريكا. وتسلطهم على بلاد أفريقيا، ولا يـسمح هـذا المختصر لبيان ظلمهم الذي كانوا يفرضونه على الرقيق . [1]

وأخيراً : المستقبل لهذا الدين:

المستقبل لهذا الدين مهما تكتلت قوى الشر عليه؛ لأن الذي يـزرع لهـذا الدين هو الله قال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال٣٠]

فلا تحسب ما يقع لهذه الأمة هو شر لها بل هو خير لها، فلعلها تكون سببا في دخول غير المسلمين الإسلام [2]

قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات ١٧١ - ١٧٣]

وعن تمِيمٍ الدارِى ﷺ قَالَ: سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «**لَيبلُغن هذَا الأمر ما بلَغَ الليلُ، ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذَا الدين، بِعز عزِيزٍ يعزبِهِ الإسلام، أو ذُل ذَلِيلٍ يذِل بِهِ الكُفْر** »[3].

1- تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة للشيخ العزازي صـ ٤٢٨: ٤٣١ ، وانظر في هذا كتاب شبهات حول الإسلام، لمحمد قطب، الإسلام محرر العبيد لحمدي شفيق.

2- كما حدث لما نشرت صحف الدنمارك لرسول الله ﷺ هذه التصاوير المسيئة له ﷺ نفدت طبعات القرآن باللغتين الفرنسية والإنجليزية، ودخل غير المسلمين الإسلام.

3- أحمد (٢٣٨١٤) من حديث المقداد بن الأسود، والطبراني في المعجم الكبير(٦٠١) والبيهقي فـي السنن الكبرى (١٩٠٩٠) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٧/١).

فالخلافة ستنزل بيت المقدس بإذن الله كما جاء عند أحمد من حـديث أبي حوالة أن رسول اللهﷺ وضع يده علَى رأسِه أو هامتِه فَقَالَ: **"يا ابـن حوالـة إذَا رأيت الخِلَافَةَ قَد نزلتِ الأَرض المقَدسةَ فَقَد دنتِ الزلَازِلُ والبلَايـا والـأمور العِظَام ، والساعةُ يومئِذٍ أَقْرب إِلَى الناس مِن يدي هذِهِ مِن رأسِك"** [1]

رسالة إلى شباب الأمة:

إليكم يا شباب الأمة يا من تعقد الأمة آمالها عليكم بعد الله عزوجل، فأنتم عدة المستقبل، عليكم أن تكونوا شباب علم ودعوة وجهاد؛ حتى يحصل النصر، يا شباب الأمة كيف ننصر وفينا من يقلد الأعداء في الثياب والعادات؟!

أقول لكم: أقبلوا على ربكم وانصروا دينكم بتطبيق شرائعه؛ حتى تـأتيكم العزة كما وعـد سـبحانه بـذلك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾[النور:٥٥]

وقال شيخ الإسلام: من رام السعادة الأبدية فليلزم تمام العبودية.

رسالة إلى الدعاة وطلبة العلم:

يا من تبذلون أوقاتكم وأموالكم وجهدكم لله ، أقول لكم: لا تـستعجلوا النصر، وصبروا الأمة، ولا يسيطرنّ عليكم اليأس: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾[يوسف]

---

1 - أحمد (٢١٤٤٩) من حديث أبي عوانة ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٨٣٨).

واعلموا أن النصر قادم، لكن علينا أن نزرع لهذا النصر، كما روى عنهﷺ : " نحن **معاشر الأنبياء نبتلى** ثم **تكون النصرة لنا"**

فأنتم تسيرون في طريق الأنبياء، فلكم كما للأنبياء من النصرة والـتمكين بقـدر إخلاصكم وهمتكم:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر أهل الكرام المكارم

وصدق من قال:

من جد وجد ومن زرع حصد، ومن نام ليس كمن سهر، وإن الفـضائل تحتاج إلى وثبة أسد.

رسالة إلى المجاهدين:

يا من رفعتم العار والذلة والصغار عن جبين الأمة، يا من تركتم لذيذ العيش لنصرة دينكم والمسارعة إلى نيل الشهادة من ربكم ، إلى المجاهدين في أرض الإسراء إلى المجاهدين في الشيشان في العراق في كل مكان أسأل الله لكم الإخلاص والثبات، اعلموا أن هذا هو سبيل النصر، فوالله ثم والله لن تنصر هذه الأمة إلا بالجهاد، كما في مسند أحمد من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمِعت رسولَ اللهِﷺ يقُولُ:" **إِذَا تبايعتم بِالعِينةِ، وأخذْتم أذْناب البقَرِ، ورضِيتم بِـالزرعِ، وتـركْتم الْجِهاد سلطَ الله علَيكُم ذُلا لَا ينزعه حتى ترجِعوا إِلَى دِينِكُم"**[1]

1- أبو داوود في البيوع (٣٠٠٣) وأحمد (٤٧٦٥) ، وصححه الشيخ الألباني فـي صـحيح الجـامع (٤٢٣).

فيا أيها المسلمون :

أعلنوهـا أبنـاء ديني هـرارا ... أطلقوهـا ورددوهـا شـعارا
أيهـا المـسلمون هيـا اسـتفيقوا ... نحـن مـستهدفون ديـنـا ودارا
أصـبح المـسلمون فـي الأرض ... صيدا يحكم المعتدي عليه الحصارا
والحـروب التـي توالـت علينـا ... خلفـت فـوق أرضـنا اسـتعمارا
فأشـبع المـسلمين ذلا وقهـرا ... واحـتلالا واسـتعبد الأحـرارا
فـي فلـسطين نبحـوهم والعـراق ... والـضحايا فـي كـل أرض تـوارى
كـم صـرخنا فـي كـل واد هبـاء ... واسـتغثنا فلـم نجـد أنـصارا
مجلـس الأمـن إن أتيناه نـشكوا ... غـض عنـا أبـصاره واسـتدارا
عـصبة بيتـت لنـا كـل شـر ... لا تـداري أو تـدعي الإنكـارا
إن فـي فلـسطين الجريحـة شـعبا ... وحـد الله مـا اعتـدى أو جـارا
مـسلم طيـب عريـق نبيـل ... لـم يكـن ظالمـا ولا جهـارا
عـصبة الكفـر هاجمتـه وراحـت ... تـسقط المـوت فوقـه والـدمارا
نبحـوا جرحـوا أبادوا السـتباحوا ... شوهوا شـردوا قـوة وافتـدارا
والعـذارى قـد اغتـصبن اغتـصابا ... لهف نفسي علـى اغتـصاب العـذارا
والثكـالى المولـولات البـواكي ... يحتـسبن الأحبـة الأبـرارا
والـصغار الـذين يبكـون جوعـا ... يا لوحـشة الجـوع يفنـي الـصغارا
يـصرخ الطفـل أطعمينـي أطعمـي ... ني فتسقي طفلها الأم دمعها المـدرارا
الجهـاد الجهـاد يـا قـوم هبـوا ... قـد اطلـتم يـا قومنـا الانتظـارا
كيـف ماتـت إخـوة الـدين فينـا ... أصـبح الحـرب بيننـا مـستعارا
ثـم عـشنا فـي فرقـة واختلفنـا ... وافتقـدنا الوفـاء والإيثـارا
لـم يعـد بعـضنا لـبعض ظهيـرا ... كالجـدار الـذي يـشد الجـدارا
وابتعـدنا عـن ديننـا وافترقنـا ... فابتلينـا هـزائم وانحـدارا
ربنـا إليـك التجئنـا كـنـ ... مغيثـا لمـن دعـا واسـتجارا
وانـصر المـسلمين نـصرا قريبـا ... يـا مجيبـا يـا واحـدا قهـارا

الخطبة السادسة: الحقوق المتبادلة بين الزوجين.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

إخوة الإيمان:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع كلـه، وإذا فسدت فسد المجتمع كله؛ لذا أولى الإسلام الأسرة عناية كبيرة، وكفل لها ما يضمن سعادتها وسلامتها.

واعتبر الإسلام الأسرة مؤسسة تقوم على شركة بين اثنين، المسؤول الأول فيها هو الرجل قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ﴾[النساء:٣٤]

وجعل الإسلام هذه الشركة تقوم على حقوق متبادلة بين الزوجين كما بين ربنا في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة :٢٢٨]

وكذلك قال ﷺ : **" ألا إن لنسائكم عليكم حقا "** (١)

أولا: حقوق الزوجة على الزوج

الحق الأول: أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى:

جاء عند مسلم أنهﷺ قال: **"ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف"** (٢)

وورد عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رجلًا سأل النبي ﷺ: ما حق المرأة على الزوج؟ قال:**"أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت"** (٣)

الحق الثاني: أن يحافظ لها على دينها:

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

1- حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٠).

2 - مسلم(٢١٣٧) .

3 - ابن ماجه (١٨٤٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣١٤٩) .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسولَ اللهِ ﷺ قـال: " **كُلكُـم راعٍ وكُلكُم مسئُولٌ عن رعِيتِهِ: الإمام راعٍ ومسئُولٌ عن رعِيتِهِ، والرجلُ راعٍ فِـي أهلِهِ وهو مسئُولٌ عن رعِيتِهِ، والمرأةُ راعِيةٌ فِي بيتِ زوجِها ومسئُولةٌ عن رعِيتِها .....** "(١)

وكان عمر رضي الله عنه يصلي من الليل ثم يوقظ أهله ويتلو قولـه تعـالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

(طه١٣٢)

لذلك يجب على الرجل في أسرته أن يأمرهم بالصلاة والصيام، ويأمر نسائه وبناته بالحجاب وسائر أوامر الدين .

فعلى الرجل أن يعلم المرأةَ الضروري من دينها، أو أن يأذن لها في حـضور مجالس العلم أو أن يأتي لها بالكتب النافعة والأشرطة المفيدة التي تعلمها دينها؛ فإن حاجتها لإصلاح دينها ليس بأقل من حاجتها إلى الطعام والشراب الواجب بذلهما لها؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ والمرأة من الأهل .

الحق الثالث: الصبر على ما يراه من سوء منها:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩]

1 - البخاري(٨٤٤) ،ومسلم (٣٤٠٨)

روى البخاري ومسلم عن أَبِي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: "**واستوصوا بِالنساءِ خيرا؛ فَإنهن خلِقْن مِن ضِلَع، وإن أعوج شيءٍ فِي الضلَع أعلاه، فَإنْ ذَهبت تقِيمه كَسرته، وإنْ تركْته لَم يزلْ أعوج فَاستوصوا بِالنساءِ خيرا** " [1]

أي أن الرجل إذا أراد أن يقيم المرأة على الجادة وعدم الاعوجاج أدى به ذلك إلى الشقاق والفراق وهو الكسر، كما جاء ذلك صريحاً في لفظ مسلم لهذا الحديث.

وإذا صبر على سوء حالها وضعف معقولها دام الأمر واستمرت العشرة؛ لذلك قال ﷺ:"**استوصوا بهن خيرا** " أي بالصبر على ما يقع منهن، وفيه رمز إلى التقويم برفق حيث لا يبالغ فيه فيكسر ، ولا يترك فيستمر على عوجه كما جاء عن عائِشةَ (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ قَالَ:"**إن الرفْق لَا يكُونُ فِي شيءٍ إلا زينه وجمله ، ولَا ينزع مِن شيءٍ إلا شانه**" [2] أي وبخه وقبحه .

قال بعض السلف : ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها، بل تحملُ الأذى منها، والحلم على طيشها وغضبها؛ اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كان نساؤه يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل . [3]

وليعلم الإنسان أنه ليس هناك شخص كامل أبداً، فلا بد من الذلل، ولكن هذا الذلل يقدر بقدر، ويختلف من ذلل لآخر؛ فهناك ما يتغاضى عنه، وهنالك ما لا

---

1 - البخاري (٤٧٨٧) ومسلم(٢٦٧٠).

2 - مسلم (٤٦٩٨) .

3 - الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز ص٣٠٢ ، نقلاً من مختصر منهاج القاصدين ص:٧٨، ٧٩، دار: ابن رجب .

يتغاضى عنه **فمثلاً**: لا يتغافل عن ترك الصلاة أو كلامها مع الرجال الأجانب، أو ما أشبه هذا .

فالزوج يتغافل عن بعض الأشياء البسيطة التي من الممكن أن تزول فيما بعد أو بموقف بسيط .

فيتغافل مثلا عن رداءة الطعام مع محاولة إصلاحه بأن يثني لها على طعامها- وهذا من الكذب الجائز- ويأتي لها بمجلة تحتوي على أجمل الأطعمة أو غير ذلـك من وسائل الإصلاح غير المباشرة، فهي بنفسها ستحاول ذلك إذا وجدت ثناءً من الشخص عليها.

فالتغافل في أمور الدنيا وليس أمور الدين التي هي حق الله عزوجل، فلو فعل ذلك لتحسنت هي بنفسها في أمور الدنيا

قال بعض الحكماء: العاقل هو الحكيم المتغافل .

وقيل لبعض العارفين: ما المروءة ؟ قال: التغافل عن زلة الإخوان.

وقال الإمام أحمد: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل .

وقال كثير:

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتطلب جاهدا كل عثرة حدها ولا يسلم له الدهر صاحب. [1]

1 - كل هذه الآثار من كتاب " غذاء الألباب شرح منظومة الآداب " للسفاريني، طبعـة: دار الكتـب العلمية، الطبعة: الثانية .

وعليه إذا رأى ما يسوؤه من العشرة أن يتذكر ما يسره؛ وذلك لما ورد عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهﷺ:"**لا يفْرك مؤمن مؤمنةً إنْ كره منها خلُقًا رضِي منها آخر _ أو قَالَ : غَيره** "[1] ومعنى لا يفرك أي: لا يبغض .

الحق الرابع:التبسم في **وجهها وإدخال السرور عليها**:

قال النبي ﷺ: "**تبسمك** في **وجه أخيك صدقة**" [2]

وقال الحسن البصري: حسن الخلق هو بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه .

وقال بعض العلماء: هو التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

فدائما يختار لها أطايب الكلام ويبتعد عن أقبحه، ولا يجعل حياته تهديداً لها بالطلاق في كل وقت، فإن هذا يعكر صفو الحياة الزوجية فالكلمة الطيبة صدقة

وكذلك مما يدخل السرور عليها التلطف معها والمداعبة معها؛ اقتداءً برسول اللهﷺ فقد كان يتلطف مع عائشة ويسابقها حتى قالت :"سابقَنِي النبِي ﷺ فَسبقْته، فَلِبْنا، حتى إذَا رهِقَنِي اللحم سابقَنِي فَسبقَنِي فَقَالَ:"**هذِهِ بِتيك**"[3]

ومن هذا الباب جواز الكذب من الزوجين على بعضهما لمصلحة الحياة الزوجية أي بتظاهر الحب ولو لم يوجد، كأن يقول لها مثلاً: أنت أحب الناس إلي

---

1 -مسلم (٢٦٧٢) .

2 - الترمذي (١٨٧٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨) .

3 - ابن ماجه (١٩٦٩) وأحمد (٣٢٩٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣١)، ولكن بلفظ "سابقني النبي فسبقته"

أو يأتي لها بأبيات في الحب فيقول مثلاً كما قال علي بن أبي طالب ﷺ لفاطمـة (رضي الله عنها) حين رآها تساك فقال :

قد فزت يا عود الأراك بثغرها أما خفت يا عود الأراك أراك؟!

لو كنتَ من أهل القتال قتلتـك ما فاز مني يا سِواك سـ ـواك

وذلك لما ورد عن أُم كُلْثُومٍ بِنتِ عقْبةَ (رضي الله عنها) قَالَت: ما سمِعت رسولَ الله ﷺ يرخص فِي شيءٍ مِن الْكَذِبِ إلا فِي ثَلَاث: الرجلُ يصلِح بين الناسِ يقُولُ الْقَولَ ولَا يرِيد بِهِ إلا الْإِصلَاح، والرجلُ يقُولُ فِي الْحربِ، والرجلُ يحـدثُ امرأته والْمرأةُ تحدثُ زوجها "[1]

ومن هذا الباب أيضاً أن يخاطبها بأحب الأسماء إليها أو يترخم في اسمهـا، كما كان يفعل النبيﷺ مع عائشة حيث كان ينادي لها يقول: **يا عائش**. وذلـك لإدخال السرور على قلبها، وأحياناً كان يقول لها: يا حميراء .

ومن هذا الباب أيضاً الاستماع إلى حديثها، حتى لو لم يكن مفيـداً كمـا كان من هديهﷺ كما هو واضح في حديث أم زرع الطويل.

ويدخل في هذا أيضاً إكرام أهلها ، فكما أن من حق الزوج على زوجته أن تكـرم أهله فإن من حق الزوجة على زوجها أن يكرم أهلها.

ويا حبذا لو ساعدها في بعض أمور المنزل ،

1 -مسلم (٤٧١٧) .

فعن عروة قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين أي شيء كان يـصنع رسـول اللهﷺ إذا كان عندك ؟ قالت: ما يفعل أحدكم في مهنة أهله يخصف نعله ويخـيط ثوبه ويرقع دلوه[1] .

الحق السادس: عدم الغضب في وجهها:

إن الغضب دائماً مذموم، وقد وصى النبي ﷺ الرجل الذي جـاءه فقـال: أوصني فقال له: **"لا تغضب" ثلاثا،** والغضب دائماً لا يأتي بخير.

فعلى الإنسان دائما أن يتحلى بالحلم، فبه سوف يحقق كل ما يريد

وقد ساد الأحنف ابن قيس قومه أربعين سنة بالحلم.

قال عنترة:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من دأبه الغضب [2]

قلت: لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله كما كان يفعل النبي ﷺ

من كان رحيما فليقس أحيانا على من يرحم

الحق الخامس: أن يتجمل لها ويعطيها حقها في الفراش:

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة :٢٢٨]

---

1 - أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه(٥٦٧٦)، وأخرجه البخاري في الأدب المفـرد (٥٣٩) باب ما يعمل الرجل في بيته، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد عند كلامه عـن هذا الحديث، وأصل الحديث في صحيح البخاري (٥٥٧٩) في كتاب الأدب من صحيحه ولفظه: "كان رسول الله في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة " والمهنة هي الخدمة .

2 -نضرة النعيم من أخلاق النبي الكريم (٤٤٣٩/١٠)، دار: الوسيلة .

كما قال ابن عباس: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي .

وقد رد النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل[1]، وكذلك زجر عبد الله بن عمرو الذي كان يقوم الليل ولا ينام وقال له: "**إن لأهلك عليك حقاً**"

ومن الخطأ الشائع أن الرجل يعمل اليوم كله ثم يأتي آخر الليل وهو متعب فلا يقرب زوجته، أو أن يسافر مدة طويلة تزيد على أربعة أشهر؛ فإن كثرة غياب الزوج عن زوجته يؤدي إلى الشقاق وتفكك المجتمع؛ وهذا كله ينافي المعاشرة بالمعروف.

الحق السادس: أن يأذن لها في الخروج من البيت إذا احتاجت إلى ذلك [2]:

كأن تخرج للصلاة أو درس علم أو إلى زيارة الأهل أو الجيران أو غيرهـم بشرط أن تخرج ملتزمة الزي الإسلامي، وأن لا تصافح أو تخالط الرجال الأجانب، وأن لا تخرج متعطرة لقوله ﷺ: "**لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجِد اللهِ، ولكِن ليخـرجن وهن تفِلات** " [3]

الحق السابع: أن لا يفشي سرها وأن لا يذكر عيبها:

إذ هو الأمين عليها، ومن أخطر الأسرار أسرار الفراش؛ ولذا حذر النبي ﷺ من إذاعتها فقال عن الذي يفشي سر زوجته أو العكس قال ﷺ:"**إنما مثَلُ ذَلـك مثَلُ شيطانةٍ لَقِيت شيطانا فِي السكةِ فَقَضى مِنها حاجته، والناس ينظُرونَ**" [4]

1- البخاري (٤٦٨٥) ومسلم (٢٤٨٨)، والتبتل: الانقطاع للعبادة وترك النكاح.

2- قال الإمام ابن حجر تعليقا على قول الإمام البخاري : باب جواز خروج النساء قال: يفهم مـن ذلك أن الأصل عدم جواز خروج النساء.

3- ابو داود (٤٧٨) وأحمد (٥٤٦٧) والدارمي(١٢٤٨)، وصححه الشيخ الألباني في صـحيح أبـي داود (٥٧٤).

4- أبو داود (١٨٥٩) وأحمد (٢٦٣٠١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٠٣٧)

الحق الثامن: أن يستشيرها في الأمور:

لاسيما الأمور التي تخصهما وأولادهما؛ اقتداءً برسول الله ﷺ، ومن ذلك ما كان منه يوم الحديبية حين فرغ من كتابة الصلح ثم قال لأصحابه: "**قوموا فانحروا** ثم **احلقوا** " فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، ثم دخل علـى أم سلمة (رضي الله عنها) فقص عليها ذلك فقالت له: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ... [1]

وقد لا يأخذ برأيها - وقد يكون رأيها هو الصواب - ولكن يفعل هـذا؛ تطييباً لخاطرها.

الحق التاسع: العدل بين الزوجات لو عنده أكثر من واحدة:

العدل في المطعم والملبس والمسكن والفراش بالقدر المستطاع؛ لقوله ﷺ: "من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل"[2]

1 - البخاري (٢٥٢٩) .

2 - أبو داود (٢١١٩) وغيره، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء(٢٠١٧).

ثانياً: حقوق الرجال على النساء.

الحق الأول: أن تطيعه طاعة مطلقة في غير معصية الله:

كما جاء عند الترمذي من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) أنه ﷺ قـال: **"إيما امرأة ماتت وزوجها عليها راض دخلت الجنة"[1]**

و قوله ﷺ: **"إِذَا صلتِ الْمرأَةُ خمسها، وصـامت شـهرها، وحفِظـت فَرجها، وأَطاعت زوجها قِيلَ لَها: ادخلِي الْجنةَ مِن أَي أَبوابِ الْجنةِ شِئْتِ"[2]**

وعند الترمذي عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه عنِ النبِي ﷺ قَالَ: **"لَا تـؤذِي امـرأَةٌ زوجها فِي الدنيا إِلا قَالَت زوجته مِن الْحورِ الْعِينِ: لَا تؤذِيهِ قَاتلَكِ الله؛ فَإِنما هو عِندك دخِيلٌ يوشِك أَنْ يفَارِقَكِ إِلَينا"[3]**

وعند أحمد عنِ الْحصينِ بنِ مِحصنٍ أن عمةً لَه أَتتِ النبِي ﷺ فِـي حاجـةٍ فَفَرغَت مِن حاجتِها فَقَالَ لَها النبِي ﷺ : **"أَذَات زوجٍ أَنتِ**؟" قَالَت: نعـم قَـالَ: **"كَيف أَنتِ لَه؟"** قَالَت: ما آلُوه إِلا ما عجزت عنه. قَالَ: **"فَانظُرِي أَين أَنتِ مِنه؛ فَإِنما هو جنتكِ ونارك" [4]**

فعلى المرأة أن تطيع زوجها طاعة مطلقة لكن تحذر أن تطيعه في معصية الله:

---

1 - الترمذي (١٠٨١) وابن ماجه (١٨٤٤)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع(٢٢٢٧)

2 - أحمد (١٥٧٣)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (٣٢٥٤) .

3 - الترمذي (١٠٩٤)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٧٣) .

4 - أحمد (١٨٢٣٣) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (١٩٣٣) ومعنى آلوه: أقصر في خدمته.

وذلك كأن تطيعه في النمص؛ وقد لعن رسول اللهﷺ النامصة والمتنمصة [1]

وكأن تنزع حجابها من أجله عند الخروج من المنزل، وقد روي عن أبي هريرةرضي الله عنه قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : "**صِنفَانِ مِن أهل النارِ لَم أرهما: قَوم معهم سِياطٌ كَأذْنابِ البقَرِ يضربونَ بِها الناس، ونساءٌ كاسِيات عارِيات مميلات مائِلات رُءُوسهن كَأسنِمةِ البختِ المائِلةِ، لَا يدخلْن الْجنةَ ولَا يجِدنَ رِيحها، وإن رِيحها لَيوجد مِن مسِيرةِ كَذَا وكَذَا**" [2]

أو تطيعه في الظهور على الرجال الأجانب ، والاختلاط بهم ، ومصافحتهم وليسوا لها بمحارم

فعن عقْبةَ بنِ عامِرٍرضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إياكُم والدخولَ علَى النساءِ**". فَقَالَ رجلٌ مِن الْأَنصارِ: يا رسولَ اللهِ أَفَرأيت الْحمو؟ قَالَ: "**الْحمو الْموت**" [3]

أو أن تطيعه في الوطء في المحيض أو الدبر أو يجامعها في نهار رمضان ، إلى غير ذلك مما فيه معصية لله تعالى؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف .

---

1 - مسلم (٥٠١٣)، ومعنى النمص: الأخذ من الحواجب.

2 - مسلم (٣٩٧١) .

3 - البخاري (٤٨٣١) ومسلم (٤٠٣٧) والحمو المذكور في الحديث: هم أقارب الزوج كالأخ وابن العم ونحوهما، ومعنى الموت: الهلاك.

الحق الثاني: أن تتجمل له :

فالزوجة الذكية هي التي تعرف كيف تكسب قلب زوجها، وكيف تكون دائما زوجة جديدة في حياته كل يوم ؛ فالكلمة الحلوة زينة، والبسمة المشرقة جمال، والرائحة الطيبة بهجة ، والفستان الأنيق ، واللمسات الجميلة للشعر، كل ذلك وغيره يؤدي إلى زيادة الحب من الزوج للزوجة؛ وذلك لقوله ﷺ عن خير النساء:"**الِتي تسره إِذَا نظر**" وسيأتي قريباً.

أما إذا وجدها لا تبالي بمنظرها فإنه قد يهجر البيت ويفر منه بسبب هذا الصنيع ، لذا أقول لكِ يا أخيه : إذا وجدت حال زوجكِ قد بدأ يتغير فاسأل نفسك أولاً. فعلى المرأة دائما أن تبحث عن الأشياء التي يحبها زوجها، كما قالت المرأة حين أوصت ابنتها ليلة الزفاف فقالت لها:كوني له أمة يكن لك عبدا ...ولا يشم منك إلا أطيب ريح(سيأتي) .

الحق الثالث: أن لا تصوم إلا بإذنه:

قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : "**لَا تصم الْمرأَةُ وبعلُها شاهِد إِلا بِإِذْنِه، ولَا تأْذَنْ فِي بيتِه وهو شاهِد إِلا بِإِذْنِه، وما أَنفَقَت مِن كَسبِه مِن غَيرِ أَمرِه فَإِن نِصف أَجرِه لَه** "[1]

وعلى هذا يجوز لها أن تصوم وهو غائب، قال أبو زرعة: وفي معنى غيبته كونه لا يمكن التمتع بها لنحو مرض [2]

الحق الرابع: أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه:

والمراد بيت الزوجية سواء كان الزوج حاضراً أو غائباً،

---

1 - البخاري (٤٧٣٩) ومسلم (١٧٠٤) .

2 - تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (١١٦/٣) للعزازي ، دار: قرطبة .

وذلك لحديث مسلم والترمذي أنه ﷺ قال: **"فَأما حقكُم على نِسائِكُم فَلا يوطِئْن فُرشكُم من تكْرهونَ، ولا يأذَن فِي بيوتكُم لِمن تكْرهونَ "**[1]

قال النووي: فلا يحل للمرأة أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج، إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه ، أو ممن أذن لـه في الإذن في ذلك ، أو عرف رضاه باطراد العرف بذلك، ومتى حصل الـشك في الرضـا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن [2].

الحق الخامس: أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه:

قال ابن قدامة: وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى ما لها منه بد سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما أو حضور جنازة أحدهما.

قال أحمد في **امرأة** لها زوج وأم مريضة قال: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها، إلا أن يأذن زوجها .

هذا ما قال ابن قدامة لكنه قال بعد ذلك تنبيهاً للأزواج الظلمـة الـذين يستغلون قوامتهم في منع أزواجهم عن آبائهن وأمهاتهن فقال: لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما؛ لأن في ذلك قطيعة لهما وحملاً على مخالفته، وقد أمـر الله تعالى بالمعاشرة، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف [3]..

1 - مسلم (٢١٣٧) والترمذي (١٠٨٣).

2 - المصدر قبل السابق نفس الصفحة نقلاً من شرح النووي على صحيح مسلم .

3 - السابق نفس الصفحة والتي تليها بتصرف بسيط .

الحق السادس: أن تحفظ ماله:

وذلك لما وردِ عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرسول اللهِ ﷺ: أي النساءِ خير؟ قَالَ: "**الَّتي تسره إِذَا نظر، وتطِيعه إِذَا أمر، ولَا تخالِفُه فِي نفْسِها ومالِها بِما يكْره**"[1]

فلا يحل لها أن تتصرف في ماله بغير رضاه؛ لأنها راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها.

كذلك لا تتصرف في ماله إلا بإذنه، إلا أن يكون من قوتها أو مما جرت العادة به بشرط عدم الإفساد .

قال النووي: ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر.

قلت: فمثلاً إذا أعطاها مبلغاً من المال وقال: هذا قوتك هذا الشهر ولم يكف وهو عنده ما يكفيها لكنه بخيل، فلها أن تأخذ دون إذنه بشرط عدم الإسراف.

الحق السابع: أن تحفظه في دينه وعرضه:

وذلك بأن لا تتبرج أمام الأجانب [2]ولا تخرج سافرة في الطرقات أو في الشرفات، ولا تخلو برجل أجنبي (ومن ذلك لا تخلو بأخي زوجها)، ولا تفشي أسرار زوجها، ونحو ذلك [3]

---

1 - صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٨٣٨).

2 - المقصود بالأجانب هنا هم كل من يحل للمرأة الزواج منهم إذا افترقت عن زوجها الحالي بطلاق أو موت أو نحوهما.

3 - راجع الحق السابع من حقوق الزوجة على زوجها.

الحق الثامن: أن تكرم أهله:

وأن تكون هي سبباً في صلته بأهله، وأن تكرم والديه فمـا أحـسنت إلى زوجها من أساءت إلى والديه وأقاربه.

قلت: وليس هذا بواجب عليها، ولكن بالقدر المستطاع؛ فلا يكلـف الله نفسا إلا وسعها.

الحق التاسع: عدم امتناعها عن فراشه:

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسـولُ الله ﷺ :**"إِذَا دعا الرجلُ امرأته إِلَى فِراشِهِ فَأبت فَبات غَضبانَ عليها لعنتهـا الْملَائِكَـةُ حتى تصبِح"**[1]

حتى لو لم يكن لها الرغبة في ذلك إلا إذا كان هناك عذر يمنعها ، ولـو امتنعـت ورضي الزوج بذلك فلا إثم عليها؛ لأن شرط اللعنة في الحديث عدم رضي الزوج؛ وذلك لورود الحديث بلفظ: **"إيما امرأة باتت وزوجها عليها غضبان "**

وننصح الأخت المسلمة بالاطلاع على كتاب جيد في هذا المجال بعنـوان" **هديتي لابنتي عند زفافها"** للشيخ: محمد بن رزق هرموني ، وهو موجـود علـى الشاملة، ولا يجوز الاطلاع عليه لغير المتزوجين، وفيه حلول لكل المشاكل الزوجية، ومنها مشاكل الجماع (للزوج والزوجة).

1 - البخاري (٢٩٩٨) ومسلم (٢٥٩٤) .

الحق العاشر: أن لا تطلب الطلاق من غير سبب:

وذلك لما ورد عن ثوبان عن النبي ﷺ قَالَ: "**المختلِعات هن المنافقات**" [1]

روي عنه أنه ﷺ قَالَ:"**أيما امرأةٍ اختلعت مِن زوجِها مِن غَيرِ بـأسٍ** [2] **لم ترح رائحة الجنة** " [3] .

الحق الحادي عشر: أن لا تكْفره وعليها بالقناعة:

فإذا جاء لها بشراب أو طعام أو كسوة فيجب عليها أن تقابل هذا بالشكر له والدعاء له بالبركة والنماء في ماله وصحته؛ لقوله ﷺ : "**من أدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإذا** لم تجدوا **ما تكافئوه فادعوا له بالخير**" [4] وقوله ﷺ :" **من** لم **يشكر الناس** لم **يشكر الله**" [5]

وعليها بالقناعة وأن لا تنظر إلى غيرها من النساء؛ فإن الله تعـالى يقـول:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[الطلاق:٧]

ولتتأس بأمهات المؤمنين فعن عائشة (رضي الله عنها): ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبضه الله" [6]

---

1 -الترمذي(١١٠٧) والنسائي(٣٤٠٧) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٩٣٨) .

2 - والبأس كأن يكون في الإبقاء مع هذا الرجل إضرار على المرأة في دنياها أو دينها، كأن يأمرها بترك الصلاة أو نزع الحجاب أو الإفطار في رمضان أو يكون هو تاركا للصلاة، وغير ذلك مما فيه إضرار بدين المرأة، أو دنياها، كأن يضربها ضربا يكسر لها عظما أو يتلف لها عـضوا أو غير ذلك .

3 - الترمذي (١١٨٦) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٦٣٣).

4- صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢١)

5- صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤١).

6 -البخاري (٥٩٧٣) ومسلم (٥٢٧٦) .

الحق الثاني عشر: الابتسامة في وجهه:

ولو بالتصنع والتكلف فيها، فهو دائماً بحاجـة إلى العاطفـة الـتي أنـت مصدرها، إنه دائماً يريد أن يسمع كلمة الشوق والشكر والحب والرغبة في الإنس به واللقاء.....،

رددي بين الفينة والفينة عبارات الإعجاب بمزاياه، واذكري لـه اعتـزازك بالزواج منه وأنك ذات حظ عظيم؛ فإن ذلك يرضي رجولته - ولو كان ذلك كله كذباً للحديث السابق- قابليه ساعة دخوله بالكلمة الحلوة العذبة، وتناولي منه ما يحمل بيديه وأنت تلهجين بذكره وانتظارك إياه.

أختي المسلمة: هذه حقوق زوجك أو أغلبها وأهمها، فعليك أن تجتهدي في القيام بها حق القيام، وأن تغضي الطرف عن تقصير زوجك في حقك؛ فإنـه بذلك تدوم المودة والرحمة، وتصلح البيوت، ويصلح المجتمع بصلاحها

ومن أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى كتاب عودة الحجاب (المجلد الثاني) للشيخ: محمد إسماعيل المقـدم – حفظـه الله تعـالى – طبعـة (دار الإيمـان بالإسكندرية).

لكن ماذا يفعل الإنسان إذا رأى نشوزاً أو عصياناً من زوجته؟

لا أظنك أيها الزوج أنك لو طبقت كل ما سبق أو معظمه أنه سيكون هنالك نشوز أو إعراض؛ لأن الزوجة إذن ستلين لك بإحسانك إليها وصدق من قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

قـال تعـالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ ﴾ [النساء:٣٥].

فعليه بإتباع الآتي :

[١] الموعظة الحسنة:

وذلك أن يذكرها بالله ورسوله ﷺ وبما أعده الله تعالى للمرأة لو أحسنت إلى زوجها، ويذكرها بأحاديث النبي ﷺ كقوله ﷺ: "**إذَا صلتِ المرأةُ خمـسها، وصامت شهرها، وحفِظت فَرجها، وأطاعت زوجها قِيلَ لها: ادخِلي الجنـةَ مِن أي أبوابِ الجنةِ شِئْتِ**"[1] ***وغيره***

[٢] إن فشلت الموعظة فعليه بالهجر:

وهذا الهجر إما في الفراش أو في حجرة النوم، كأن تعطي لها ظهرك أو تنـام على سرير آخر، لكن في نفس الغرفة، أو قد يكون الهجر بالكلام،على حسب ما يصلح مع المرأة .

وسواء كان الهجر في الكلام أو الفراش يجب أن لا يـراه الأولاد، ولا يكـون الهجر إلا في المنزل فقط؛ لقوله ﷺ : "**ولا يهجر إلا في البيتِ** "[2]

وليس لهذا الهجر مدة محددة، بل حسب ما يصلح المرأة .

1 - أحمد (١٥٧٣)، وسيأتي تخريجه

2 - ابن ماجه (١٨٤٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣١٤٩) .

[٣] إن فشلت الموعظة والهجر فعليك بالضرب:

لكن هذا الضرب يكون بحيث لا يكسر عظماً [١] أو يترك عاهة للمرأة ؛لقوله ﷺ : **"فَإِنْ فَعلْن ذَلك فَاضربوهن ضربا غَير مبرح"**[٢]

وكذلك لا يكون هذا الضرب على الوجه.

وكان النبي ﷺ يضرب بالسواك، وقال ﷺ: "**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد** ثم يجامعها في **آخر اليوم**"[٣] وفي **رواية : " يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها في آخر يومه "**

فإذا أطاعت المرأة زوجها فلا يجوز له أن يضربها من غير سبب

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾:إن هذا تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب ؛ فإن الله العلي الكبير هو ولـيهن وسينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن .

فإياك أخي الحبيب من ظلم النساء ، فالظلم ظلمات يوم القيامة .

لا تظلمن إذا كنت مقتدر فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعوا عليك وعين الله لا تنم

---

1 - فقه السنة للشيخ سيد سابق(٢/٢٣٤)

2 - مسلم (٢١٣٧) .

3 - البخاري (٤٥٦١) .

رسالة إلى الآباء و الأمهات:

عليكم أن تعلموا بناتكم حقوق أزواجهن قبل الزفاف كما كانت هي عادة نساء السلف (رضي الله عنهن).

قال أنس: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة على زوجها، يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه[1].

وصية الأب ابنته عند الزواج[2]: وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: "إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب؛ فإنه يورث البغضاء، وعليكِ بالكحل؛ فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء" .

وصية الزوج زوجته[3]: وقال أبو الدرداء لامرأته: "إذا رأيتني غضبت فرضني. وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب".

وقال أحد الازواج لزوجته[4]:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنفريني نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المُغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى ... ويأباك قلبي، والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

---

1 - فقه السنه للشيخ سيد سابق(٢٣٣/٢) .

2 - السابق.

3 - السابق .

4 - السابق .

وصية أم لابنتها ليلة الزفاف:

فقد خطب عمرو بن حجر ملك كندة أم إياس بنت عوف الشيباني، فلمـا حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث، فأوصتها وصية بينت فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها فقالت:

أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك؛ لكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغـنى أبويهـا وشـدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهـن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن بك عبداً وشيكاً .

واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن تواتر الجوع ملهبـة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً؛ فإنك إن خالفـت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهموماً، والكآبة بين يديه إن كان مسروراً[1]

قلت: وليس هذا قاصرا على وصية البنات فحسب، بل للشباب أيضا.

رسالة إلى الشباب:

عليكم أن تعجلوا بالزواج ؛ لقوله ﷺ : **"يا معشر الشبابِ من اسـتطاع مِنكُم الْباءَةَ فَلْيتزوج، ومن لم يستطِع فَعلَيهِ بِالصومِ فَإنه له وِجاءٌ"**[2]

ومن عجز عن الزواج فعليه أن يستعفف، وأن يكثر من الـصيام، ويكثـر كذلك من دعاء الله تعالى أن يمن عليه بالزواج.

فلا تسهتن – أخي الكريم - بالدعاء كما قال الشافعي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعـاء
سهام الليل لا تخطي و لكن لها أمد وللأمد انقضاء

وعليك أن تتقي الله في سرك وعلانيتك؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾

فإذا قدمت على أمر الزواج:

فعليك بأن تختار المرأة ذات الدين؛ لما ورد عن أَبِي هريرة رضي الله عنه عن النبِي ﷺ قَالَ: **"تنكَح الْمرأةُ لِأربعٍ لِمالِها ولِحسبِها ولِجَمالِها ولِدِينِها، فَاظْفَر بِذَاتِ الدين تربت يداك "** [3]

---

1 - الوجيز ص:٣١٠، دار ابن رجب

2 - البخاري (٤٦٧٧) ومسلم (٢٤٨٥)

3 - البخاري (٤٧٠٠) ومسلم(٢٦٦١)

رسالة إلى الآباء الفضلاء:

عليكم أن تيسروا على الشباب كي تحفظوا المجتمع من الزنا والفـواحش ؛ فقد روي عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :**"إِذَا أتاكُم مـن ترضـونَ خلُقه ودِينه فَزوجوه، إِلا تفْعلُوا تكُن فِتنةٌ فِي الْأَرض وفَساد عرِيض"** [1]

وقال ﷺكما عند أحمد: **"إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة"**[2] أي تكلفة .

مثال من حياة السلف في التيسير في الزواج :

جاء في السير أن مجلس سعيد بن المسيب كان يحضره عشرات بل مئات من طلاب العلم، وكان منهم طالب اسمه أبو وداعة . ونتركه يحكي لنا قصة زواجـه بابنة سعيد بن المسيب:

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلمـا جئتـه قال: أين كنت ؟

قلت: توفيت زوجتي وانشغلت بدفنها وعزائها ، فقال: هلا أخبرتنا حتى نعزيـك ونواسيك .

قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها ؟!

فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟!

فقال: إن أنا فعلت تفعل ؟

---

1 - ابن ماجه (١٩٥٧) ، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة (٣٠٩٠) .

2 - أحمد (٢٣٣٨٨) .

قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبيﷺ وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة .

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح؟ فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر من آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا ؟

قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له،

فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلي فآتيك. قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرني قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب،

ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني وقالوا: ما شأنك فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت ،وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج؛ قال: فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي.

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصب عليه الماء. [1]

فليتنا نعتبر بهذا !!!!

1 - وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٤٣٩/١٠)، دار صادر ،ببيروت .

الخطبة السابعة: رسالة عاجلة إلى المرابين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ **[آل عمران:١٠٢].**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

ونتناول هذا الموضوع في **عدة مسائل:**

المسألة الأولى: تعريف الربا:

لغة: الزيادة؛ وربا الشيء يربو ربواً ورئاً : أي زاد ونما ، وأربيتـه ، وفي التنزيـل العزيز ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يضاعفها ويزيدها ، والربوة : ما ارتفع عن الأرض وربا ، والربو : (النفَس العالي).

اصطلاحا: قال بن قدامة (رحمه الله تعالى) : الربا : من الزيادة في أشياء مخصوصة. وقال بن العربي (رحمة الله تعالى) الربا : كل زيادة لم يقابلها عوض ومن التعريفات الشاملة للربا تعريف " معجم لغة الفقهاء " حيث قال فيه : الربـا : كـل زيـادة مشروطة في العقد خالية عن عوض مشروع .

وأما الربا عند الغربيين: فهو ولادة المال للمال لعنصر الزمن ليس إلا.

المسألة الثانية: أنواع الربا :

(١) ربا الفضل: وهو أن يبيع الرجل صاعاً من تمر جيد بصاعين مـن تمـر رديء، أو يبيع مائة جرامٍ من ذهب جيد بمائة وخمسين من ذهب قديم مثلاً.

وقد نص الحديث على تحريم الربا في ستة أعيان وهي: الـذهب والفـضة والقمح والشعير والتمر والملح [1].

كما ورد في صحيح البخاري ومسلم عن عبادةَ بن الصامِتِ قَـالَ: (إنـي سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ ينهى عن بيعِ الذهبِ بِالذهبِ، والْفِضةِ بِالْفِضةِ، والْبر بِالْبر، والشعِيرِ بِالشعِيرِ والتمرِ بِالتمرِ، والْمِلْحِ بِالْمِلْحِ، إلا سواءً بِسواءٍ، عينا بِعينٍ، فَمن زاد أَو ازداد فَقَد أَربى) [2] والبر هو القمح

والقاعدة في التعامل بهذه الأشياء هي: **إذا اتحد الجنسان حرم الزيادة والنساء (أي التأجيل)، وإذا اختلف الجنسان حل التفاضل دون النساء.**

---

1 - واتفق العلماء على أنه يلحق بهذه الأشياء الستة الأوراق النقدية والعملات (مثل الجنية والريـال والدينار .....) بجميع أشكالها، .فينطبق عليها ما ينطبق على هذه الأشياء الستة مـن المثليـة والتقابض في المجلس.

2 -البخاري (٢٠٢٨) ومسلم (٢٩٦٩) .

فمثلاً:

ذهب بذهب يجوز لكن بشرط المماثلة (أي الشيء الذي يعطيه مثل الـشيء الذي يأخذه)، والتقابض في المجلس (أي يعطي ثمن المبيع في نفس الوقـت الـذي اشترى فيه) فلو خلّ شرط منهما لا يجوز.

ولو باع ذهباً بفضة يجوز ولا يشترط المماثلة فتجوز الزيـادة، لكـن بـشرط التقابض في المجلس وهكذا .

(٢) ربا النسيئة:

وهو أن يقرض الرجل رجلاً آخر قرضاً على أن يرده مع زيادة.

وربا النسيئة هو ربا القروض، وسماه ابن القيم: الربا الجلي، وسماه بعض العلمـاء أيضاً ربا الجاهلية؛ لأن تعامل الجاهليين كان به .

قال شيخ الإسلام: كان أصل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجـل المال المؤجل، فإذا حل الأجل قال له: أتقضي أم تربي، فإن وفاه وإلا زاد هـذا في الأجل وزاد هذا في المال، فيضاعف المال والأصل واحد [1] .

سوال : هل تعامل البنوك اليوم يعد من الربا المحرم ؟ وإذا كان كذلك فتحـت أي نوع من نوعي الربا يندرج ؟

قال الدكتور فضل إلهى: إن انتشار ربا القروض لم يكن في الجاهلين فحسب، بل هو النوع المنتشر الآن ، والمستعمل في البنوك والمصارف، وهو السبب الرئيسي لكثير من المشاكل الاقتصادية العالمية اليوم .

1 - الفتاوى (٢٠/ ٣٤٩) ، طبعة: دار الوفاء، تحقيق: أنور الباز .

المسألة الرابعة: تحريم الربا في الكتاب والسنة والإجماع:

أولاً: ما ورد من الوعيد الشديد لآكلي الربا في القرآن الكريم:

(١) قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ [آل عمران ١٣٠]

مضاعفة: فيه إشارة إلى تكرر التضعيف عاما بعد عام، كما كانوا يصنعون، فدلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه؛ ولـذلك ذكـرت حالـة التضعيف خاصة.

(٢) وقـال تعـالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [سورة البقرة ٢٧٥ – ٢٨١]

قال ابن كثير: شرع جل ثناؤه في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنـواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم، وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقـال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً ، قال ابن عباس: آكل الربا يبعـث يوم القيامة مجنوناً يخنق .

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾

أي: إنما جوزوا بذلك ؛ لإعتراضهم على أحكام الله في شرعه .

وقوله ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه، فله ما سلف من المعاملة .

قال سعيد بن جبير والسدي: فله ما سلف أي ما كان أكل من الربا قبـل التحريم .

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ أي: إلى الربا ، ففعله بعد أن بلغه نهي الله عنه فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة .

قوله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يخبر تعالى أنه يمحق الربـا ، أي يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله ، فلا ينتفع به ، بل يعذبه به في الدنيا [1] ، ويعاقبه عليه يوم القيامة .

1 - وذلك مشاهد في واقعنا المعاصر كما يحدث لإي رجل يتعامل بالربا، وما حدث في دولة أمريكا حيث تكاثرت عليها الديون مما اضطرها إلى أن جعلت الفائدة التي يأخذها البنك صفراً

قوله : ﴿**ويربي الصدقات**﴾ من ربا الشيء يربو، وأرباه يربيه أي كثّره ونماّه

ثم يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ناهياً لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعـدهم عن رضاه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار، (إن كنتم مؤمنين) بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك.

﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾أي إن لم تنتهوا فأنتم حـرب لله ورسوله أي أعداءً [1] ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار ، ثم قـال تعـالى ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي : بوضـع رؤوس الأموال أيضاً ، بل لكم ما بذلتم من غير زيادة عليه ولا نقص منه.

ثانياً: ما ورد من السنة في عقوبة الربا:

لقد حذر النبي ﷺ من الربا تحذيراً شديداً، ورهب منـه ترهيبـاً عظيمـاً، واستفاضت أحاديثه في التحذير والترهيب، وبيان الوعيد الشديد والهـآل الفظيـع للمرابين في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١- ما روي عن أَبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قَالَ: ((**اجتنبوا الـسبع الموبقـاتِ قالُوا: يا رسولَ اللهِ وما هن؟ قَالَ: الشركُ باللهِ، والسحر، وقَتلُ النفْسِ التِي**

1 - تفسير ابن كثير (٧٠٨/١)، باختصار، دار : طيبة .

حرم اللهـإلاـبالحق، وأكْلُ الربا، وأكْلُ مال اليتيم، والتولي يـوم الزحـف وقَذْف المحصناتِ المؤمِناتِ الغافِلاتِ)) [1]

قال الحافظ: ومعنى الموبقات أي: المهلكات ، والمراد بالموبقة هنا: الكبيرة .

٢- عن جابِرٍ قَالَ: " لَعن رسولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الربا ومؤكِلَه وكَاتبـه وشـاهِديه" وقَالَ: **"هم سواءٌ"** [2]

٣- عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :**"الربا سبعونَ حوبا، أيسرها أنْ ينكِح الرجلُ أمه "**[3]

قال السندي في **تعليقه على هذا الحديث** في **حاشيته على ابن ماجه قال:** والحوب بضم الحاء: الإثم، والمراد أنه سبعون نوعاً من الإثم، والمراد التكـثير دون التحديد، (أيسرها) أي أخف تلك الآثام إثم نكاح الرجل أمه، والمراد به العقد أو النكاح، فالحديث يدل على أن الربا أشد من الزنا .

٤ - عن سمرةَ بنِ جندبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِﷺ مِمـا يكْثِـر أَنْ يقُـولَ لِأَصحابِهِ: **"هلْ رأى أحد مِنكُم مِن رؤيا**؟" قَالَ: فَيقُص علَيهِ من شاءَ اللـه أَنْ يقُص، وإنه قَالَ ذَات غَداةٍ: **"إنه أتاني الليلةَ آتيان، وإنهما ابتعثَاني وإنهمـا قَالَا لِي: انطَلِق وإني انطَلَقْت معهما، قَالَ: فَانطَلَقْنا فَأتينا علَى نهرٍ حـسِبت أنه كَانَ يقُولُ أحمر مِثْل الدمِ، وإذَا فِي النهرِ رجلٌ سابِح يسبح، وإذَا علَى شط النهرِ رجلٌ قَد جمع عِنده حِجارةً كَثِيرةً، وإذَا ذَلك السابِح يسبح مـا**

---

1 - البخاري(٢٥٦٠) ومسلم (١٢٩)

2 - مسلم (٢٩٩٥)

3 - ابن ماجه (٢٢٦٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٥٨٥٤) .

يسبح ثُم يأتي ذَلك الذِي قد جمع عِنده الْحِجارةَ فَيفْغر لَه فَـاه فَيلْقِمـه حجرا، فَينطَلِق يسبح ثُم يرجِع إِلَيهِ، كُلما رجع إِلَيهِ فَغر لَه فَاه فَألْقَمه حجرا قَالَ: قُلْت لَهما: ما هذَان؟ قَالَ: قَالَ لِي: انطَلِق انطَلِـق .....- وقـد أول ذلك للنبي - فقيل له: وأما الرجلُ الذِي أتيت علَيهِ يسبح فِي النهر ويلْقَـم الْحجر فَإِنه آكِلُ الربا" (١)

قال ابن حجر: يفغر: يفتح وزناً ومعنى .

قال ابن هبيرة :ـ إنما عوقب آكِل الربا ـ بِسِباحتِهِ فِي النهر الْأَحمر وإِلْقَامـه الْحِجارة؛ ـ لأن أصل الربا يجرِي فِي الذهب والذهب أحمر، وأما إِلْقَام الْملَك لَـه الْحجر فَإِنه ـ إشارة ـ إِلَى أنه لَا يغنِي عنه شيئًا، وكَذَلك الربا فَإِن صاحِبه يتخيـل أن ماله يزداد والله مِن ورائِهِ محقَه(٢).

٥- عن ابن مسعودٍ ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: **"ما أحد أكْثَر مِن الربا إِلا كَانَ عاقِبـةُ أمرِهِ إِلَى قِلةٍ " (٣)** أي: إلى نقص ومحق فما تعامل رجل بالربا إلا أفقـره الله، وهذا يتضح جليا في دولة أمريكا وغيرها .

٦- عن عبدِ اللهِ بن حنظَلَةَ غَسِيل الْملَائِكَةِ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**دِرهم ربـا يأكُله الرجلُ وهو يعلَم أشد مِن سِت وثَلَاثِين زنيةً" (٤)**

٧- روى البزار من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:"**الربا سبعونَ باباً، والشرك مثلُ ذلك" (١)**

---

1 - البخاري (٦٥٢٥) .

2 - الفتح (١٢| ٤٦٢،٤٦٥) ، دار الريان.

3 - ابن ماجه (٢٢٧٩) وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٢٧٠) .

4 - أحمد (٢٠٩٥١١) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٣٣) .

٨- عنِ ابنِ عمر قَالَ: سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: "**إِذَا تبايعتم بِالْعِينةِ، وأَخذْتم أَذْناب الْبقَرِ، ورضِيتم بِالزرعِ، وتركْتم الْجِهاد، سلطَ الله علَيكُم ذُلًا لَا ينزِعه حتى ترجِعوا إِلَى دِينِكُم** "[٢] وسيأتي معنى العينة قريبا إن شاء الله.

ثالثاً: الإجماع على تحريم الربا:

قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادةً أو هديةً فأسلف على ذلك أن أخذَ الزيادةِ على ذلك رباً.

إجماع العلماء المعاصرين وفتوى مجمع البحوث الإسلامية [٣]:

هناك شبه إجماع من العلماء المعاصرين على أن هذه النسبة المحددة سلفاً رباً محرم .

وفي سنة (١٣٨٥)هجريا (١٩٦٥) ميلاديا انعقد المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، وشارك فيه علماء وفقهاء من خمس وثلاثين دولة إسلامية، وضم المؤتمر بالإضافة إلى علماء الإسلام علماء الاقتصاد، لتتضح الرؤية أمام علماء الشريعة، ليقولوا كلمتهم على بصيرة تامة، وتصور كامل لأعمال البنوك، وقرر المؤتمر بالإجماع أن فوائد البنوك من الربا المحرم الذي حرمه الله ورسوله.

---

1 - صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٠) .

2 - أبو داود (٣٤٦٢) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١١) .

3 - انظر المبتكرات في الخطب والمحاضرات للشيخ وحيد بن عبد السلام بالي ص: ٥٣٧، ٥٣٨، بتصرف بسيط، دار: ابن رجب .

فتوى مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة [1] :

قرر الآتي:

(١) أن كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء بـه مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد هاتـان الصورتان ربأ محرم شرعا .

(٢) أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة علـى النـشاط الاقتـصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام هو التعامل وفقا للأحكام الشرعية .

(٣) التأكيد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تـشجيع المـصارف الإسـلامية القائمة (لعقد التأسيس ، وهيئة الرقابة الشرعية) ، والتمكين لإقامتها في كـل بلد إسلامي؛ لتغطي حاجة المسلمين كي لا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته، والله أعلم .

****

المسألة الخامسة: شبهه والرد عليها :

الشبهة الأولى: قالوا: إن الذي يحدث اليوم هو في صالح صاحب المال الضعيف !!

الجواب عليهم:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: إن النصوص القرآنيةَ الواردةَ بالتحريم تدل على أمرين ثابتين لا مجال للشك فيهما:

1 - وكان هذا القرار في ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ، ديسمبر ١٩٨٥م ، وانظر المصدر السابق .

الأمر الأول: أن كلمة الربا لها مدلول لُغوي عند العرب كـانوا يتعـاملون بـه ويعرفونه، وأن هذا المدلول هو زيادة الدين نظير أجل، وأن النص القـرآني كـان واضحا في تحريم ذلك النوع، وقد فسره النبي ﷺ بأنه الربا الجـاهلي. لأي إنـسان فليس لإنسان فقيهٍ أو غير فقيه أن يدعي إبهاماً في هذا المعنى اللغوي أو عدم تعـيين المعنى تعيينا صادقا؛ فإن اللغة قد عينته والنص القرآني قد عينه بقولـه: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[البقرة :٢٧٩]

الأمر الثاني: هو إجماع العلماء على أن الزيادة في الدين نظير الأجل هو ربا محـرم ينطبق عليه النص القرآني، وأن من ينكره أو يماري فيه فإنما ينكر أمراً قد علم مـن الدين بالضرورة.

الشبهة الثانية:

قال بعض المنتسبين إلى العلم: إن هذه الآيـة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ تدل على جواز أكل الربـا ضعفا واحدا بناءً على مفهوم المخالفة[1]

الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول:

ما قاله الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله) : والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا وأوليائهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي - بل التشريع اليهـودي في الربـا – يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هـو الأضـعاف

1 - وهذا مصطلح في الأصول معناه المفهوم العكسي للكلام، فمثلا: يقول الله تعـالى: (إن جـاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)، فيفهم منه أنه لو جاء عدل فإننا لا نتبين وهكذا.

المضاعفة؛ ليجيزوا ما بقي من أنواع الربا على ما ترضاه أهوائهم وأهواء سادتهم، ويتركـــوا الآيـــة الـــصريحة: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

فكانوا في تلاعبهم بتأويل هذه الآيات الصريحة أسوأ حالان ممن يتبعون مـا تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم.

الوجه الثاني:

أن قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ خرج مخرج الغالب، وما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له – أي لا مفهوم مخالفة له - كقوله تعالى في سورة النور:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور:٣٢]

فهل معنى هذه الآية أنها إذا طلبت ذلك هل نسمح لها به؟!

نقول: لا ، فهذا خرج مخرج الغالب؛ حيث كان الغالب على العرب أنهـم كانوا يكرهون ملك اليمين على الزنا.

وكذلك قوله ﷺ:"**أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت باتـت تلعنـها الملائكة حتى تصبح**" فهل لو دعاها في النهار هل يجوز لها أن تعصيه ؟

الجواب: أيضا هو نفس الجواب السابق[1].

1 - وهذا ما قاله الشيخ محمود شلتوت رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية من سورة آل عمران .

المسألة السادسة: صور من الربا المحرم التي يقع فيها مجتمعنا المعاصر:

(١) دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاستثمار:

السند هو صك بمبلغ لشخص أقرضه لشركة مساهمة أو هيئـة حكوميـة بفائدة عادة تقدر بنسبة مئوية ثابتة من هذا المبلغ .

وكل هذه الثلاثة - دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاستثمار - لا تجوز، لأنها فيها فائدة، والفائدة ربا، وهذا ما ذهب الشيخ محمود شـلتوت – شيخ الأزهر الأسبق – عند تفسيره؛ لقولـه تعـالى: **:** ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ إلى تحريم القروض الربوية بصفة عامة، وذكر ثلاث صور منها: فوائـد المصارف ودفتر التوفير والسندات الحكومية .

وهذه أيضاً هي نفس فتوى الشيخ عبدالمجيد سليم – رحمه الله – وعلمـاء كثيرين غيرهما .

وهذا أيضاً رأي لجنة الفتوى بالأزهر حيث بينت أن الشهادات حرام؛ لأن القانون رقم (٨) لسنة ١٩٦٥ ينص على أن الشهادات: أ ، ب قـرض بفائـدة، والفائدة من الربا والربا محرم [1]

1 -انظر موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي للشيخ الـسالوس فـي الـصفحات (١٤٤، ١٤٥) باختصار وتصرف

(٢) التأمين:

ينقسم التأمين من حيث الشكل والهدف إلى نوعين [١]:

النوع الأول: تأمين يهدف إلى الربح وهو التأمين التجاري أو التأمين ذو القـسط الثابت.

النوع الثاني: التأمين التعاوني أو التبادلي أو الإسلامي:

وهو يهدف إلى الربح بل إلى التعاون في تحمل الأضـرار، كـأن يـشترك مجموعة من الأشخاص فيدفع كل منهم مبلغاً معيناً، ومن هذه المبالغ يتم مـساعدة من يصيبه ضرر ، فكل واحد منهم يعتبر مؤمنا ومؤمنا عليه.

وهذا النوع الثاني جائز، ولا حرج فيه بل هو من التعـاون علـى الـبر والتقوى، وهذا ما أفتى به الشيخ حسنين مخلوف في فتاوى الأزهر [٢]

وأما النوع الأول وهو التأمين التجاري ويدخل فيه التأمين ضد الحريق أو السيارات، أو التأمين على الحياة فهذا النوع من التأمين حرام .

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بحرمة هذا التأمين قالت: هذا التـأمين حرام، ويدخل فيه التأمين على السيارات؛ لما فيه من الغرر والجهالة وغير ذلك من مبررات التحريم، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، قال تعـالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢] [٣]

---

1 -السابق ص: ٣٧١.

2 - فتاوى الأزهر بتاريخ ١٦/ ٣ / ١٩٥٣.

3 -اللجنة الدائمة الفتوى رقم (١٩٤٠٦) والفتوى رقم(٢٧٥٩) .

وجاء في **فتاوي الأزهر**: أن التأمين على الحياة غير جائز، وكذلك التـأمين ضد الحريق ، والتأمين على العقارات ضد هلاكها بالحرق أو الغرق أو الإتـلاف مقابل مبلغ معين يدفع للشركة المؤمنة في مدة معينة غير جائز شرعاً؛ لعدم تحقـق الكفالة بشروطها [1].

(٣) في **محلات الذهب:**

يحدث في محلات الذهب بعض المخالفات منها:

أ - بيع الذهب بالتقسيط:

وهذا لا يجوز؛ لأننا كما وضحنا في البداية أن بيع هذه الأشياء الربوية الستة يشترط فيه المثلية والتقابض في مجلس العقد إذا اتفقت الأجناس كبيـع ذهـب بذهب، ولو اختلفت فيجوز التفاضل (أي الزيادة في أحدهما عن الآخر) ولكن لا بد من التقابض (أي تقابض الثمن) في مجلس العقد، وذلك كبيـع الـذهب بالأوراق المالية(الجنيهات أو الريالات أو نحوهما) أو بالفضة أو بالشعير. [2]

ب- أن يشتري ذهباً ويتبقى عليه جزء من المال:

وهذه كالتي قبلها تماماً.

****

1 -فتاوى الأزهر رقم جمادى الثانية(١٣٤٤)

2 -ويدخل في هذا بيع القمح بالمال أو التمر أو الملح، فكل ذلك يندرج تحت هذه القاعدة.

المسألة السابعة: ما لا يعد من الربا:

١- **بيع الحيوان بالحيوان**: فهذا لا يدخل فيه الربا

٢- **إبدال المحمول بالمحمول** ، أو الساعة بالساعة ، أو السيارة بالـسيارة ، أو المنزل بالمنزل، أو الدواء بالدواء ، وغير ذلك فكل ما يقبـل الإجـارة أو الإعارة لا يدخل فيه الربا .

٣- **تغير العملة**: كأن يغير ريالاً سعودياً بجنيه ونصف مصري وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به، قال الشيخ عبد الرحمن الششري: شراء العمـلات مـن البنوك وغيرها جائز ولكن بشرط أن يكون التقابض قبـل التفـرق؛ لأن العملات يجري فيها ربا النسيئة[1] .

٤- **بيع التقسيط**:

أما بيع التقسيط فقال عنه الشيخ ابن عثيمين: والإنسان إذا اشترى شيئاً بـثمن مؤجل أكثر من ثمنه في الوقت الحاضر فلا بأس به، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع المسلمين على جواز ذلك؛ لأنه تقتضيه المصلحة للبائع والمـشتري، البـائع بزيادة الثمن له والمشتري بتأجيل الدفع وليس هذا من الربا؛ لأن الربـا مخـصوص بأشياء معينة وردت في حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"الـذهب بالذهب..."** [2]

****

1 - انظر كتيبه في ذلك بعنوان فتاوى الأسهم والبنوك.

2 - انظر كتاب: المداينة وفقه وفتاوى البيوع ص:٨٥.

المسألة الثامنة: آثار الربا في الأمة:

اعلم أخي – بارك الله فيك – أن الله تعالى لم يحرم شيئاً عبثاً، وإنما حرمه لما يترتب عليه من مفاسد تلحق بالناس؛ لأنه سبحانه أعلم بما يصلح الناس من أنفسهم ، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك :١٤]

وهذه بعض آثار الربا في الأمة:

(١) **الربا سبب حرب الله ورسوله**: قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ [البقرة ٢٧٨]

وقد نكر الله كلمة(حرب) للتفخيم والتهويل، وقد زادها فخامة وهولاً نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله ﷺ الذي هو أشرف خليقته أي: أيقنوا بنوعٍ من الحربِ عظيم لا يقَادر قدره كائن من عند الله ورسولُه ، ومن حاربه الله ورسوله لا يفلح أبداً، وفيه إيماء إلى سوء الخاتمة إن دام على أكل الربا.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله- عن هذه الحرب: وقد أعلنها الله على المتعاملين بالربا وهي مسعرة الآن؛ تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضالة؛ هذه الحرب في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة ، وهي حرب على الأعصاب والقلوب ، حرب على البركة والرخاء ، حرب على السعادة والطمأنينة ، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض ، حرب المشاكسة والمطاردة

، حرب القلق والخوف ، وأخيراً حرب السلام بين الأمم والجيوش والدول ، والحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت. [1]

وهذه بعض صور الحرب من الله سبحانه علينا[2]:

[١] ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة؛حربا من الله سبحانه.

[٢] انهيار المصانع؛ حرباً من الله سبحانه.

[٣] الزلازل المتلاحقة؛ حرباً من الله سبحانه.

[٤] الآفات الزراعية المدمرة؛ حرباً من الله سبحانه.

[٥] انتشار الأمراض؛ حرباً من الله سبحانه.

[٦] انتشار الجرائم؛ حرباً من الله سبحانه.

[٧] انخفاض المياه في السد العالي؛ حرباً من الله سبحانه.

[٨] الفيضانات والسيول المدمرة؛ حرباً من الله سبحانه .

قلت: ومن ذلك التفكك الأسري والشقاق الحادث مع أبناء الأسرة الواحدة، ومع الزوجين، ومع الأب والأم وأولادهما، وما يقع من عقوق مـن الأبنـاء للأبـاء، وغيرذلك مما لا حصر له.

(٢) الربا سبب محق البركة من الأموال والأرزاق:

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ لما كـان الربا في ظاهره زيادةً في المال، وإخراج الـصدقات – في ظـاهره نقـصاناً في

1 - انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ، المجلد الأول صـ ٣٣١ ، ط. دار الشروق.

2 - : انظر المبتكرات ،ص:٥٤٢،٥٤٣ ٥٤٤ بتصرف بسيط .

الأموال، أخبر الكبير المتعال أن البركة التي ينزعها من الأموال الربوية تمحق الربا – الذي هو زيادة في الظاهر – محقاً، وأن الصدقة تقع في يد الله عزوجل فيربيها كما يربي الرجل مهره؛ بركةً من الله وفضلاً، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم:٣٩].

(٣) الربا سبب لجلب لعنة الله:

وذلك للحديث السابق: "**لعن الله آكل الربا....**".

قال ابن القيم: ضد البركة اللعنة، فأرض لعنها الله أو شخص لعنه الله، أو عمل لعنه الله أبعد شيء من الخير والبركة، وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيلٍ فلا بركة فيه البتةَ .

وقد لعن الله إبليس وجعله أبعد خلقه منه، فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به، وأصل اللعن إذا كان من الله فهو الطرد والإبعاد، وإذا كان من الخلق فهو السب والدعاء.

(٤) الربا من أسباب تسليط الذل على الأمة:

وذلك للحديث السابق " **إذا تبايعتم بالعينة ...**"

والعينة: أن يكون الشخص محتاجاً لدراهم فلا يجد من يقرضه ، فيشتري من شخص سلعةً بثمن مؤجل، ثم يبيعها على صاحبها الذي اشتراها منه بثمن أقل منه نقداً، وهي حيلة ظاهرة للربا، فإنها في الحقيقة بيع دراهم حاضرة بدراهم موجلة أكثر منها دخلت بينهما سلعة.

وإذا كان النبي ﷺ قد أنذر بأن الأخذ بهذه الحيلة الربوية سـبب لتـسليط الذل ، فكيف بصريح الربا وعينه ورأسه وقفاه ؟!

وقد كان الأخذ بهذه الحيلة حين كان الحكم في بلاد الإسلام للإسلام فكان من يريد العصيان والخروج يحتال بمظهر العمل الصحيح.

أما الآن وأكثر البلاد التي تنتسب إلى الإسلام وتسمي نفسها بلاداً إسلامية ثم تحكم بتشريع آخر غير الإسلام، تشريع مقتبس من القوانين الوثنية والنـصرانية والأمم الملحدة، بل هم يكتبون العقود ظاهرة صريحة بالربا وبالعقود الباطلة في دين الإسلام؛ لأنهم اتخذوا ديناً غيره، بخضوعهم ورضاهم بتشريع غير شـرعته، فـإن الإسلام قول وعمل، وسمع وطاعة، فلن يقبل من أحد أن يقول كلمة الإسـلام ثم يخضع نفسه وأمته لشرع أعدائه، ويضمر في قلبه أنه بذلك يصنع الصواب، أو يختار ما فيه المصلحة، أو يلزم ما يناسب عصره ! فيهـدم مـا يقولـه بلـسانه: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات ١٦]

(٥) الربا سبب لحلول عذاب الله:

عن ابن عباسٍ (رضِي الله عنهما) ، قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"إذَا ظهـر الزنا والربا فِي قَريةٍ، فَقَد أحلوا بِأنفُسِهم عذاب اللهِ عز وجل"** [1]

1 - الطبراني في المعجم الكبير (٤٦٣) ، وصححه الشيخ الألباني في غاية المرام (٣٤٤) .

(٦) الربا سبب غلاء الأسعار:

يشكو العالم اليوم من غلاء الأسعار، وسببه يرجع إلى حد كـبير إلى النظـام الربوي السائد اليوم، فصاحب المال لا يرضى إذا استثمر ماله في صناعة أو زراعة أو شراء سلعة أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نـسبة الربـا ؛ وذلك لأنه يفكر بأنه استثمر المال وبذل الجهد واستعد لتحمل الخسارة، فلا بد أن تكون نسبة الربح أكثر من نسبة الربا، وكلما زادت نسبة الربا غلت الأسعار أكثر منها بكثير، هذا إذا كان المنتج أو التاجر صاحب المال، وأما إذا كـان المنـتج أو التاجر ممن يقترض بالربا، فرفعه أسعار منتجاته وسلعته أمر بديهي، حيث سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه ربأً [1].

(٧) الربا من أسباب البطالة:

---

1 - ويوضح لنا الشيخ وحيد بن بالي كيف أدى الربا إلى ارتفاع الأسعار بصورة عملية ؟

يقول الشيخ وحيد بالي: تأمل هذا الثوب الذي على جسدك، فإنه قد مر بالخطوات الآتية:

١- جمع المادة الخام. ٢- حمل هذه المادة ونقلها إلى المصنع.

٣- غزل هذه المادة حتى تصير خيوطاً. ٤- تصنيع هذا الغزل نسيجاً.

٥- تصنيع هذا النسيج ملابس. ٦- ثم بيع هذه الملابس الجاهزة للمستهلك.

فهذه ست مراحل في كل مرحلة منها يتعامل القائم عليها مع بنك ربوي فتكون النتيجة كالآتي:

التكلفة الحقيقية + الفائدة الربوية = سعر المادة الخام.

فلو أن صاحب المواد الخام اقترض من البنك (١٠٠،٠٠٠) لينشيء تجارة لجمع المواد الخـام، والبنك أقرضه بفائدة ١٧% فسوف يكون الحساب كالآتي:

التكلفة الحقيقية + الفائدة الربوية + مكسبه = السعر ١٠٠،٠٠٠ +١٧،٠٠٠ +١٠،٠٠٠= ١٢٧،٠٠٠

تلاحظ معي أن السلعة زادت عن ثمنها الحقيقي بـ (١٧%) في المرحلة الأولى فقط وهكذا في كل مرحلة يزداد سعر السلعة فيها ١٧% !!

ويصبح السعر النهائي هو ٢٥٦ جنيه للسلعة التي كان ثمنها الحقيقي ١٠٠ جنيه، وهذا كله بسبب الربا.

وذلك لأن أصحاب الأموال يفضلون إقراض أموالهم بالربا على استثمارها في إقامة مشروعات صناعية أو زراعية أو تجارية .. وهذا بالتالي يقلل فرص العمل، فتنتشر البطالة في المجتمعات التي يسود فيها التعامل الربوي، ويؤكد هذا ما نشاهده من معاناة الدول الغربية من مشكلة البطالة، رغم تقدمها فنياً، وتطورها صناعياً .

(٨) الربا سبب قطع روابط الناس وسبب لعداوتهم :

فالربا يولد في الإنسان حب الذات، فلا يعرف إلا نفسه ولا يهمه إلا مصلحته ومنفعته، وبذلك تنعدم روح التضحية والإيثار، وتنعدم معاني حب الخير للأفـراد والجماعات، وتحل محلها روح حب الذات والأنانية والأثرة، وتتلاشى الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان، فيغدو المرابي وحشا مفترسا لا يهمـه إلا جمـع المـال، وامتصاص دماء الناس، واستلاب ما في أيديهم، وهكذا تنعدم معاني الخير في نفوس الناس، ويحل محلها الجشع والطمع.

وأيضاً فإن الربا يولد العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، ويدعو إلى تفكيك الروابط الإنسانية والاجتماعية بين طبقات الناس، ويقضي على كل مظاهر الشفقة والحنان والتعاون والإحسان في نفوس البشر.

وكفى المرابي أن يدمر قواعد المحبة والإخاء ، ويزرع في القلـوب الحقـد والبغضاء .

لفتة جميلة:

والعجيب أن هـذه الآيـة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ [آل عمران ١٣٠] قد وردت في سياق الكلام عن

غزوة أحد [1] التي انهزم فيها المسلمون؛ حيث قد نزلت سورة آل عمران في غزوة أحد، ونزلت في شأن الغزوة ستون آية، من الآية [١٢١] إلى الآية [١٨٠] وذلك لأن من أسباب النصر على الأعداء الترابط وتحقيق الإخوة الإيمانية ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال ٤٦] والربا من شأنه تقطيـع العلاقـات والروابط بين أفراد المجتمع مما يؤدي إلى الهزيمة.

(٩) الله تعالى توعد أصحاب الربا باللقاء المحتوم معه جل وعلا:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة ٢٨١]

وهذا تذكير من الله تعالى أهل الربا أن يخافوا يوم القيامة الذي يرجع الناس فيه إلى ربهم فيحاسبهم على أعمالهم .

(١٠) الله تعالى توعد أصحاب الربا بالنار:

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران ١٣٠-١٣١]

****

1 - والراجح أن سورة آل عمران نزلت في غزوة أحد، بينما نزلت سووة الأنفال في بدر، وهذا مـا رجحه ابن القيم في زاد المعاد .

المسألة التاسعة: بعض المسائل الخاصة بالعمل في البنوك:

(١) هل يجوز العمل في مؤسسة ربوية كسائق أو حارث ؟

أجاب على ذلك الشيخ العثيمين – رحمه الله – قال: لا يجوز العمل بالمؤسسات الربوية، ولو كان الإنسان سائقاً أو حارثاً؛ وذلك لأن دخولـه في وظيفـة عنـد مؤسسات ربوية يستلزم الرضا بها؛ لأن من ينكر الشيء لا يمكن أن يعمل لمصلحته، فإذا عمل لمصلحته فإنه يكون راضياً به، والراضي بالشيء المحرم يناله منه إثمه، أمـا من كان يباشر القيد والكتابة والإرسال والإيداع وما أشبه ذلك فهو لا شك أنـه مباشر للحرام، وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه أنه ﷺ "لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبيه وقال: "**هم سواء**"

قلت: ويؤكد ذلك القاعدة التي تقول: إن الأحكام بالمقاصد.

وقد قال رسول الله ﷺ :"**إذا حرم الله أكل شيء حرم ثمنه**" [1]

(٢) من يؤجر دكاناً أو عمارةً ليقام عليها بنك ربوي:

عرض هذا السؤال على اللجنة الدائمة فقالت في الفتوى (٤٣٢٧): لا يجوز هذا لكون البنك المذكور سيجعلها مقرا للربا والله تعـالى يقـول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[المائدة :٢]

قلت: ويدخل تحت هذا أيضا كل من يؤجرون الدكاكين أو العمارات أو غيرهما لمن يقيمون عليها شيئاً محرماً كمصانع الدخان أو الملاهي الليلة أو ما شابه ذلـك،

1 - أحمد (٢٥٤٦) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥١٠٧)

فكل ما توصل به إلى الحرام فهو حرام، وقد ورد عن النبي أنـه قـال: "**إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه** " [1]

(١) من يأخذون مرتباتهم من البنوك الربوية:

قالت اللجنة الدائمة في **الفتوى(١٦٥٠١):** لا بأس بذلك بشرط أنه لا يتركها في البنك بعد الأمر بصرفها له من أجل الاستثمار الربوي.

(٢) رجل كان يتعامل بالربا وتاب الله عليه ماذا يفعل بالفائدة الربوية؟

قالت اللجنة في **الفتوى (٦٧٦٠)**: يحتفظ بأصل المبلغ، وينفـق مـا زاد في وجوه البر العامة، ويتوب إلى الله.

قلت: لكن لا يحج بهذا المال أو يضعه في مسجد؛ لأن الله طيب لا يقبـل إلا طيبا ، ولكن لا حرج في وضعه في إنشاء حمامات مسجد أو تجديـدها أو أي أعمال دنية ، والله أعلم .

****

1 - صححه الشيخ الألباني في غاية المرام (٣١٨) .

المسألة العاشرة: ملح متناثرة:

أولاً: دعوة الإسلام إلى تحري المال الحلال والبعد عن الحرام:

فقد جاءت النصوص تحث على الورع والبعد عن الشبهات ومن ذلك:

١- **عن النعمان بن بشير** ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**الحلال** بين **والحرام بـين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما اسـتبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشـك أن يواقـع مـا استبان، والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه**» [1]

٢- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إني لأنقلب إلى أهلـي، فأجـد الثمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لأكلها،** ثم **أخـشى أن تكـون صدقة فألقها**» [2]

٣- وقال حسان بن أبي سنان: ما رأيت شيئاً أهون من الورع : «دع مـا يريبك إلى ما لا يريبك» [3]

وفي هذا تنبيه للمسلم أن يبتعد عن المجالات الاستثمارية المحرمـة، كيـف وهناك آلاف الاستثمارات المباحة التي لا لبس فيها ولا غش ولا شبهة فيها ولا ريبة ولا خطر.

---

1 - صحح هذا اللفظ الشيخ الألباني في صـحيح الترغيـب (١٧٣١) ، والحـديث أصـله فـي الصحيحين ..

2 - صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (٣٤٥٧) .

3 - صححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٢) .

وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة مع رجـل، وأمـره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه، فأتاه كتابه: إني قدمت البصرة، فوجدت الطعام منغصاً فحبسته، فزاد الطعام، فازددت فيه كذا وكذا، فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا، وعملت بخلاف ما أمرناك به، فإذا أتاك كتابي، فتصدق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة، فليتني أسلم إذا فعلت ذلك

فانظر إلى هؤلاء الذين اجتنبوا ما فيه شبهة أترى هذا كرهاً وعـدم حـب للمال؟ لا وربي بل هو الخوف ممن قال في كتابه: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل ١٢-١٣]، ورجاء ثواب من مـدحهم إذا اجتنبـوا الهـوى ووعـدهم جنتـه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات ٤٠-٤١] .

ثانيا: القناعة كنز لا يفنى:

عليك دائماً بالقناعة بما قسمه الله لك، وقد قال النبي ﷺ لأبي هريرة: "**من يأخذُ عني هؤلاءِ الكلِماتِ فيعملُ بِهن أو يعلم من يعملُ بِهن**؟" فقَالَ أبو هريرةَ: فَقُلْت: أنا يا رسولَ اللهِ فَأخذَ بِيدِي فعد خمسا وقَالَ: "**اتق المحارم تكُن أعبـد الناس، وارض بِما قسم الله لك تكُن أغْنى الناس، وأحسِن إِلى جـارِك تكُـن مؤمِنا، وأحِب لِلناسِ ما تحِب لِنفْسِك تكُن مسلِما، ولا تكْثِر الـضحِك؛ فَـإِن كثْرةَ الضحِكِ تمِيت الْقَلْب**"[1]

1 - الترمذي (٢٢٢٧) وغيره، وحسنه السيخ الألباني في الصحيحة (٩٣٠) .

وصدق من قال:

هي القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يك لك منها إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

وعليك أيضاً حسن التدبير والتصرف في مالك الحلال، وابتعد عن الحاجـات غير الضرورية، وأقنع الزوجة والأولاد بذلك؛ حتى تنتهي من سداد ديونك، وحاول أن تعيش حياتك على قدر ما أعطاك الله؛ قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

[الطلاق : ٧]

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" **إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنـة، والصبر يأتي من الله على قدر البلاء**" [1] والمؤنة ويقال: المؤونة: القوت، والجمـع مؤن.

ثالثًا: دعوة الإسلام إلى إقراض الناس وإنظارهم والعفو عنهم:

قال تعـالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٨٠] أي إن وجد [2] صاحب عـسرة فعلـى الدائن إنظاره؛ وذلك للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أَبي مـسعودٍ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" **حوسِب رجلٌ مِمن كَانَ قَبلكُم فَلَم يوجد لَه مِن الْخيرِ**

---

1 - صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٦٦٤)

2 - تستعمل كان إما تامة أي لا تحتاج إلى المنصوب ويكون معناها وجد كما في هـذا المثـال، أو بمعنى: يحدث كقوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وقد تستعمل ناقصة أي لا بـد مـن ذكـر المرفوع والمنصوب وهو غالب استعمالها، نحو: كان الرسول كريما.

شيءٌ، إلا أنه كانَ يخالِطُ الناس، وكانَ موسِرا فكانَ يأمر غِلْمانه أنْ يتجـاوزوا عن الْمعسِر، قالَ: قالَ الله عز وجل: نحن أحق بذَلك مِنه تجاوزوا عنه "[1]

وجاء في صحيح الجامع أنه ﷺ قال: "**من أقرض ورقاً مرتين كان كعـدل صدقة مرة**"[2]

وكذلك قوله ﷺ: "**من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة**" [3]

رابعا: الإحسان في أداء القرض:

ماذا تفعل إذا اقترضت من أخيك مالاً :

عليك أن تكتب هذا الدين؛ حتى لا تضيع أموال الناس؛ لأن من مقاصـد الشريعة الإسلامية الخمسة: الحفاظ على المال، وهذا على سبيل الاستحباب قـال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة ٢٨٢] .

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللهِ ﷺ أنه ذَكر رجلًا مِـن بني إسرائيلَ سألَ بعض بني إسرائيلَ أنْ يسلِفَه ألْف دِينارٍ، فقالَ: ائْتِني بالـشهداءِ أشهدهم فقالَ: كفَى باللهِ شهيدا. قالَ: فأْتِني بالْكفِيل! قالَ: كفَى باللـهِ كفِيلًـا. قالَ: صدقْت فدفَعها إليهِ إلَى أجلٍ مسمى، فخرج في الْبحرِ فقَضى حاجتـه، ثُـم الْتمس مركبا يركبها يقْدم علَيهِ لِلْأجلِ الذِي أجلَه فلَم يجِد مركبا فأخـذَ خـشبةً فنقَرها فأدخلَ فِيها ألْف دِينارٍ وصحِيفَةً مِنه إلَى صاحِبِهِ ثُم زجج موضِعها، ثُم أتى

---

1 - مسلم(٢٩٢١) .

2 - صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٠) .

3 - صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٠٨)

ـِها ـِإلَى الْبحرِ فَقَالَ: اللهم ـِإنك تعلَم أني كُنت تسلفْت فُلَانا أَلْف دِينـ ـارٍ فَـ سأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْت: كَفَى ـِباللهِ كَفِيلًا فَرضِي ـِبك، وسأَلَنِي شهيدا فَقُلْت: كَفَى ـِباللهِ شهيدا فَرضِي ـِبك، وأني جهدت أَنْ أَجِد مركبا أبعثُ ـِإلَيهِ الذِي لَه فَلَـ م أَقْـ دِر، وإِنـ ي أستودِعكها، فَرمى ـِبها ـِفي الْبحرِ حتى ولَجت ـِفيهِ ثُم انصرف وهو ـِفي ذَلك يلْتمِس مركبا يخرج ـِإلَى بلَدِه، فَخرج الرجلُ الذِي كَانَ أَسلَفَه ينظُر لَعل مركبا قَد جـ اءَ ـِبمالِه، فَإِذَا ـِبالْخشبةِ الِتي ـِفيها الْمالُ فَأَخذَها ـِلأَهلِه حطَبا، فَلَما نشرها وجد الْمـ الَ والصحِيفَةَ، ثُم قَدِم الذِي كَانَ أَسلَفَه فَأَتى ـِبالْأَلْفِ دِينارٍ فَقَالَ: واللهِ ما زِلْت جاهِدا ـِفي طَلَبِ مركَبٍ ـِلآتِيك ـِبمالِك فَما وجدت مركبا قَبلَ الذِي أَتيت ـِفيهِ. قَالَ: هـ لْ كُنت بعثْت ـِإلَي ـِبشيءٍ؟ قَالَ: أُخِبرك أني لَم أَجِد مركبا قَبلَ الذِي جِئْت ـِفيهِ. قَالَ: فَإِن الله قَد أَدى عنك الذِي بعثْت ـِفي الْخشبةِ . فَانصرِف ـِبالْأَلْفِ الدينارِ راشِد"ا[1]

أخرج مالك ﷺ في موطأه قال:

"بلغني أن رجلاً أتى ابن عمر (رضي الله عنهما) ، فقال: إني أسلفت رجلاً سلفاً، واشترطت عليه أفضل مما أسلفته، فقال عبدالله بن عمر: فذلك الربا، قـال: فكيف تأمرني يا أبا عبدالرحمن؟ قال عبدالله بن عمر: السلف على ثلاثة وجـوه: سلف تسلفه تريد به وجه الله، فلك وجه الله، وسلف تـسلفه تريـد بـه وجـه صاحبك، فلك وجه صاحبك، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثاً بطيب، فـذلك الربـا، قال: فكيف تأمرني يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أرى أن تشق الصحيفة، فإن أعطاك مثل الذي أسلفته قبلته، وإن أعطاك دون الذي أسلفته فأخذته أجـرت، وإن أعطـاك أفضل مما أسلفته طيبة به نفسه، فذلك شكر شكره لك ولك، أجر ما أنظرته"[2].

---

1 - البخاري (٢١٦٩) ، ومعنى زجج موضعها : وضع عليه مسامير .

2 - مالك في الموطأ (١٣٦) رواية: يحيى

وعن مجاهد بن جبر (رحمه الله) أنه قال: "استسلف عبدالله ابن عمر (رضي الله عنهما) من رجل دراهم، ثم قضاه دراهم خيراً منها، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ، هذه خير من دراهمي التي أسلفتك، فقال عبدالله بن عمر: قد علمت، ولكن نفـسي بذلك طيبة" [1].

وقد قال النبي ﷺ "**خياركم أحسنكم أداءً** "[2]

فمن كان عليه دين لرجل فأدى أكثر مما أخذ فلا حرج في ذلك، بل هـذا من حسن الأداء بشرط أن لا يكون هناك اتفاق بينهما على ذلك.

خامسا: رسالة إلى التجار:

هذه رسالة من الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – قال :

نصيحتي للباعة عموماً أن يتقوا الله عزوجل وأن تكون معاملتهم بالـصدق والبيان، والصدق بما يتكلمون به عن السلعة من الأوصاف المرغوبة، والبيان فيمـا يكون من العيوب في السلع؛ حتى يبارك لهم في بيوعهم، وقد ثبت عن النبي أنه قال: " **من أحب أنْ يزحزح عن النارِ ويدخلَ الجنةَ فَلْتأتِهِ مِنيته وهو يـؤمِن بِاللـهِ واليومِ الآخِرِ، ولْيأتِ إِلى الناسِ الذِي يحِب أنْ يؤتى إِلَيهِ** "[3] وثبت عنه ﷺ قال: "**لا يؤمن أحدكم** حتى يحب **لأخيه ما يحب لنفسه** " [4] فإذا كان الإنسان يكره أن يعامله أحد من غير أن يبين له فكيف يكره ذلك لنفسه ويرضاه لغيره [5]

---

1 - السابق (٢٥٠).

2 - البخاري(٢١٤٠).

3 - مسلم (٣٤٣١).

4- صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٧٣)

5- المدلينة وفقه وفتاوى البيوع ص : ٥٠

فلت: وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:**"التاجر الـصدوق الأمـين مـع النبـيين والصديقين والشهداء"** [1]

واحذر كذلك من الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَـالَ: **"ثَلاثَةٌ لا يكلمهم الله يوم القِيامةِ ولا ينظُر إليهم: رجلٌ حلف على سِـلْعةٍ لقَـد أعطى بِها أكْثر مِما أعطى وهو كاذِب، ورجلٌ حلف على يمِينِ كاذِبـةٍ بعـد العصرِ؛ لِيقْتطِع بِها مالَ رجلٍ مسلِمٍ، ورجلٌ منع فَضلَ ماءٍ فَيقُولُ الله: اليـوم أمنعك فَضلِي كَما منعت فَضلَ ما لَم تعملْ يداك"** [2]

وأخيراً:

أحبتي في الله ما أنتم قائلون بعد هذا كله؟!

بعد هذه الآيات من الله تعالى وهذه الأحاديث من رسول الله ﷺ؟!

ماذا أنتم قائلون يا من وقعتم في هذه الكبيرة العظيمة؟ ..

إنني أدعوكم إلى التوبة، واعلموا أن باب التوبة مفتوح، واعلموا "أن الله عز وجل يبسطُ يده بِالليلِ لِيتوب مسِيءُ النهارِ ويبسطُ يده بِالنهارِ لِيتوب مسِيءُ الليل حتى تطْلُع الشمس مِن مغرِبِها " [3]

وإليكم بعض النقاط في طريق التوبة:

(١) الاعتراف الكامل أنك على ذنب عظيم، ولا خلاص منه إلا بالتوبة.

(٢) الثقة الكاملة بأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين.

---

1 - الترمذي (١١٣٠) وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٨٢): صحيح لغيره

2 - البخاري (٢٣٦٩) .

3 - مسلم (٤٩٥٤) .

(٣) عليك بالقناعة والرضا بالقليل الحلال؛ فهو والله خير من الكثير الحرام.

(٤) اعزم عزماً صادقاً على أنك لا تأخذ قرضاً جديداً، ولا سـلفةً جديـدة، ولا سيارة عن طريق البنك الربوي، ولا سحب على المكشوف، مهمـا كانـت ظروفك المادية، وثبت نفسك وصبرها على هذا ولا تنهزم عند أول امتحان

(٥) التعجيل بسداد ما عليك من الدين، ولا تؤجل ولا تؤخر أي قـسط؛ فإنـه سيضاعف عليك الدين، إذا كان عندك منزل أو محل تجاري أو أرض تستطيع بيع أحدهما وتأخذ قرضاً من إخوانك بدون فائدة ثم تسدد ما عليك من ديـن الربا، فهذا والله عين الصواب وهي التجارة الرابحة بإذن الله.

(٦) الدعاء وهذا أمر مهم فإنا نوصيك أن تتضرع إلى الله تعالى بالليل والنهار، وفي سجود النوافل أن يوفقك للتوبة ويعينك على ذلك، ويجعل لك مخرجـاً، وأن يسدد عنك دينك ، واطلب من إخوانك الدعاء.

(٧) تذكر دائما أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

قال رسول الله ﷺ: **"من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه"** [1]

وهذا أقوله للجميع، خاصةً العاملين في البنوك الربويـة فـإني أدعـوهم للهروب فوراً من هذه البنوك التى تحارب الله ورسوله، وتأكدوا يا إخـوانى ويـا أخواتى أنكم لن تندموا ولن تموتوا جوعا، ولا تخدعكم مغريات هذه البنوك الـتى يقدمونها لكم من تسهيلات وقروض وتذاكر ومزايا؛ حتى تبقوا فيهـا؛ فإنهـا والله

1 _ صحيح: قال الشخ الألباني في تحقيقه لرسالة حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لشيخ الإسلام قال عندما تعرض لذكر هذا الحديث: رواه أحمد بسند صحيح .

ستكون حسرةً وندامةً يوم القيامة، وكم من الناس خرجوا من هذه البنوك وتـابوا إلى الله فعوضهم الله خيراً.

(٨) أخى التائب تذكر أن التوبة تحتاج إلى صبر فاصبر ولا تـضعف ولا تيـأس؛ فالفرج آتٍ بإذن الله تعالى.

(٩) انقل حسابك فورا إلى بنك إسلامى إذا لم يكن عليك ديون للبنك الربـوى، وإلا فبعد سداد ديونك، ولكن خلال فترة بقائك فى البنك الربـوى لـسداد دينك نرجوا أن تسحب الباقى من راتبك الشهرى كلـه، ولا تتـرك شـيئا للبنوك؛ حتى لا تكون عوناً لهم على الحرام.

(١٠) تذكر دائما قول النبى ﷺ: "**كل جسدٍ نبت من سحت فالنار أولى به**" [1]

وهذه بعض الهدايا للتائبين:

أخي في الله: هل فكرت حقاً في التوبة ؟!

هل عزمت عليها ؟!

هل بدأت في خطواتها الأولى ؟!

هل أنت نادم ؟!

إذن دعني أقول لك: أبشر ثم أبشر؛ فإن الله جل جلاله وعدك خيراً، واسمع إلى هذه الهدايا من الله إليك:

(١) قبول التوبة؛ فإن الله تعالى قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[التوبة: ١٠٤]

1 - صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٢٧٧٢).

(٢) مغفرة الذنوب: قـال تعـالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه ٨٢]

(٣) تبديل السيئات حسنات ، قال تعالى :﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠]

(٤) الله جل جلاله يحبك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة ٢٢٢]

(٥) الله يفرح بتوبة عبده: "**لله أشد فَرحا بِتوبةِ عبدِهِ المؤمنِ مِن رجلٍ فِي أرضٍ دويةٍ مهلكةٍ، معه راحِلته عليها طعامه وشرابه، فَنام فَاستيقَظَ وقَد ذَهبـت، فَطلبها حتى أدركه العطش، ثُم قَالَ: أرجِع إِلى مكَانِي الذِي كُنت فِيهِ فَأنام حتى أموت، فَوضع رأسه على ساعِدِهِ لِيموت فَاستيقَظَ وعِنـده راحِلتـه وعليها زاده وطعامه وشرابه، فَالله أشد فَرحا بِتوبةِ العبدِ المؤمنِ مِن هـذَا بِراحِلتِهِ**"[1]

قصة واقعية مؤثرة:

يحكي أحد التائبين من العمل في بنك ربوي يقول: كنت أعمل في بنـك ربوي، وأسمع كثيراً أن الربا حرام، وأن العمل في البنوك حرام، وعليه قـررت أن أترك البنك، وفعلاً تركته وتوكلت على الله، ولم يكن عندي أي وظيفـة بديلـة وجلست في المنزل ، وبعد فترة بسيطة قرأت في الجريدة أن إحدى الوزارات تطلب موظفين فقدمت أوراقي عن طريق البريد، ولم أذهب إلى أي مكان، ولم أوسط أي أحد ولم أقابل أي إنسان،

1 - مسلم (٤٩٢٩) .

وبعد مدة جاءني هاتف فقال المتكلم: أنت فلان بن فلان، فقلت له: نعـم! فقال لي: أنت مسجل عندنا غياباً يومين، فاستغربت كثيراً من هذا الكلام، وبعـد نقاش بيني وبينه عرفت أن هذا الشخص هو سكرتير لمدير أحد مكاتب الوزارة في الإمارة التي أسكن فيها، وتوجهت في اليوم الثالث إلى عملي وأنا في حالة استغراب والشكر لله وحده؛ قال تعالى:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق : ٣]

الخطبة الثامنة: يا نفس قد أزف الرحيل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالةٌ، وكُل ضلَالةٍ فِي النارِ.

أحبتي في الله :

"يا نفس قد أزف الرحيل "

إخوة الإيمان: إن الموت يقصم الظهور، ويخرج الناس من الدور، وينزلهم من القصور إلى القبور بلا استئذان، فالموت لا يستأذن أحداً.

عباد الله : ليس هناك تذكرة تنطق بلسان حالها أبلغ من هـذه التـذكرة ، وليس هناك موعظة أنفع من هذه الموعظة وكفى بالموت واعظاً .

فالإنسان يعيش بطبيعة حياته يحكي ويسرد، يحلم ويتمنى، يتكلم ويناقش أمور حياته،وفجأة هاجته سكرات الموت فسكت اللسان، وانتهت الأحلام، وتجمدت الأعضاء عن الحركة.

ما هو الموت:

الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولته بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار .

والموت عباد الله من أعظم المصائب؛ فقد سماه الله في كتابه مصيبة قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[المائدة :١٢٦] فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، فالموت لا ريب فيه ولا شك فيه؛ قال تعالى في سورة ق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩] أي ذلك ما كنت منه تهرب أو تميل أو تفر .

وقال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء :٧٨]

أي في أي مكان وجدتم فلابد وأن يدرككم الموت ويفاجئكم ، ولو تحصنتم بالحصون المنيعة.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦،٢٧]

أي كل من على وجه الأرض من الإنس والحيوان هالك وسيموت، ويبقى وجه ربك قال ابن عباس : الوجه هو عبارة عن ذات الله جل وعلا الباقي الدائم مع إثبات صفة الوجه لله

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

[آل عمران:١٨٥]

أي مصير الخلائق إلى الفناء، وكل نفس ميتة لا محالة .

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي تعطون جزاء أعمالكم وافيا يوم القيامة.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي فمن نحي عن النار وأبعد عنها، وأدخل الجنة فقد فاز بالسعادة السرمدية والنعيم المخلد.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي ليست الدنيا إلا دار الفناء لا يستمتع بها إلا الأحمق المغرور.

قال ابن كثير: الآية فيها تصغير لشأن الدنيا، وتحقير لأمرها، وأنها فانية زائلة.

الموت حق على الإنس والجن:

فالموت عباد الله على الإنس والجن كما في الصحيح عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال ﷺ: " **أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يمـوت، والإنـس والجن يموتون**"[1]

فمن يجادل في الموت وسكرته؟!

ومن يخاصم في القبر وضمته؟!

ومن يقدر على تأخير موته؟!

وتأجيل ساعته؟!

﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩]

لا ينجو أحد من ضمة القبر:

فلقد ورد في مسند أحمد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: "**إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن معاذ**"[2].

هذا سعد ابن معاذ الذي قال عنه النبي ﷺ : "**هذَا الذِي تحرك لَه الْعرش، وفُتِحت لَه أبواب السماءِ، وشهده سبعونَ أَلْفًا مِن الْملَائِكَةِ، لَقَد ضم ضمةً ثُـم فُرج عنه**" [3].

فلماذا التكبر أيها الإنسان

---

1 - البخاري (٦٨٣٥)

2 - أحمد (٢٣٥٢٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢١٨٠).

3 - النسائي (٢٠٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٩٨٧) .

وسوف تأكلك الديدان ؟!

ولماذا تطغى وفي التراب ستلقى ؟!

ولماذا التسويف والغفلة وأنت تعلم أن الموت يأتي بغتة ؟!!

كل نفس ذائقة الموت .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

أكثروا من ذكر الموت:

لقد حث النبي ﷺ على الإكثار من ذكر الموت فقال ﷺ :**"أكثروامن ذكر هاذم الذات ، قيل : وما هاذم اللذات يا رسول الله ، قال : الموت "** [1]

وقال ﷺ :"**أكيس الناس أكثرهم ذكراً للموتِ**" [2]

وكان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتـه يبقى الإله ويفنى المال والولـد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنـه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له والإنس والجن فيما بينهما تـرد

أين الملوك التي كانت لعزتهـا من كل أوب إليها وافد يفـد

حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوما كمـا وردوا

1- الترمذي (٢٢٢٩) والنسائي (١٨٠١) وأحمد (٧٥٨٤)، وصححه الشيخ الألبـاني فـي صـحيح الجامع (١٢١٠) .

2- ابن ماجه(٤٢٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٨٤) .

واعلم أخي الحبيب أن الموت لا يقرع باباً، ولا يهاب حجاباً، ولا يقبـل بديلاً، ولا يأخذ كفيلاً، ولا يرحم صغيراً، ولا يوقر كبيراً.

الموت لا ينجوا منه أحد حتى رسول الله محمد ﷺ:

فقد قال له ربه عز وجل : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر:٣٠]

ولقد واسى الله رسوله ﷺ بأن الموت سنة في خلقه؛ فقال تعالى في سـورة الأنبياء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنبياء:٣٤]

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس يوم وفاة الحبيب، فقال له: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر،

فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران]

وقال: لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبـو بكـر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها [1].

فلقد لقي النبي ﷺ من الموت شدة، وكان آخر كلامه من الدنيا: "**الـصلاة الصلاة، وما ملكت إيمانكم**" [2]

1- البخاري (٤٠٩٧).

2- أحمد (٢٥٢٧٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٦) .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عنـد موته، دخل علي أخي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيتـه ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك ؟ فأشار برأسه (أن نعم) . فتناولته فاشتد عليه وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه (أن نعم). فلينته فأمره وبـين يديه ركوة أو علبة - يشك عمر - فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: **(لا إله الإ الله إن للموت سكرات) .** ثم نصب يده فجعل يقول: **(اللهم** في **الرفيق الأعلى) .** حتى قبض ومالت يده [1]

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمـة عليهـا السلام: واكرب أباه فقال لها: **"ليس على أبيك كرب بعد اليوم" . فلما مـات قالت"**

يا أبتاه أجاب ربا دعـ ـ ـاه

يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه

يا أبتاه إلى جبريل ننعـ ـ ـاه

1- البخاري(٤٠٩٤) ، (فاشتد عليه) أي : الوجع . (فأمره) أي: أمره على أسنانه فاستاك بـه، وفـي رواية (بأمره) . (ركوة): وعاء من جلد يحاب فيه . (يشك عمر) هو ابن سعيد الرواي يشك هل قالت: ركوة أوعلبة وكلاهما بمعنى واحد (سكرات) جمع سكرة وهي الشدة .

فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللهﷺ التراب [1]

فالكل سيموت، يموت كل صغيروكبير، يموت كل أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل زاهد وعابـد، يموت كل صحيح وسقيم،كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت .

أيـــن الوالـــدون ومـــا ولـــدوا ؟!
أيـــن الجبـــارون ومـــا قـــصـدوا ؟!
أيـن أربـاب المعاصـي علـى مـاذا وردوا ؟!!
أمـا جنـوا ثمـرات مـا جنـوا وقـصدوا ؟!
أمـا قـدموا علـى أعمـالهم فـي مـآلهم ووفـدوا ؟!
أمـــا بكـــوا فـــي ظلمـــات القبـــور؟!
بكـــــــــوا والله وانفـــــــــــردوا !
أمـا طلبـوا زاداً يكفـي فـي طـريقهم ففقـدوا ؟!
أمـا حـل المـوت فحـل عقـد مـا عقـــدوا ؟!
عـــاينوا والله كـــل مـــا قـــدّموا ووجـــدوا ؟!
فمـــنهم أقـــوام شـــقوا وأقـــوام سعـــدوا .

1- البخاري (٤١٠٣)، ومعنى (يتغشاه) يغطيه ما اشتد به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه . (واكـرب أباه) أندب ما يصيب أبي من هم وغم وثقل . (ننعاه) من نعى الميت إذا أذاع موته وأخبـر بـه . (أطابت) كيف طابت ورضيت مع حبكم الشديد له . (تحثوا): تهيلوا وتدفعوا وتضعوا.

أخي الحبيب:

ألا كل مولود فللموت يولـد ولست أرى حياً عليها يخلـ ـد.

تجرد من الدنيا فإنك إنمـ ـ ـا خرجت من الدنيا وأنت مجـ ـرد.

أنت وإن خلوت مالا وكـث رة فإنك في الدنيا على ذاك أوحـد.

وأفضل شيء نلت منهـ ـ ـا فإنه متاع قليل يضمحل وينفـ ـد.

فكم من عزيز أعقب الـذل عزه فأصبح مذموماً وقد كان يحمد.

فلا تحمد الدنيا ولكن فذمهـا وما بال شيء ذمه الله يحمـ ـ ـد.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته ،

وصعوبة كأسه ومرارته،

فيا للموت من وعد ما أصدقه

ومن حاكم ما أعدله،

كفى بالموت مقرحاً للقلوب ،

ومبكياً للعيون ،

ومفرقاً للجماعات،

وهادماً للذات ،

وقاطعاً للأمنيات.

فهل فكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك ؟!.

وانتقالك من موضعك ؟!

وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ،

وخانك الصاحب والرفيق ،

وهجرك الأخ والصديق.

وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر.

وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر.

فيا جامع المال،والمجتهد في البنيان،

ليس لك والله من مالك إلا الأكفان،

بل هي والله للخراب، وجسمك للتراب والمآل

فأين الذي جمعته من المال ؟!

هل أنقذك من الأهوال ؟!

كلا بل تركته إلى من لا يعذر.

وقدمت بأوزارك على من لا يحمدك .

عزيز فلم تترك لعزك .

غني فلم تترك لغناك .

فقير فلم تترك لفقرك

جواد فلم تترك لجودك

شديد فلم تترك لشدتك .

عالم فلم تترك لعلمك .

إخوة الإيمان: زورا القبور، وليقل الواحد منكم:

أتيـــت القبـــور فناديتـــها	**أيـــن المعظـــم والمحتقـــر**
وأيـــن المـــذل بـــسلطانه	**وأيـــن المزكّـــى إذا مـــا افتخـــر**
فالـــت تـــساووا جميعـــا	**فلا مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر**
فيـــا ســـائلي عـــن أنـــاس	**مضوا أما لك فيما مـضى معتـبر**
تـــروح وتغـــدو بنـــات الثـــرى	**فتـــذهب محاســـن تلـــك الـــصور**

أخي الحبيب:

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته.

فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته،

وكأنه لم يكن إذ جاءه الموت وميقاته ؛

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [سورة الشعراء ٢٠٥-٢٠٧]

تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم.

فيا أبناء العشرين:كم مات من أقرانكم وتخلفتم ؟!

ويا أبناء الثلاثين: أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم .

ويا أبناء الأربعين: ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم .

ويا أبناء الخمسين: أنتم زرع قد دنا حصاده، تنصفتم المائة وما أنصفتم.

ويا أبناء الستين: هلموا إلى الحساب، أنتم على معترك المنايا قد أسلفتم.

أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم ؟!

ويا أبناء السبعين: ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟

ويا أبناء الثمانين: لا عذر لكم.

قال مسروق: إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك.

فيا أخي الحبيب:

تزود من الدنيا فإنك لا تـدري إذا جن ليل هـل تعـيش إلى الفجـر.
فكم من فتى يمـسي ويـصبح لا هياً وقد نسجت أكفانه وهو لا يـدري.
وكم من عروس زينوهـا لـزو جها وقد قبضت أرواحهم ليلة العـرس.
وكم من صغار يرتجى طول عـ ـ مرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر.

وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر.

أخي الحبيب :

أزف الرحيل، وما حصل الزاد.

فيا لرحيلك ما أعجله!

ويا لسفرك ما أطوله!

ويا لطريقك ما أهوله!

تنبه أيها الشاب لاغتنام العمل!

تيقظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل!

بادر أيها الشيخ فكأنه قد قيل ورحل!

يا من ستفوت أنفاسه استدركها!

يا من ستفوت أيامه أدركها.

أعز الأنفس عليك نفسك فلا تهلكها .

وصدق من قال :

ذنوبك يا مغرور تحصى وتحسب ... وتجمع في لوح حفيظ وتكتب

وقلبك في سهوٍ وغفلةٍ ... وأنت على الدنيا حريص معذب

تباهي بجمع المال من غير حله ... وتسعى حثيثاً في المعاصي وتذنب

أما تذكر الموت المفاجيك في غدٍ ... أما أنت من بعد السلامة تعطب

أما تذكر القبر الوحيش ولحده ... به الجسم من بعد العمارة يخرب

أما تذكر اليوم الطويل وهوله ... وميزان قسط للوفاء سينصب

تروح وتغدو في مرادك لاهياً ... وسوف بأشراك المنية تنشب

تعالج نزع الروح من كل مفصل ... فلا راحم ينجي ولا ثم مهرب

وغُمضت العينان بعد خروجها ... وبسطت الرجلان والرأس يعصب

وقاموا سراعاً في جهازك أحضر ... روا حنوطاً وأكفاناً وللماء قربوا

وغاسلك المحزون تبكي عيونه ... بدمع غزيرٍ واكفٍ يتصبب

وكل حبيب لُبه متحرك ... يحرك كفيه عليك وينـدب

وقد نشروا الأكفان من بعد طيها ... وقد بخروا منشورهن وطيبوا

وألقوك فيما بينهن وأدرجوا ... عليك مثاني طيهن وعصبوا

وفي حفرة ألقوك حيران مفردا ... تضمك بيداء من الأرض سبسب

إذا كان هذا حالنا بعد موتنا ... فكيف يطيب اليوم أكل ومشرب؟!
فيا نفس خافي الله وارجي ثوابه ... ف هادم لذات الفتى سوف يقرب
وقولي إلهي أولني منك رحمة ... وعفواً فإن الله للذنب يذهب
ولا تحرقن جسمي بنارك سيدي ... فجسمي ضعيف والرجا منك أقرب
فما لي إلا أنت يا خالق الورى ... عليك اتكالي أنت للخلق مهرب
وصل إلهي كلما ذر شارق ... على أحمد المختار ما لاح كوكب

وصدق القائل إذ يقول :

كل حي سيموت ... ليس في الدنيا ثبوت
حركات سوف تفنى ... ثم يتلوها خفوت
وكلام ليس يحلو ... بعده إلا السكوت
أيها السائر قل لي ... أين ذاك الجبروت
كنت مطبوع على ... النطق فما هذا الصموت
ليت شعري أهمود ... ما أراه أم فنوت
أين أملاك لهم في ... كل أفق ملكوت
زالت التيجان عنهم ... وخلت تلك التخوت
عمرت منهم قبور ... وخلت منهم بيوت
لم تزد عنهم نحوس ... الدهر إذ حانت بخوت
إنما الدنيا خيال ... باطل سوف يفوت
ليس للإنسان فيها ... غير تقوى الله قوت

****

الخطبة التاسعة: الصلاة الصلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

إخوة الإيمان : إن الصلاة عماد الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، من حافظ عليها فهو السعيد، ومن أضاعها فهو الشقي العنيد.

ويتعلق بالصلاة عدة مسائل:

المسألة الأولى: معنى الصلاة:

لغة: الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة:١٠٣]

شرعا: التعبد لله تعالى بأقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.،

المسألة الثانية: أهمية الصلاة في الإسلام :

الصلاة من آكد فرائض الإسلام، فهي تلى الشهادتين، لذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: " **إنك تقدم على قوم أهل الكتـاب، فلـيكن أول مـا تدعوهم إليه عبادة الله عز و جل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض علـيهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم**"[1]

المسألة الثالثة: حكم تارك الصلاة:

لقد ورد التحذير الشديد في القرآن الكريم والسنة النبوية من ترك الـصلاة، بل لقد سماه رسول الله ﷺكافراً، وكان صحابة النبي ﷺ لا يرون عملاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

كما جاء عند الإمام البيهقي في السنن الكبرى، قال: باب ما جاء في تكفير تارك الصلاة: عن عبد الله بن بريدة بن الحـصيب عـن أبيـه أن رسـول الله ﷺ قال:"**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**"[2]

وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا حظ في الإسلام لمـن تـرك الصلاة[3] وعن علي رضي الله عنه : من لم يصل فهو كافر[4]

1- البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩) .

2- النسائي (٢٥٤٥)، والترمذي (٤٥٩)، وابن ماجه(١٠٦٩) وأحمد (٢١٨٥٩) وصححه الـشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٥٦٤) .

3- السنن الكبرى (٦٢٩١)، طبعة: دار دائرة المعارف النظامية في الهند، وصححه الشيخ الألبـاني في الإرواء (٢٠٩)، طبعة المكتب الإسلامي .

4- السابق، وضعه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب (٣٠٩)

وعن عبد الله بن مسعود: من لم يصل فلا دين له. [1]

قال أيوب: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه [2].

وقال ابن المبارك: من أخر صلاة حتى يفوت وقتها متعمداً من غير عذر فقد كفر. [3]

ويرى علماء البلد الحرام وعلى رأسهم الشيخ ابن باز وابن عثـيمين ــ رحمهما الله – كفر تارك الصلاة – أي كفراً يخرجه من ملة الإسلام . [4]

يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله [5]: وهذا يدل على أن تـارك الـصلاة يسمى كافرا ويسمى مشركاً، وهذا هو الحق وهو المعروف عن الصحابة (رضي الله عنهم) ، فإن عبد الله بن شقيق العقيلي ﷺ التابعي الجليل قال: لم يكن أصـحاب رسول الله يعدون شيئاً تركه كفر إلا الصلاة " [6] وهذا يدل على أن ترك الصلاة عند الصحابة (رضي الله عنهم) يعتبر كفراً أكبر، ويسمى تاركها كافراً مـشركاً، وهذا هو أصح قولي العلماء إذا لم يجحد وجوبها. أما من جحد وجوبها ، فإنه كافر عند الجميع، نعوذ بالله من ذلك.

1- السابق .

2- الصلاة وحكم تاركها لابن القيم صـ ـ ٦٣ ، المكتب الإسلامي ببيروت .

3- السابق .

4- واعلم أن هذا الرأي خاص بعلماء الحرم وبعض المعاصرين وبعض القـدامى كالإمـام أحمـد وغيره، وإلا فالمسالة فيها خلاف، ولكننا نقول هذا من باب الزجر لتارك الصلاة، وينبغي دائمـا على الداعية إذا ذكر آيات الوعيد أو أحاديثه ألا يفصل فيها فيذكرها دون تفصيل: مثل أحاديـث ترك الصلاة وأحاديث "ليس منا " حتى ينزجر الفاعل لهذا الفعل.

5- فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٣٢).

6- الترمذي (٢٥٤٦)، وصححه الشيخ الألباني فـي صـحيح الترغيـب والترهيـب (٥٦٥)، دار المعارف، الرياض .

فالذي ترك الصلاة قد فرق دينه، وقد خرج عن جماعة المسلمين .

ويقول الشيخ ابن عثيمين- (رحمه الله)[1]: قول الإمام أحمد بتكفير تـارك الصلاة كسلاً هو القول الراجح، والأدلة تدل عليه من كتاب الله وسنةِ الرسـول ﷺ، وأقوال السلف، والنظر الصحيح.

أما الكتاب: فقوله تعالى في المـشركين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] فاشترط الله لثبوت الأخوة في الدين ثلاثـةَ شروط: التوبة من الشرك، والثاني: إقامة الصلاة، والثالث: إيتاء الزكاة.

فالآية تدل على أنه لا يكون أخاً لنا في الدين إذا لم يصل ولم يزك، وإن تاب مـن الشرك. والأخوة في الدين لا تنتفي بالمعاصي وإن عظُمت، كما في آية القـصاص حيث قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ [البقرة: ١٧٨] ، فجعلَ المقتولَ أخاً للقاتل عمداً، وكما في اقتتال الطائفتين من المؤمنين؛ حيثُ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]، فلم تنتفِ الأخوة الإيمانية مع الاقتتال؛ وهو مـن كبائر الذنوب.

أما مانع الزكاة فمن العلماء من التزم بذلك وقال بأنه كافر، وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله ، ولكن يمنع هذا القول ما ثبت في «صحيح مسلم» فيمن آتاه الله مالاً من الذهب والفضة ولم يؤد زكاته «**أنه يرى سبيله إما إلى الجَنة وإمـا إلى النار**»، وهذا يدل على أنه ليس بكافر؛ إذ لو كان كذلك لم يجد سبيلاً إلى الجنة.

1- الشرح الممتع (٢/ ٢٩، ٣٠) طبعة: دار ابن الجوزي .

وأما السنة: فقال النبي ﷺ: «بين **الرجل** وبين **الـشرك والكفـر تـرك الصلاة**» [1]، وقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة** " [2]

وأما أقوال الصحابة: فإنها كثيرة رويت عن سِتة عشر صحابياً، منهم عمر بن الخطاب [3].

تارك الصلاة أشد إثماً من الزاني وشارب الخمر :

قال ابن القيم :

لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ومـن إثم الزنـا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة، ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره. [4].

ترك الصلاة يحبط الأعمال :

قال ابن القيم : أما تركها بالكلية فإنه لا يقبل معه عمل كما لا يقبل مع الشرك عمل؛ فإن الصلاة عمود الإسلام كما صح عن النبي ﷺ، وسائر الـشرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها، وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم ينتفع بـشيء مـن أجزائه، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة، فـإذا ردت ردت عليـه

1- مسلم (١١٦).

2- سبق تخريجه .

3- يشير إلى قول عمرالسابق " لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة " .

4- الصلاة وحكم تاركها صـ ـ ١٦

سائر الأعمال، وقد تقدم الدليل على ذلك، وأما تركها أحيانا فإنه يحبط عمل ذلك اليوم. [1]

المسألة الرابعة: هل للمريض أن يترك الصلاة ؟

لا يجوز للمريض أن يترك الصلاة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:

هكَذَا الْمرِيض يصلي علَى حسبِ حالِهِ فِي الْوقْتِ، كَما قَـالَ النبِـي ﷺ لِعمرانَ بنِ حصينٍ قَالَ: كَانت بِي بواسِير فَسأَلْت النبِي ﷺ عنِ الصلَاةِ؟ فَقَالَ: "**صل قَائِما، فَإِنْ لَم تستطِع فَقَاعِدا، فَإِنْ لَم تستطِع فَعلَى جنبٍ**" [2]

فَالْمرِيض بِاتفَاقِ الْعلَماءِ يصلي فِي الْوقْتِ قَاعِدا أَو علَى جنـبٍ إذَا كَـانَ الْقِيام يزيد في مرضه، والْوقْت أوكَد فَرائِض الصلَاةِ، ولا يصلي بعد خروج الْوقْتِ قَائِما . وهذَا كُله لِأَن فِعلَ الصلَاةِ فِي وقْتِها فَرض، والْوقْت أوكَد فَرائِض الـصلَاةِ، كَما أن صِيام شهرِ رمضانَ واجِب فِي وقْتِهِ، لَيس لِأَحدٍ أَنْ يؤخره عن وقْتِهِ، ولَكِن يجوز الْجمع بين الظهرِ والْعصرِ بِعرفَة، وبين الْمغرِبِ والْعِشاءِ بِمزدلفَـة، بِاتفَـاقِ الْمسلِمِين . وكَذَلِك يجوز الْجمع بين صلَاةِ الْمغرِبِ والْعِـشاءِ ، وبَـين الظهـرِ والْعصرِ عند كَثِيرٍ مِن الْعلَماءِ لِلسفَرِ والْمرضِ، ونحوِ ذَلِك مِن الْأَعذَارِ . وأما تأْخِير صلَاةِ النهارِ إلَى الليل ، وتأْخِير صلَاةِ الليل إلَى النهارِ . فَلَا يجوز لِمرضٍ ولَا لِسفَرٍ، ولَا لِشغلٍ مِن الْأَشغالِ، ولَا لِصناعةٍ بِاتفَاقِ الْعلَماءِ . بلْ قَالَ عمر بن الْخطَـابِ - رضي الله عنه - : الْجمع بين صلَاتينِ مِن غَيرِ عذْرٍ مِن الْكَبائِرِ [3].

1- السابق صـ ٦٤

2- البخاري (١٠٥٠)

3- الفتاوى (٢٢/ ٣٠ ، ٣١)

وهناك فاعدة فقهية تقول: كل عبادة مؤقتة بوقت إذا أخرها الإنسان عن وقتها فهي غير مقبولة بل مردودة ، قال ﷺ : **(من أحدث** في **أمرنا ما ليس منه فهو رد)** أي مردود على صاحبه ، فمثلاً: لا يجوز تأخير صوم رمضان إلى شوال، وكذلك لا يجوز تأخير الحج إلى شهر المحرم فكذلك الصلاة لا يجوز تأخيرها عن وقتها ، قـال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣]

المسألة الخامسة: حكم من يؤخر الصلاة عن وقتها:

ورد الوعيد الشديد لمن يؤخر الصلاة عن وقتها؛ حيث قـال تعـالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[المـاعون:٤،٥] والويل هو العـذاب الشديد ، وقيل : هو واد بجهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت فيه من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها ، فكيف بمن تـرك الـصلاة بالكلية ؟

ولقد ورد عن بعض الصحابة أن معنى الآية أنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقد سماهم رب العالمين مصلين، لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها توعدهم الله بالويل، وهو شدة العذاب

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنـافقون:٩] **وذكر الله في الآية هـو** الصلاة.

وقال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩]

قال ابن مسعود وإبراهيم النخعي أي: أخروها عن وقتها [1].

وقال سعيد ابن المسيب: هو أنه لا يصلي الظهر حتى يـأتي العـصر، ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس [2].

وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر:٤٢، ٤٣]

****

المسألة السادسة: صلاة الجماعة وتحتها عدة عناصر:

أولا: فضل صلاة الجماعة:

١- عن أبي هريرة قالُ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"صلاةُ الرجل فِـي الجماعـةِ تضعف على صلاتِهِ فِي بيتِهِ وفي سوقِهِ خمسا وعِشرين ضِعفًا، وذَلك أنه إِذَا توضأ فَأحسن الوضوءَ ثُم خرج إِلى المسجِدِ لا يخرجه إِلا الصلاةُ لم يخطُ خطْوةً إِلا رفعت لَه بِها درجةٌ وحط عنه بِها خطِيئَةٌ، فَإِذَا صلى لَـم تزل الملائِكَةُ تصلي علَيهِ ما دام فِي مصلاه: اللهم صـل علَيـهِ اللهـم ارحمه! ولا يزالُ أحدكُم فِي صلاةٍ ما انتظر الصلاةَ"[3]**

وفي رواية: "**ما** لم يحدث فيه ،**ما** لم **يؤذ** فيه " [4]

وفي رواية أخرى في الصحيحين أيضاً: "**بسبع وعشرين درجة** "[1]

---

1 - تفسير السراج المنيرللشربيني (٢/ ٣٤٤) ، دار الكتب ببيروت .

2 - البخاري (٦١١) ومسلم (١٠٢٩)

3 - البخاري (٦١١) ومسلم (١٠٢٩).

4 - البخاري (١٩٧٦) ومسلم (١٠٥٩).

الجمع بين **الروايتين :**

وقد جمع العلماء بين الروايتين – رواية الخمس والعشرين ورواية السبع والعشرين – بوجوه:[٢]

ومنها: أنه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ولبعضهم سبع وعشرون، بحسب كمال الصلاة ومحافظته على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلهم وشرف البقعة ونحو ذلك.

٢- وأخرج مسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: من سره أنْ يلْقَى الله عَدا مسلِما فَلْيحافِظْ علَى هؤلَاءِ الصلَواتِ، حيثُ ينادى بِهن؛ فَإن الله شرع لِنبِيكُم ﷺ سنن الْهدى وإنهن مِن سنن الْهدى، ولَو أنكُم صليتم فِي بيوتكُم كَما يصلي هذَا الْمتخلف فِي بيتِهِ لَتركْتم سنةَ نَبِيكُم، ولَو تركْتم سنةَ نَبِيكُم لَضلَلْتم، وما مِن رجلٍ يتطَهر فَيحسِن الطهور ثُم يعمِد إِلَى مسجِدٍ مِن هذِهِ الْمساجِدِ إلا كَتب الله لَه بِكُل خطْوةٍ يخطُوها حسنةً ويرفَعه بِها درجةً ويحط عنه بِها سيئَةً، ولَقَد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافِق معلُوم النفَاق، ولَقَد كَانَ الرجلُ يؤتى بِهِ يهادى بين الرجلَينِ حتى يقَام فِي الصف"[٣]

٣- وعن أنسِ بنِ مالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: " **من صلى لِلهِ أربعين يوما فِي جماعةٍ يدرك التكْبِيرةَ الْأُولَى كُتِبت لَه براءَتان: براءَةٌ مِن النار وبراءَةٌ مِن النفَاق** "[٤]

---

1 - البخاري (٦٠٩) ومسلم (١٠٣٨).

2 - ذكرها النووي في شرحه لمسلم (٥/ ١٥١) طبعة: الأميرية.

3 - مسلم (١٠٤٦) "

4 - الترمذي (٢٢٤) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٩٧٩) .

٤- وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقُـولُ: "**إن أولَ مـا يحاسب بِهِ الْعبد يوم الْقِيامةِ مِن عملِهِ صلاته، فَإِنْ صلُحت فَقَـد أَفْلَـح وأنجح، وإِنْ فَسدت فَقَد خاب وخسِر، فَإِن انتقَص مِن فَرِيضتِهِ شـيءٌ قَالَ الرب عز وجل: انظُروا هلْ لِعبدِي مِن تطَوعٍ فَيكَملَ بِها ما انتقَص مِن الْفَرِيضةِ، ثُم يكُونُ سائِر عملِهِ علَى ذَلِك**"[1]

فضل صلاتي الفجر والعشاء:من صلى الفجر فهو في **ذمة الله:**

٥- عن جندب بنِ عبدِ اللهِ ﷺ قال: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ **:" من صلى الـصبح فَهو فِي ذِمةِ اللهِ، فَلَا يطْلُبنكُم الله مِن ذِمتِهِ بِشيءٍ فَيدركه فَيكُبه فِي نارِ جهنم "** [2]

قال النووي: الذمة هنا: الضمان، وقيل: الأمان [3]

٦- عن **عثمان** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من صلى الْعِشاءَ فِي جماعةٍ فَكأَنما قَام نِصف الليل، ومن صلى الصبح فِي جماعةٍ فَكأَنما صلى الليلَ كُله"** [4]

٧- **الصلاة** في **الجماعة تعصم العبد من الشيطان وتعين على الخشوع**:

عنِ ابنِ عمر (رضي الله عنهما) قَالَ: خطَبنا عمر بِالْجابِيةِ فَقَالَ: يـا أيهـا الناس إِني قُمت فِيكُم كَمقَامِ رسول اللهِ ﷺ فِينا فَقَالَ: " **أُوصِيكُم بِأَصحابِي ثُـم الذِين يلُونهم ثُم الذِين يلُونهم، ثُم يفْشو الْكَذِب حتى يحلِـف الرجـلُ ولَـا**

---

1 - الترمذي (٢٧٨) والنسائي(٤٦١) وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (١٣٣٠).

2 - مسلم (١٠٥٠)

3 - النووي في شرحه لمسلم (٥/ ١٥٨)

4 - مسلم (١٠٤٩)

يستحلف، ويشهد الشاهِد ولا يستشهد، ألا لا يخلُون رجلٌ بِامرأةٍ إلا كانَ ثالِثَهما الشيطانُ، عليكُم بِالجماعةِ، وإياكُم والفُرقةَ؛ فَإن الشيطانَ مع الواحِدِ وهو مِن الِاثْنين أبعد [1]، من أراد بحبوحةَ الجنةِ فَليلْزمِ الجماعةَ، من سرته حسنته وساءَته سيئَته فَذَلِكُم المؤمِن " [2]

٨- **زيادة أجر صلاة الجماعة بزيادة عدد المصلين :**

عن أُبي بن كَعبٍ ﷺ يقُولُ: صلى رسولُ اللهِ ﷺ يوما صلاةَ الصبح فَقَالَ:" **أشهد فُلانٌ الصلاةَ؟** قَالُوا: لا قَالَ: **فَفُلانٌ؟** قَالُوا: لا. قَالَ: "**إن هاتين الصلاتين مِن أثْقَل الصلاةِ على المنافِقين، ولو يعلمونَ ما فِيهما لأتوهما ولو حبوا، والصف الأولُ على مِثْل صف الملائِكةِ، ولو تعلمونَ فَضِيلته لابتدرتموه، وصلاةُ الرجل مع الرجل أزكى مِن صلاتِهِ وحده، وصلاةُ الرجل مع الرجلين أزكى مِن صلاتِهِ مع الرجل، وما كانوا أكْثَر فَهو أحب إلى اللهِ عز وجل " [3]**

٩- **فرح الله بقدوم العبد إلى المسجد لأداء الصلاة فيه:**

1- واعلم أخي أن الإسلام يدعو دائماً إلى الاجتماع وعدم الفرقة قال تعالى: **(**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ **)** فعلى الإنسان أن يحرص أن يكون له إخوة ينصحونه ويذكرونه.

2- الترمذي (٢٠٩١) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٣٠).

3- أبو داود (٤٦٧) والنسائي (٨٣٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤١١) .

عن أَبي هريرة ﷺ عنِ النبِي ﷺ قَالَ: "**ما توطن رجلٌ مـسلِم الْمـساجِد لِلصلاةِ والذكْرِ إلا تبشبش الله لَه، كَما يتبشبش أهلُ الْغائِبِ بِغائِبِهم إِذَا قَـدِم علَيهِم**" (١)

قوله: (تبشبش): أصله فرح الصديق بمجيء الصديق واللطف في المسألة والإقبال، والمراد هنا: تلقيه ببره وتقريبه وإكرامه.

١٠- فضل الصفوف الأولى:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لو يعلم الناس مـا** في **النـداء والصف الأول** ثم لم يجدوا **إلا أن يستهموا عليه لاستهموا** " (٢)

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الصف الأول مثل صف الملائكة(٣).

١١- فضل ميامن الصفوف:

عنِ الْبراءِ بنِ عازِبٍ ﷺ أَن نَبِي اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِن الله وملَائِكَته يـصلونَ علَى الصف الْمقَدمِ، والْمؤذنُ يغفَر لَه بِمد صوتِهِ ويصدقُه من سمِعه مِن رطْـبٍ ويابِسٍ، ولَه مِثْلُ أَجرِ من صلى معه**" (٤)

وعند النسائي عنِ الْبراءِ بنِ عازِبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رسولُ اللـهِ ﷺ يتخلـلُ الصفُوف مِن ناحِيةٍ إِلَى ناحِيةٍ يمسح مناكِبنا وصدورنا ويقُـولُ: "**لَـا تختلِفُـوا**

1- ابن ماجه (٧٩٣)، وأحمد (٧٧٢٠)، وصححه الشيخ الألباني في صـحيح الترغيـب والترهيـب (٣٢٧)

2- البخاري (٥٨٠)

3- النسائي (٨٣٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٢٤٢) .

4- البخاري (٦٤٢)

فَتختلِف قُلُوبكُم: وكَانَ يقُولُ: إِن الله وملَائِكَتـه يـصلونَ علـى الـصفُوفِ الْمتقَدمةِ" [1]

وعند أبي داود"**إِن الله وملَائِكَته يصلونَ علَى الذِين يلُونَ الصفُوف الْأُولَ وما مِن خطْوةٍ أَحب إِلَى اللهِ مِن خطْوةٍ يمشِيها يصِلُ بِها صفا"[2]**

وعنده أيضا عن عائِشةَ قَالَت: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**إِن الله وملَائِكَته يصلونَ علَى ميامِنِ الصفُوفِ"[3]**

١٢- المشي إلى صلاة الجماعة من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة:

وذلك لما ورد عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: " **أَتانِي اللَيلَـةَ ربي تبارك وتعالَى فِي أَحسنِ صورةٍ!** - قَالَ: أحسبه قَالَ: **فِي الْمنامِ**- فَقَالَ: **يـا محمد هلْ تدرِي فِيم يختصِم الْملَأُ الْأَعلَى؟ قَالَ: قُلْت: لَا قَالَ. فَوضع يده بين كَتِفَي حتى وجدت بردها بين ثَديي أَو قَالَ: فِي نحرِي فَعلِمت ما فِي السماواتِ وما فِي الْأَرضِ، قَالَ: يا محمد هلْ تدرِي فِيم يختصِم الْملَأُ الْأَعلَى؟ قُلْت: نعم قَالَ فِي الْكَفاراتِ، والْكَفارات الْمكْثُ فِي الْمساجِدِ بعد الصلَواتِ والْمـشي علَى الْأَقْدامِ إِلَى الْجماعاتِ وإِسباغُ الْوضوءِ فِي الْمكَارِهِ، ومن فَعلَ ذَلِك عاش بِخيرٍ ومات بِخيرٍ وكَانَ مِن خطِيئَتِهِ كَيومِ ولَدته أُمه، وقَالَ: يا محمد إِذَا صليت فَقُل: اللهم إِني أَسأَلُك فِعلَ الْخيراتِ وترك الْمنكَراتِ وحب الْمـساكِينِ وإِذَا**

1 - النسائي (٨٠٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٨١١)

2 - أبو داود (٤٥٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٠٧) .

3 - أبو داود (٥٧٨)، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة (١٠٩٦) .

أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون! قالَ: والدرجات: إفشاءُ السلامِ وإطعام الطعامِ، والصلاةُ باللیل والناس نیام" [1]

ولقول الله تعـالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

ثانيا: العدد الذي تنعقد به الجماعة:

تنعقد الجماعة باثنين: إمام ومأموم، ولو مع صبي على الصحيح أو امـرأة ذات محرم عند الخلوة؛ لحديث ابن عباس ﷺ قال: بت عند خالتي ميمونة فقام النبي ﷺ يصلي من الليل، فقمت أصلي معه، فقمت عن يساره، فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه" [2]

وعن مالك بن الحويرث ﷺ أنه قال: أتى رجلان النبى ﷺ يريدان الـسفر، فقال النبي ﷺ: "**إذا أنتما خرجتما فأذنا، ثم أقيما، ثم ليؤمكما أكبركما" [3]**

ثالثًا: بم تدرك الجماعة:

تدرك الجماعة بإدراك ركعة، ولا يعتد بركعة لا يدرك ركوعها؛ لحـديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"من أدرك ركعة من الـصلاة فقـد أدرك الصلاة" [4]**

---

1 - الترمذي (٢١٥٧) وأحمد(٣٢٠٤) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣١٦٩)

2 - البخاري (١٣٥)، ومسلم (١٢٧٩).

3 - البخاري (٥٩٤) ومسلم (١٠٨٨).

4 - البخاري (٥٤٦) ومسلم (٩٥٤).

وإذا أدرك الركوع قبل أن يقيم الإمام صلبه من ركوعه فقد أدرك الركعة؛ لحديث أبي بكرة ﷺ أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع، فركع قبـل أن يـصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: "**زادك الله حرصاً ولا تعد** " [1] وزاد أبو داود فيه: "فركع دون الصف ثم مشى إلى الصف"[2]

رابعا:ما هو العذر الذي يجوز معه تأخير الصلاة عن وقتها أو ترك صلاة الجماعة؟

(١) المرض والخوف:

قال ابن قدامة: قال ابن المنذر: لا أعلم خلافاً بين أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عن الجماعات من أجل المرض، وقد روى ابن عبـاس ﷺ أن الـنبي ﷺ قال:**"من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر** – قالوا: وما العذر يا رسـول الله ؟ قال: "**مرض أو خوف**" [3]

قال ابن قدامة في **المغني:**

والخوف في **ثلاثة أنواع**: خوف على النفس وخوف على المال وخـوف على الأهل .

فا**لأو**ل: أن يخاف على نفسه سلطاناً يأخذه أو عدوا أو لصا أو سبعا أو دابـةً أو سيلاً، أو نحو ذلك مما يؤذيه في نفسه، وفي معنى ذلك أن يخاف غريماً لـه يلازمه ولا شيء معه يوفيه، فإن حبسه بدين هو معسر به ظلم له،

---

1 - البخاري (٧٨٣) .

2 - أبو داود (٥٨٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠) .

3 - أبو داود (٤٦٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٤٢٦)، ولكن بلفظ: "**من سـمع النداء فلم يأته فلا صلاة له، إلا من عذر**"

فإن كان قادراً على أداء الدين لم يكن عذراً له ، وكذلك إن وجب عليـه حد لله تعالى أو حد قذف فخاف أن يؤخذ به لم يكن عذراً له؛ لأنه يجب إيفاؤه، وهكذا إن تأخر عليه قصاص لم يكن له عذر في التخلف من أجله .

والثاني: الخوف على ماله بخروجه مما ذكرناه من السلطان واللصوص وأشباههما ، أو يخاف أن يسرق منزله أو يحرق أو شيء منه أو يكون له خبز في تنور أو طبيخ على نار يخاف حريقة باشتغاله عنه، أو يكون له غريم إن ترك ملازمته ذهب بماله، أو يكون له بضاعة أو وديعة عند رجل إن لم يدركه ذهـب، فهذا وأشباهه عذر في التخلف عن الجمعة والجماعات.

والثالث: الخوف على ولده وأهله أن يضيعوا، أو يكون ولده ضائعاً فيرجو وجوده في تلك الحال[1].

(٢) المطر، أو الدحض [2]:

لحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال لمؤذنه في يوم مطـير: "إذا قلـت: أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيـوتكم- أو صلوا في رحالكم - فكأن الناس استنكروا، فقال: فعله من هو خير مني" [3]

1 - المغني (١٨٣/٢)، دار الحديث.

2 - الدحض : المزلة التي لا تثبت فيها الأقدام، انظر لسان العرب ، مادة : دحض .

3 - البخاري (٦٠٦) ،ومسلم (٦٩٧) .

(٣) الريح الشديدة في الليلة المظلمة الباردة:

لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح، فقال: ألا صلوا في رحالكم ثم قال: كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن إذا كانت ليلـة باردة ذات مطر، يقول: **"ألا صلوا في الرحال"**[١] .

(٤) وضع الطعام ونفسه تتوق إليه:

لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: **"إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه، وإن أقيمت الصلاة"** [٢]؛ ولحديث عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ أنه قال: **"إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء"**[٣]

(٥) مدافعة الأخبثين (البول والغائط):

لحديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان"**[٤]

(٦) يكون له قريب يخاف موته ولا يحضره؛ لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه ذكر له أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - وكان بدرياً- مرض في يوم جمعة فركب إليه بعد أن تعالى النهار، واقتربت الجمعة وترك الجمعة [٥].

---

1 - البخاري (٥٩٦) ومسلم (١١٢٦) .

2 - البخاري (٦٣٣) .

3 - البخاري (٦٣١).

4 - مسلم (٥٦٠) .

5 - البخاري (٣٩٩٠)

خامسا: الترهيب من ترك صلاة الجماعة:

١- عن معدانَ بنِ أَبِي طَلْحةَ الْيعمرِي قَالَ: قَالَ لِي أبو الدرداءِ: أين مسكنك قَالَ: قُلْت: فِي قَريةٍ دونَ حِمص. قَالَ: سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: **"ما مِن ثَلَاثَةٍ فِي قَريةٍ لَا يؤذنُ ولَا تقَام فِيهم الصلَاةُ إِلا اسـتحوذَ علَـيهم الشيطَانُ، فَعلَيك بِالْجماعةِ؛ فَإِن الذئْب يأْكُلُ الْقَاصِيةَ"**[1] والقاصية هي المنفردة .

٢- وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: أتى النبِي ﷺ رجلٌ أعمى فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ إِنه لَيس لِي قَائِد يقُودنِي إِلَى الْمسجِدِ. فَسأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ أَنْ يرخص لَـه فَيصلي فِي بيتِهِ فَرخص لَه، فَلَما ولى دعاه فَقَالَ: **"هـلْ تـسمع النـداءَ بِالصلَاةِ؟** قَالَ :نعم. قَالَ: **فَأَجِب** [2] "

٣- وعنه أيضاً قال : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"إِن أَثْقَلَ صلَاةٍ علَى الْمنافِقِين صلَاةُ الْعِشاءِ وصلَاةُ الْفَجرِ، ولَو يعلَمونَ ما فِيهما لَأَتوهما ولَو حبوا، ولَقَـد هممت أَنْ آمر بِالصلَاةِ فَتقَام، ثُم آمر رجلًا فَيصلي بِالناس، ثُم أَنطَلِـق معِي بِرِجالٍ معهم حزم مِن حطَبٍ إِلَى قَومٍ لَا يشهدونَ الصلَاةَ، فَأُحرق علَيهِم بيوتهم بِالنارِ[3]"**

(أخالف) أقصد ، وخالف إليه إذا غاب عنه.

---

1 - أحمد (٢٠٧١٩) ، وصححه الشيخ الألباني في الثمر المستطاب صـ ـ ١١٧، دار: غراس .

2 - مسلم (١٠٤٤).

3 - البخاري (٢٢٤٢) و مسلم (١٠٤١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والمصر على ترك الصلاة في جماعة رجـل سوء ينكر عليه، ويزجر على ذلك، بل يعاقب عليه وترد شهادته [1]

٤- التهديد بغضب الله تعالى بسبب ترك الجماعة :

عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" لينتهـين أقْـوام عـن ودعِهـم الجماعاتِ أو ليخِتمن الله على قُلُوبِهم ثُم ليكُونن مِن الغافِلِين" [2]**

سادسا: نماذج مشرفة من حياة السلف مع الصلاة

١- حرصهم الشديد على حضور الجماعة:

عن سعيد بن المسيب إمام التابعين قال: ما فاتتني التكـبيرة الأولى منـذ خمسين سنة، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة **[3]**.

وقال أيضا: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد **[4]**.

عن ابن جريج قال: أقام عطاء بن أبي رباح ينام في المسجد الحرام أربعـين سنة، يطوف ويصلي بالليل.[5]

وعن عامر بن عبدالله أنه سمع المؤذن وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب مـن المسجد فقال: خذوا بيدي ، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبـه ؟!! فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات **[1]** .

---

1 - مجموع الفتاوى (٢٥٢/٢٣).

2 - ابن ماجه (٧٨٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٤٨٠)، وفي رواية: الجمعات .

3 - حلية الأولياء (١٦٣/٢) دار الكتاب العربي بيروت

4 - مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٤٢).

5 - انظر أخبار مكة للفاكهي.

وكان محمد بن خفيف الشيرازي به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، وكان إذا نودي للصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خففـت على نفسك؟! قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في المسجد فـاطلبوني في المقبرة [٢].

وعن ربيعة بن يزيد قال: ما أَذنَ الْمؤذنُ لِصلَاةِ الظهرِ منذُ أَربعِين سنةً إِلـا وأَنا فِي الْمسجِدِ إِلا أَنْ أَكُونَ مرِيضا أَو مسافِرا. [٣]

٢- حث الأبناء على ملازمة المسجد:

ومما يدل على اهتمام السلف بصلاة الجماعة أنهم كانوا يـأمرون أبنـائهم بحضور صلاة الجماعة، فقد جاء عن أبي الدرداء أنه قال لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك؛ فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: " إن المساجد بيوت المتقين، فمـن كانـت المساجد بيوته ضمن الله له بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى الجنة " [٤]

٣- مساءلة الأبناء على حضور صلاة الجماعة:

ومما يدل على عناية سلف هذه الأمة بصلاة الجماعة مسألتهم أبناءهم عـن حضور صلاة الجماعة ، أخرج الإمام عبد الرزاق عن واحد من أولئك الأبرار عن مجاهد قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ قال: لاأعلمه ألا من شهد بدرا، قال لابنه: "أدركت الصلاة معنا ؟"

قال: نعم.

---

1 - التمهيد (٢٠/٩٣) موسسة قرطبة.

2 - السير ٠١٦/٣٤٦).

3 - شعب الإيمان(٤/٣٧١)، مكتبة الرشد بالرياض.

4 - مصنف ابن أبي شيبة (٨/١٧٢)، والمعجم الأوسط (٧١٤٩) .

قال: أدركت التكبيرة الأولى؟

قال: لا .

قال: فاتك خير من مائة ناقة سود العين.[1]

٤- تأديب الابن على التأخر عن صلاة الجماعة:

ولم يقتصر الأمر على المساءلة، فحسب بل نجد أحدهم يؤدب ابنه إذا تأخر عن صلاة الجماعة، فقد ذكر الحافظ الذهبي عن يعقوب عن أبيه أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها، وكتب إلى صالح ابن كيسان يتعاهـده، وكان يلزمه الصلوات فأبطأ يوماً عن الصلاة فقال: ما حبسك ؟

قال: كانت مرجلتي تسكن شعري .

فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟!

وكتب بذلك إلى والده فبعث عبد العزيز رسولاً فما كلّمه حتى حلق شعره. [2]

هذا وقد مات بعض الصالحين في الصلاة كحماد بن سلمة ومجاهد ابن جبر وعامر ابن ربيعة والشيخ / عبد الحميد كشك.

وهذا كله غيض من فيض وإلا فالأمثلة والنماذج من حياة السلف في هذا كثيرة لا تحصى [3].

---

1 - مصنف عبد الرزاق (٢٠٢١)

2 - سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٦)

3 - ومن أراد المزيد في هذا فليرجع إلى كتاب: صفة الصفة لابن الجوزي، وصلاح الأمة للعفـاني، وغيرهما.

سابعا: ما هي الجماعة التي يحصل بها الثواب؟

قال الشيخ العزازي: قال الحافظ ابن حجر: أصل المشروعية إنما كـان في جماعة المساجد وهو وصف معتبر لا ينبغي إلغاؤه، فيختص به المسجد، ويلحق به ما في معناه مما يحصل به إظهار الشعار.

والظاهر من قوله (ما في معناه) جماعة ليس لديهم مسجد أو معـذورون شرعاً عن الذهاب إلى المسجد[1]

قلت: ومثال الجماعة الذين ليس لهم مسجد هؤلاء الذين يعيشون في الصحراء، أو قوم بعيدون عن العمران، أو قوم عندهم عمل في منطقة بعيدة عن العمران وعـن المساجد فيؤذنون ويصلون.

المسألة السابعة: رسالة إلى الآباء والأمهات:

اعلموا أن الله قد استرعاكم رعية، وسوف يسئلكم عنها بين يديه، فأعـدوا الإجابة من الآن عليها ، قال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾

[التحريم:٦]

وعن ابن عمر (رضِي الله عنهما) قَالَ: سمِعت رسولَ اللـهِ ﷺ يقُـولُ:" **كُلكُم راعٍ ومسئُولٌ عن رعِيتِهِ،والإمام راعٍ ومسئُولٌ عن رعِيتِهِ، والرجـلُ راعٍ فِي أهلِهِ ومسئُولٌ عن رعِيتِهِ، والمرأةُ فِي بيتِ زوجِها راعِيـةٌ ومـسئُولةٌ عـن**

1- تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (٣١١/١)، دار قرطبة

رعِيتها، والْخادِم فِي مال سيدِهِ راعٍ ومسئُولٌ عن رعِيتِهِ، قَالَ: وحسِبت أنْ قَد قَالَ: والرجلُ راعٍ فِي مال أبِيهِ"(١)

وعـن معقـل ابن يسار ﷺ قالَ :إني سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: " **مـا مِن عبدٍ يسترعِيهِ الله رعِيةً يموت يوم يموت وهو غَاش لِرعِيتِهِ، إلا حرم الله علَيهِ الْجنةَ**" (٢)

معنى(يسترعيه الله رعية) يعني: يفوض إليه رعاية رعية، وهي بمعنى المرعية، وقوله ﷺ (يموت): خبر ما، وغش الراعي الرعية: تضييعه ما يجب عليه في حقهم.

وعن عمرِو بنِ شعيبٍ عن أبِيهِ عن جدِهِ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: " **مـروا أولَادكُم بِالصلَاةِ وهم أبنَاءُ سبعِ سِنِين، واضربوهم علَيها وهـم أبنـاءُ عـشرٍ، وفَرقُوا بينهم فِي الْمضاجِعِ**" (٣)وعمرو بن شعيب أبوه هوشعيب بن عبد الله بـن عمرو بن العاص.

وعن أبِى هريرة ﷺ أن رسول اللهِ ﷺ قَالَ :«**إن اللـه لَيرفَـع الْعبـد الدرجةَ، فَيقُولُ: رب أنى لِى هذِهِ الدرجةُ؟ فَيقُولُ: بِدعاءِ ولَدِك لَك** »(٤).

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ : حافِظُوا علَى أبنائِكُم فِى الصلَاةِ، ثُم تعودوا الْخيـر؛ فَإنما الْخير بِالْعادةِ"(٥)

---

1 - البخاري (٢٥٤٦) ومسلم (٣٤٠٨) .

2 - البخاري (٦٦١٨) ومسلم (٢٠٣)

3 - أبو داوود (٤١٨) وأحمد (٦٤٠٢) وقال الشيخ الألباني : صحيح.

4 - أحمد (١٠٢٠٢) والبيهقي في الكبرى(٣٢٣٧) باب: الرغبة في النكاح .

5 - البيهقي في الكبرى (٥٢٩٧) والمعجم الكبير (٩٠٥٥) .

يجب عليك أيها الوالد الكريم أن تعلم ولدك الصلاة وتعوده عليهـا منـذ الصغر، فإذا فعلت ذلك نفعك ولدك في الدنيا والآخرة، وأن تشجعه على الـصلاة فتقول له مثلا: لو داومت هذا الأسبوع على صلاة الفجر في الـمسجد سـأعطيك جائزة كذا، فإذا فعل فاصدقه حتى لا يتعود منك على الكذب، وكذلك تصطحبه معك إلى المسجد؛ فإذا فعلت ذلك نفعك الله به في الدنيا بأنه سيطيعك؛ لأن الصلاة تهذب صاحبها وتدفعه إلى الخيرات، وينفعك الله به في الأخرة؛ وذلـك للحـديث السابق **"إن الله ليرفع العبد"**، ولحديث أَبِي هريرة ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"إِذَا مات الْإِنسانُ انقَطَع عملُه إِلا مِن ثَلَاثٍ: صدقَةٌ جارِيةٌ، وعِلْم ينتفَع بِهِ، ووَلَـد صالِح يدعو له"**[1]

المسألة الثامنة: رسالة إلى الإخوة القائمين على خدمة بيوت الله عزوجل:

نقول لهم: تقبل الله عملكم هذا وجعله في ميزان حسناتكم، ولكن عليكم أن تحببوا الناس- وخاصة الأطفال- في المساجد حتى ينشأ الولد يحب المسجد؛ فإن لم يرب الولد في المسجد فأين يربى ؟!!

هل يربى على المقاهي؟!

أم أمام شاشات النت؟!

أم.....؟!

لا تغلقوا المساجد أمام الناس أو تؤذوا الأطفال الذين يأتون إلى الـمسجد؛ فيترتب عليه أن لا يأتوا المسجد مرة ثانية، وقدر حذر الله تعالى من ذلك **فقـال تعالى:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا

1- مسلم (٣٠٨٤) .

كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ [البقرة:١١٤]

وعن أنسِ بن مالِكٍ رضي الله عنه عنِ النبِي ﷺ قَالَ: "**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**" [1] والطفل الذي يأتي مع والده سوف يتعلم يوما ما أدب المسجد .

المسألة التاسعة: ماذا يفعل الرجل مع زوجته التي لا تصلي؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : علَيهِ أنْ يأمرها بِالصلَاةِ ويجِب علَيهِ ذَلِك . بلْ يجِب علَيهِ أنْ يأمر بِذَلِك كُل من يقْدِر علَى أمرِهِ ، إذَا لَم يقُم غَيره بِذَلِك وقَد قَالَ تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ، وقَالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦] وقَالَ ﷺ : "**علموهم وأدبوهم**" .

وينبغِي مع ذَلِك الْأَمرِ أنْ يحضها علَى ذَلِك بِالرغْبةِ، كَما يحضها علَى ما يحتاج إلَيها، فَإنْ أصرت علَى ترك الصلَاةِ فَعلَيهِ أنْ يطَلقَها، وذَلِك واجِب فِي الصحِيحِ، وتارِك الصلَاةِ مستحِق لِلْعقُوبةِ حتى يصلي باتفَاقِ الْمسلِمِين؛ بلْ إذَا لَم يصل قُتِلَ. [2]

1 - البخاري (٦٧) ومسلم (٣٢٦٢)

2 - الفتاوى (٢٧٧/٢٢) .

المسألة العاشرة: فضل من بنا لله مسجدا.

قال النبي ﷺ : "**من بنى لِلهِ مسجِدا صغِيرا كانَ أو كبِيرا بنى الله له بيتا فِي الجنةِ**"[1]

بشرط أن هذا المكان الذي بني فيه المسجد في حاجة إلى المسجد؛ حـتى لا تحدث تفريقاً للناس فيتركون المسجد الجامع ويذهبون إلى هذه الزاوية.

ما المراد بالمسجد؟

هو أي مكان حدد ليصلى فيه، وفيه أذان وإقامة، وليس المراد بالمسجد هو المسجد الذي كلف بالملايين وفيه منارة مرتفعة جداً ، بل كل ذلك من الإسـراف الذي لا يرضي الله، ونهى عنه النبي ﷺ، ولنا الأسوة في رسول الله ﷺ الذي كانت حوائط مسجده بالجريد، كما في الصحيحين، والأولى أن ينفق هذا المال في تزويج الشباب أو تعليم الناس القرآن الكريم أو غير ذلك مما فيه نفع للمسلمين.

وكذلك لا يبني مسجداً إلا إذا كانت هناك حاجة لاحة إليه، فلا يكـون هناك مسجد يجمع المسلمين وبعده بمئة متر (مثلاً) أبني آخر، فهـذا نـوع مـن الإسراف .

1 - الترمذي (٢٩٢) وابن ماجه (٧٢٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٢٧).

الخطبة العاشرة : الدعاء عباده

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ **[آل عمران: ١٠٢].**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ.

إخوة الإيمان :

إن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وقربة من أفضل القربات.

والدعاء مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر، ومجلبة لكل نفع، ودفع لكل ضر.

وكما أن الإنسان يثاب على الصلاة وعلى الصدقة والحج والصوم، كذلك يثاب على الدعاء سواء أجيب هذا الدعاء أو لم يجب، فكلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلا: يا رب يا رب أثيب على دعائه، وكان عمر ابن الخطاب يقول: إني لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه [1] .

الدعاء هو العبادة:

قـال تعـالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قَالَ: **قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :"إن الدعاءَ هو العِبادةُ ثُم قَرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾"**[2]

ما هي آداب الدعاء؟

[١] أن يتجنب الحرام مأكلاً ومشرباً وملبساً :

عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :" **أيها الناسُ إن الله طيب لا يقْبلُ إلا طيبا، وإن الله أمر الْمؤمِنين بِما أمر بِهِ الْمرسلِين فَقَالَ:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

وقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾

1- ذكره صاحب شرح الطحاوية (٤٦١/١) دار السلام .

2- الترمذي (٢٨٩٥) وأبو داوود (١٢٦٤) وابن ماجه (٣٨١٨)، وصححه الـشيخ الألبـاني فـي الترغيب والترهيب (٢٦٢٧) .

ثُم ذَكَر الرجلَ يطِيلُ السفَر أشعثَ أغْبر يمد يديهِ إلى السماءِ: يا رب يا رب ومطْعمه حرام ومشربه حرام وملْبسه حرام وغُذِي بِالْحرامِ فَأنى يـستجاب لِذَلك؟ "(١).

فيأتي من يدعو ربه، وهو آكل للربا أو شاهد عليه أوكاتبه أو موكلـه أو آكل لأموال اليتامى ظلما إلى غير ذلك من أكل أموال الناس باطلاً بغـير حـق، فيدعون الله لكن دون استجابة لدعائهم، وهم يسئلون عن الـسبب، والـسبب واضح معروف.

[٢] اليقين:

أن تتأكد وتتيقن أن الله تعالى سيستجيب دعائك؛ فعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :"**ادعوا الله وأنتم موقنونَ بِالْإِجابةِ، واعلمـوا أن اللـه لَـا يستجِيب دعاءً مِن قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ"(٢).**

[٣]**الإخلاص** لله تعالى:

وهو شرط لقبول أي عبادة قال تعـالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر:١٤]

وعن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قَالَ:"**من سأَلَ الله الشهادةَ بِصِدقٍ بلغه اللـه منازِلَ الشهداءِ، وإِنْ مات علَى فِراشِهِ"(٣)**

1- مسلم (١٦٨٦) .

2- الترمذي (٣٤٠١) وأحمد (٦٣٦٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢٤٥) .

3- مسلم (٣٥٣٢) .

[٤]التضرع في **الدعاء** :

فالتضرع وصدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى من أسباب الإجابة، بل من أعظمها قال تعالى:﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾

[الأعراف :٥٥]

[٥] الخشوع في **الدعاء:**

لا بد وأن يكون قلبك خاشعاً لله؛ لأن النبي ﷺ قال:**"واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً مِن قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ"** [1].

وكما جاء عن أحد التابعين قال: أنا أعلم متى يستجاب دعائي .فتعجب الناس قالوا له: وكيف ذلك؟!

قال: عندما يخشع قلبي ، وتدمع عيني ، وتسكن جوارحي .

[٦] إخفاء الدعاء:

ويستحب عموما إخفاء النفل، وعدم إظهاره، فصلاة النافلة في البيت أفضل، وصلاة الفرض في المسجد أوجب .

ويستحب إخفاء الدعاء في الجملة، إلا في المواضع التي ورد أن النبي كان يظهر فيها الدعاء كالقنوت في الصلوات والنوازل والاستسقاء وخطب الجمعة والأعياد وقول آمين في الصلاة أو المواطن التي تدعو الحاجة إليها .

أما إخفاء الدعاء، فمن أدلته قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف :٥٥]

1- سبق تخريجه.

وقد ذكر الله في كتابه نبياً كريماً رضي عن فعله وزكاه، وهو زكريا عليـه السلام فقال تعالى:﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣]

وكان النبي ﷺ يقوم من الليل إذا غلب على ظنه أن عائشة قد نامت فيفزع إلى الصلاة سائلاً ربه مستغفراً ، ويتجه إلى بقيع الغرقد يدعو هنالك للأموات [1].

[٧] استقبال القبلة:

ويستحب للشخص أن يستقبل القبلة عند دعائه، وكلما كانت الدعوة من الأهمية بمكان تأكد هذا الاستحباب، ولا بأس أن يدعو الشخص أحياناً غير مستقبل القبلة؛ فهناك أحاديث كثيرة تدل على أن النبي ﷺ كان يستقبل القبلة أحياناً؛كمـا حدث يوم بدر كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: "**اللهم إن تهلـك هـذه العصابة لا تعبد** في **الأرض**"مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه مـن علـى منكبيه[2].

وهناك أدلة أخرى تبين لنا أن النبي ﷺ دعا أحيانا بدون استقبال القبلة، كما في صحيح مسلم عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقُولُ:"**اللهم أصلِح لِي دِينِي الذِي هو عِصمةُ أمرِي، وأصلِح لِي دنياي التِي فِيها معاشِي، وأصلِح لِي آخِرتِي التِي فِيها معادِي، واجعل الْحياةَ زِيادةً لِي فِي كُل خيرٍ ، واجعل الْموت راحةً لِي مِن كُل شر**""[3]

1- مسلم (٢٢٠٩) .

2- سبق تخريجه.

3- مسلم (٤٨٩٧) .

[٨] بسط اليدين ورفعهما حذو المنكبين:

وذلك لما ورد عن سلْمانَ الْفَارِسِي ﷺ عن النبِي ﷺ قَالَ : **"إن الله حيِي كرِيم، يستحيِي إِذَا رفَع الرجلُ إِلَيهِ يديهِ أَنْ يردهما صِفْرا خائِبتين"**[1]

[٩] التأدب والخشوع والسكنة:

ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن عِلِي بن أَبِي طَالِبٍ ﷺ عن رسول اللـهِ ﷺ أنه كَانَ إِذَا قَام إِلَى الصلَاةِ قَالَ: **"وجهت وجهِي لِلـذِي فَطـر الـسماواتِ والْأَرض حنِيفًا وما أَنا مِن الْمشرِكِين، إِن صلَاتِي ونسكِي ومحياي ومماتِي لِلـهِ رب الْعالَمِين، لَا شرِيك لَه وبِذَلِك أُمِرت وأَنا مِن الْمسلِمِين، اللهم أنت الْملِك لَا إِلَه إِلا أَنت أَنت ربي وأَنا عبدك ظَلَمت نفْسِي واعترفْت بِذَنبِي فَـاغْفِر لِـي ذُنوبِي جمِيعا إِنه لَا يغفِر الذنوب إِلا أَنت، واهدِنِي لِأَحسن الْأَخلَاق؛ لَا يهـدِي لِأَحسنِها إِلا أَنت، واصرِف عني سيئَها؛ لَا يصرِف عني سيئَها إِلا أَنـت، لَبيـك وسعديك، والْخير كُله فِي يديك، والشر لَيس إِلَيك، أَنا بِك وإِلَيك، تباركْت وتعالَيت، أَستغفِرك وأَتوب إِلَيك، وإِذَا ركَع قَالَ: اللهم لَك ركَعت وبِك آمنت ولَك أَسلَمت، خشع لَك سمعِي وبصرِي ومخي وعظْمِي وعصبِي، وإِذَا رفَـع قَالَ: اللهم ربنا لَك الْحمد مِلْءَ السماواتِ ومِلْءَ الْأَرض ومِلْءَ ما بينهما ومِلْءَ ما شِئْت مِن شيءٍ بعد، وإِذَا سجد قَالَ :اللهم لَك سجدت وبِك آمنت ولَـك أَسلَمت سجد وجهِي لِلذِي خلَقَه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الْخالِقِين، ثُم يكُونُ مِن آخِرِ ما يقُولُ بين التشهدِ والتسلِيمِ: اللهم اغْفِر لِي ما**

1- الترمذي(٣٤٧٩)، وأبو داود(١٢٧٣)، وابن ماجه(٣٨٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في صـحيح الجامع الصغير(١٧٥٧) .

قَدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفْت وما أنت أعلَم بِهِ مِنـي، أنت الْمقَدم وأنت الْمؤخر لَا إِلَه إِلا أنت" [1]..

فدائماً الإنسان عليه أن يلح في الدعاء ويتضرع فيه، ويظهر الإنابة لله فيـه والمسكنة .

[١٠] أن يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف :١٨٠]

فتقول مثلا: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفقني لما فيه الخير في ديني ودنياي .....

قال السعدي في **تفسيره لهذه الآية:** فيدعي في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك .... [2]

[١١] الإكثار من الدعاء وتعظيم الرغبة فيما عند الله تعالى:

كما في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أَبِي سعِيدٍ ﷺ أَن النبِـي ﷺ قَالَ:" **ما مِن مسلِمٍ يدعو بِدعوةٍ لَيس فِيها إِثْم ولَا قَطِيعةُ رحِمٍ إِلا أَعطَاه الله بِها إِحدى ثَلَاثٍ: إِما أَنْ تعجلَ لَه دعوته، وإِما أَنْ يدخِرها لَه فِي الْآخِرةِ، وإِمـا أَنْ يصرف عنه مِن السوءِ مِثْلَها قَالُوا: إِذًا نكْثِر. قَالَ: الله أَكْثَر** " [3]

1- مسلم (١٢٩٠) .

2- تيسير الكريم الرحمن ص:٣١٤

3- أحمد (١٠٧٠٩) ، وقال عنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيـب والترهيـب (١٦٣٣) : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

وكان يكثر من هذا الدعاء ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠٨]

[١٢] عدم الاستعجال:

كما في الصحيحين – واللفظ لمسلم- عن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ اللـهِ ﷺ قَالَ : **"يستجاب لِأحدِكُم ما لم يعجلْ، فَيقُولُ: قد دعـوت فلـا أو فلـم يستجب لِي"(١)**

[١٣] مواصلة الدعاء وتكريره وعدم اليأس من رحمة الله:

فينبغي للعبد أن يواصل في الدعاء ويكرره، لأن الـدعاء دواء، وأي دواء – حتى دواء الدنيا- لا تكفي فيه جرعة واحدة ولا جرعتان ولا ثلاث، بل وعـشر لشفاء المريض إلا إذا أراد الله الشفاء .

فكذلك الدعاء ينبغي على العبد أن يكرره ولا ييأس؛ فهو مأجور على ذلك ومجاب عليه بإذن الله، وذلك للحديث السابق.

وقد حذر الله تعالى من القنوط واليأس من الدعاء فقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر:٥٦]

وقـال تعـالى : ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩،٢٠]**ومعنى لا يستحسرون: أي لا ينقطعـون عنها .**

1- البخاري (٥٨٦٥) ومسلم (٤٩١٦)

محظورات الدعاء:

المحظور الأول: التعدي في الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾

قال الإمام الطبري في **تفسيره** لهذه الآية: إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لعباده في دعائه ومسألته .

وقد نهت السنة النبوية المطهرة وحذرت من الاعتـداء في الـدعاء، ففـي الحديث عن أبي نعامةَ أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النـار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إنه سيكون** في **هذه الأمة قـوم يعتـدون** في **الطهور والدعاء"**[1]

وهذا الاعتداء له صور مختلفة منها:

أولا: استبدال لفظ وارد (مأثور) بغيره:

كما جاء في الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ " **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رهبـة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الـذي أنزلـت**

1- أبو داوود(٨٨)، وابن ماجه(٣٨٥٤)، وأحمد(١٦١٩٩) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٨٧) .

وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول" فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: **" لا وبنبيك الذي أرسلت "[1].**

قال في **فتح الباري**: الحكمة في رده ﷺ على من قال (الرسـول) بـدل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجـب المحافظة على اللفظ الذي وردت به[2].

وعليه نعلم جلياً خطأ من يزيد أو ينقص في الأدعية المأثورة، مع الاحتفاظ بصحة المعنى، فهو منهي عنه، وأقل ما فيه أنه يفوت على الداعي تحـصيل أجـر وثواب الاتباع في الدعاء،

فمثلا :

دعاء القنوت في صلاة الوتر الذي علمه النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما هو: " **اللهم اهدني فيمن هديت**"[3]، فعندما يدعوا إمام في صلاة الوتر قائلا: اللهم اهدني يا مولاي فيمن هديت، ويأتي آخر فيقول: اللهم اهدني يا مولاي بفضلك فيمن هديت، وثالث فيقول: اللهم اهدني يا مـولاي بفـضلك ومنـك وكرمك فيمن هديت و...، نقول له: قف! لقد اعتديت وتجاوزت الدعاء المأثور بإضافتك لألفاظ من عندك.

حتما: هي ليست بأفضل وأكمل مما قاله النبي ﷺ الذي علم أمته في شخص الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دعاءً كاملاً لا ينقصه شيء، لذا شدد الإمام أحمد على من يزيد في ألفاظ القنوت ولو حرفاً واحداً فقال: وقد كان المـسلمون

1- البخاري (٢٣٩)، ومسلم(٤٨٨٤) .

2- فتح الباري(١١٢/١١)، دار المعرفة.

3- مسلم(٤٢٦) .

يصلون خلف من يقنت وخلف من لا يقنت، فإذا زاد في القنوت حرفاً .. فـإن كنت في الصلاة فاقطعها.

كذلك في **الدعاء** المشهور الذي علمه النبي ﷺ لعائشة (رضي الله عنـها) ؛ لكي تدعو به إذا وافقت ليلة القدر: **"اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني "**[1]، فيأتي أحدهم ويدعوا قائلاً : اللهم إنك عفو غفور تحب العفو فاعف عني.

وثانٍ يقول: اللهم إنك عفو غفور شكور تحب العفو فاعف عني، وثالـث يدعوا فيقول: اللهم إنك عفو غفور شكور جواد رحيم تحب العفو فـاعف عـني و...، لا شك أن هذا تعدٍ منهي عنه، **والتعدي يعني**: تجاوز ما ينبغي أن يقتـصر عليه، فهذا التعدي يمنع أجر وفضيلة الاتباع عند الدعاء المأثور عن النبي ﷺ ، بـل وربما يمنع قبول الدعاء.

فجاهد نفسك أن تتعلم وتحفظ الأدعية المأثورة بنصها، حتى تدعوا بها كاملة كما وردت دون نقص فيها ولا زيادة، فتنال فضيلة الدعاء والاتباع.

ثانياً: التغني والتمطيط (تحرير النغم):

قال المناوي: قال الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان مـن التمطيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلـوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال اعجبوا من حسن صوتي وتحريري، ولا أرى تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القراء في هذا الزمان يصدر ممن يفهم معـنى

1- الترمذي (٣٤٣٥)وابن ماجه(٣٨٤٠)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣٣٣٧) .

الدعاء والسؤال؛ إذ مقام طلب الحاجة: التضرع، لا التغني، فاستبان أن ذاك ـ أي التغني والتمطيط ـ من مقتضيات الخيبة والحرمان[1] .

وللأسف: احترف بعض الأئمة التغني والتمطيط في الدعاء، حتى أنه يهـتم بالدعاء أكثر من اهتمامه بقراءة القرآن في الصلاة، فتراه يفرغ جهـده في الـتغني بالدعاء وتحسين صوته وتمطيط الكلام، وربما أجرى على الدعاء أحكـام تـلاوة القرآن الكريم من مد وإخفاء وإدغام، كل هذا ليستدر دموع المصلين ويرضي نفسه بأنه استطاع أن يصل بهم إلى مرحلة الخشوع وذرف الدموع.

فالتغني وتحسين الصوت هو من خصائص القرآن الكـريم، أمـا الـدعاء فالمشروع فيه أن يكون على السجية بلا تكلف ولا تغني.

ثالثاً: التفصيل في **الدعاء (كثرة الألفاظ):**

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامـع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك[2].

فمن صور الاعتداء تكثير الكلام الذي لا داعي له ولا حاجة إليه، والتكلف في ذكر التفاصيل، كأن يدعو ربه أن يرحمه إذا وضع في اللحـد تحـت التـراب والثرى، وكذلك أن يرحمه إذا سالت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تركـه الأصحاب وتولى عنه الأهل والأحباب[3]، أو يدعو على عدوه أن يخرس الله لسانه ويشل يده، ويجمد الدم في عروقه.

1- فيض القدير للمناوي(٢٩٦/١) ، دار الكتب العلمية..

2- أبو داود (١٢٦٧)،وأحمد(٢٣٩٩٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (١٣١٥) .

3- بل يكفيه أن يدعو الله بالرحمة والمغفرة، وكذلك في الدعاء على عدوه بالهلاك.

مما لا شك فيه أن النتيجة الطبيعية لهذا الاعتداء هو إصابة المصلين بالملـل، والملل يذهب التدبر والخشوع ويؤدي بالمصلي إلى الغفلة، وهي حالة منهي عنها؛ إذ لا تتناسب ومقام التذلل والطلب من الله تعالى المطلع على أحوال النفوس وما تكنه الصدور .

فالإطالة المملة ترهق المصلي وتصيبه بالملل والغفلة، وقد ورد نهـي الغافلـة قلوبهم عن الدعاء

ومن وصايا الشيخ عبد العزيز بن باز قال: الأفضل للإمام في دعاء القنوت تحري الكلمات الجامعة وعدم التطويل على الناس، ويقرأ: اللهم اهدنا فيمن هديت الذي ورد في حديث الحسن في القنوت، ويزيد معه ما يتيسر من الدعوات الطيبـة كما زاد عمر، ولا يتكلف ولا يطول على الناس ولا يشق عليهم.

قال ابن قدامة المقدسي: في اتباع السنة بركة موافقة الشرع، ورضى الرب سبحانه، ورفع الدرجات، وراحة القلب، ودعة البدن، وترغيم الشيطان، وسـلوك الصراط المستقيم.

انتبه: ليس من الاعتداء:

قال الخطابي: ليس معنى الاعتداء الإكثار ؛ فقد روى عن النبي ﷺ أنه قـال: "**إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه**" [1].

1- أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٩١) .

رابعاً: تكلف السجع والإعراب [1]:

السجع هو: الكلام المستوي على نسق واحد، وهو مكروه في الـدعاء إن تعمده وتكلفه الداعي؛ لأنه يشغل عقله ويشتت قلبه عن التدبر والتفكر، وقد عنون البخاري في صحيحه فقال: ما يكره من السجع في الدعاء، ثم أورد الخبر عن ابـن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهـدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب أي اجتناب النهي.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: إياك والـسجع؛ فـإن الـنبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون.

وكما جاء النهي عن السجع كذلك جاء النهي عن الإعراب:

قال ابن تيمية :قال بعض السلف:

إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع، وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإن أصل الدعاء من القلب، واللسان تابع للقلب، ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه، أضعف توجه قلبه، ثم قال: والله ـ سبحانه ـ يعلم قصد الداعي ومراده، وإن لم يقوم لسانه، فإنه يعلم ضـجيج الأصـوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات.

1- والإعراب: هو ضبط آخر الكلام (وضع حركة كضمة أو فتحة أو كسرة على الحرف الأخيـر) على حسب موضعه في الجملة.

خامساً: رفع الصوت فوق الحاجة والنوح والبكاء:

قال ابن حجر العسقلاني: الاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعا أو بطلب معصية أو يدعو بما لم يؤثر خصوصاً ما وردت كراهته كالسجع المتكلف.

وعن الحسن قال: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يـسمع لهـم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾، وذلك أن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً فرضي له قوله، فقال:

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾

****

المحظور الثاني: مسح الوجه أو الجسد وتقبيل اليدين بعد الدعاء:

وهذا مخالف للسنة أيضاً ، لأن السنة لم يرد فيها مسح الجسد كلـه إلا في دعـاء الإنسان عندما يأتي فراشه فيجمع يديه ثم ينفث فيهما ويقرأ الإخلاص والمعوذتين، ثم يمسح ما استطاع من جسده.

****

المحظور الثالث: الدعاء الجماعي للمتوفى بعد دفنه:

بعد أن ينتهوا من دفن المتوفى يقوم واحد منهم فيدعو له ويؤمن البـاقون، فهذا من البدع، بل الوارد في ذلك أن يدعو كل شخص بنفسه للمتوفي.

****

المحظور الثاني: نسب الشخص لأمه في الدعاء:

هذا منتشر في بعض المجتمعات، يدعو لفلان فيقول مثلاً : اللهم اشف فلاناً بن فلانة ينسبه لأمه ، ويظنون أن الدعاء لا يقبل إلا إذا ذكر فيه اسم الأم ، وهـذا مخالف لهدي النبي ﷺ.

****

أوقات الإجابة :

[١] ليلة القدر:

وذلك لما ورد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ :"**من قام ليلـةَ القَـدر إيمانا واحتسابا غُفِر له ما تقدم مِن ذَنبِهِ، ومن صام رمضانَ إيمانا واحتسابا غُفِـر له ما تقدم مِن ذَنبِهِ**"[١]

[٢] يوم عرفة :

ذلك لقوله ﷺ: "**أفْضلُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفَةَ، وأفْضلُ مـا قُلْـت أنـا والنبيونَ مِن قَبلِي لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له**" [٢]

[٣] شهر رمضان والصوم عامة:

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**ثَلاثَةٌ لا ترد دعوتهم: الإمـام العادِلُ، والصائِم حتى يفْطِر، ودعوةُ المظْلُومِ يرفَعها الله دونَ الغمامِ يوم القِيامةِ وتفْتح لها أبواب السماءِ ويقُولُ: بِعزتي لأنصرنكِ ولو بعد حِينٍ** "[١]

1- البخاري (١٧٦٨) ومسلم (١٢٦٨) .

2- مالك في الموطأ (٤٤٩)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (٢٥٩٨)

[٤] ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة :

عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ أَبو الْقَاسِمِ ﷺ :**"إِن فِي الْجمعةِ لَساعةً لَا يوافِقُها مسلِم قَائِم يصلي يسأَلُ الله خيرا إِلا أَعطاه إِياه "**[٢]

[٥] جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات :

فعن أَبِي أُمامةَ قَالَ: قِيلَ: يا رسولَ اللهِ ﷺ أَي الدعاءِ أَسمع؟ قَالَ:"**جوف اللَّيل الْآخِرِ ودبر الصلواتِ الْمكْتوباتِ"**[٣]

[٦] دبر الصوات المكتوبات:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [القدر:٧، ٨]

قال العلامة السعدي :وقد قيل :إن معنى هذا فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

وكذلك يدل على إجابة الدعاء أيضاً الحديث السابق.

وعن معاذِ ابنِ جبلٍ ﷺ قَالَ: أَخذَ بِيدِي رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:**إِني لَأُحِبك يا معاذُ** فَقُلْت: وأَنا أُحِبك يا رسولَ اللهِ. **فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "فَلَا تدع أَنْ تقُولَ فِي كُل صلَاةٍ رب أَعِني علَى ذِكْرِك، وشكْرِك، وحسنِ عِبادتِك"** [٤]

1- الترمذي (٢٤٤٩) وابن ماجه (١٧٤٢) وأحمد (٧٧٠٠) ، وصححه الشيخ الألباني في تخريج أحاديث الحلال والحرام (٣٧٣) .

2- مسلم في الجمعة (١٤٠٧) .

3- الترمذي (٢٤٢١) ، وحسنه الشيخ الألباني في الكلم الطيب (١١٤) وقال: حسن لغيره .

4- البخاري (٦٩٤٠) ومسلم (١٢٦١) .

حكم الدعاء بعد السلام:

قال الشيخ مصطفى العدوي – حفظه الله - عند تفسير قوله تعالى

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [1]:

لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: لا يشرع الدعاء.

الثاني: وهو الأشهر أن الدعاء بعد الصلاة مشروع ، بل مستحب.

أما القائلون بالقول الأول فاستدلوا بأدلة منها:

حديث عائشة (رضي الله عنها) في صحيح مسلم، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا انصرف مِن صلَاتِهِ استغفَر ثَلَاثًا وقَالَ: **"اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركْت ذَا الْجلَال والْإِكْرامِ"** [2]

وقالوا أيضا: إن دبر الشيء منه، فالأحاديث التي ورد فيها أن النبي ﷺ كان يدعو دبر الصلاة، فدبر الصلاة قبل التسليم عندهم، هذا مجمل ما استدل به القائلون بمنع الدعاء بعد الصلاة.

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فاستدلوا بأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ وقد ورد في تفسيرها أثر عن ابن عباس (رضي الله عنهما) بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال: فإذا فرغت مما فرض عليك من الصلاة

1- التسهيل لتأويل التنزيل(تفسير جزء عم)صـ ٤٠٨-٤١٢باختصار وتصرف، دار ابن رجب.

2- مسلم(٩٣١).

فسل الله وارغب إليه وانصب له، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها عند الطبري أنه قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

واستدلوا أيضا بقول النبي لمعاذ: " يا معاذُ واللهِ إني لأُحِبك واللهِ إني لأُحِبك فَقَالَ أوصِيك يا معاذُ لَا تدعن فِي دبر كُل صلَاةٍ تقُولُ اللهم أَعِني على ذِكْرِك وشكْرِك وحسن عِبادتِك " [1]

واستدلوا أيضا بما أخرجه مسلم من حديث على أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم قال: **" اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت .....** [2]

ثم **ذكر جملة من الأدلة التي تقوي قول القائلين باستحباب الدعاء بعد الصلاة.**

ونقل قول النووي وابن قدامة في استحباب هذا الدعاء.

وقال: ويظهر لي أنه – يعني النووي – أراد اتفاق الشافعية أي على استحباب الدعاء بعد الصلاة.

وقال: وتوسط قوم فقالوا: يشرع الدعاء لكن بعدد الذكر الوارد عن النبي ﷺ يعني بعد الصلاة يذكر الله ثم بعد الذكر يأتي بالدعاء ، ومال إلى هذا القول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد.

وهل هذا الدعاء جماعي؟

لم يرد أنه جماعي، بل يدعو كل شخص بما تيسر له.

1- أبو داود (١٣٠١) والنسائي(١٢٨٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٧٩٦٩).

2- مسلم(١٢٩٠)

[٧]نصف الليل والثلث الأخير :

عن جابِرٍرضي الله عنه قَالَ سمِعت النبِي ﷺ يقُولُ:"**إن فِي اللَيل لَساعةً لَا يوافِقُهـا رجلٌ مسلِم يسأَلُ الله خيرا مِن أمرِ الدنيا والْآخِرةِ إِلا أعطَاه إِياه، وذَلك كُـل لَيلَةٍ** "(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : " **ينزِلُ ربنا تبارك وتعالَى كُل لَيلَةٍ إِلَى السماءِ الدنيا(٢) حِين يبقَى ثُلُثُ اللَيل الْآخِر يقُولُ: من يدعونِي فَأَستجِيب لَـه، من يسأَلُنِي فَأُعطِيه، من يستغفِرنِي فَأَغْفِر لَه** "(٣)

[٨] بين **الأذان والإقامة:**

فعن أَنسِ ابنِ مالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**الدعاءُ لَا يـرد بـين الْأَذَان والْإِقَامةِ**"(٤)

[٩] في **السجود:**

عن أَبِي هريرةرضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ:"**أَقْرب ما يكُونُ الْعبد مِن ربـهِ وهو ساجِد فَأَكْثِروا الدعاءَ**"(٥)

1- مسلم (١٢٥٩)

2- نحن نثبت صفة النزول على الوجه اللائق بالله سبحانه، كما نثبت سائر الصفات ، ونقول: ينـزل ولا يخلو منه عرشه؛ لأن نزوله ليس كنزولنا؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

3- البخاري (٦٩٤٠) ومسلم (١٢٦١) .

4- النسائي(١٢٨٦) وأبو داود (١٣٠١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٥٣٤) .

5- مسلم (٧٤٤) .

صور ومقدمات الدعاء:

من المستحب أن يسبق الدعاء بحمد الله والثناء عليه وتمجيده ونحـو ذلـك والصلاة على النبيﷺ ثم يدعو الداعي بما يريد.

فعن فَضالَةَ بن عبيدٍ ﷺ صاحِب رسول اللهِ ﷺ يقُولُ: سمِع رسولُ اللـهِ ﷺ رجلًا يدعو فِي صلاتِهِ لم يمجِدِ الله تعالى، ولم يصل على النبي فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :**"عجِلَ هذَا ثُم دعاه فَقَالَ له أو لِغيرِهِ: إِذَا صلى أحدكُم فَلْيبدأ بِتمجِيدِ ربهِ جل وعز والثناءِ عليهِ، ثُم يصلي على النبِي ﷺ ثُم يدعو بعد بِما شاءَ"** (1)

وتارة يكون مسبوقاً بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته كما قال موسى ﷺ : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص:٢٤]

وتارة يكون بلا مقدمات فعن عبدِ اللهِ عنِ النبِي ﷺ أنه كَانَ يقُولُ: **"اللهم إِني أسألُك الْهدى والتقى والْعفَاف والْغِنى"**(2)

ومن حسن الأدب مع الله في الدعاء أن لا نتوسل بأحد إلا به سـبحانه وتعالى حتى ولو كانوا الأنبياء بما فيهم النبي محمد ﷺ:

كما قال شيخ الإسلام: أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعتـه والـصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك، مما هو من أفعاله، وأفعال العباد المأمور

1- الترمذي (٣٣٩٩) وأبو داود (١٢٦٦) وأحمد (٢٢٨١١)، وصححه الشيخ الألباني فـي صـفة صلاة النبي صـ ـ ٩٩٠، دار المعارف بالرياض، ومعنى إذا صلى أحدكم أي: إذا دعا .

2- مسلم (٤٨٩٨) .

بها في حقه، فهو مشروع باتفاق المسلمين، وكان الـصحابة (رضـي الله عنـهم) يتوسلون به في حياته، وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسلون به [1] .

قلت – محمد: فلو كان التوسل بالنبي ﷺ بعد موته جائزاً فلم ترك الـصحابة التوسل به وتوسلوا بالعباس؟ [2]،ولا يجوز التوسل بقبر غيره من باب أولى.

قال بعض العلماء: والصواب في هذه النقطة أن يقول المتوسل: اللـهم إني أدعوك وأتوسل إليك بإيماني بنبيك ومحبتي واتباعي لسنته؛ لأنـه توسـل بالعمـل الصالح[3]، واتباع السنة من أعظم الأعمال الصالحة.

من الذين يستجيب الله دعائهم:

[١] **المضطر:** لقوله تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[النمل:٦٢]

[٢] **المظلوم مطلقاً،** ولو كان فاجراً كافراً :

لقولهﷺ لمعاذٍ لما بعثه إلى اليمن "**واتق دعوةَ المظلومِ؛ فإنه ليس بينها وبين اللهِ حِجاب**"[4]

[٣] **الوالد على ولده،** وذلك للحديث الآتي

[٤] **دعوة المسافر** ؛ لقوله ﷺ :"**ثلاثُ دعواتٍ مستجابات لا شك فِيهن دعـوةُ المظلومِ ودعوةُ المسافِرِ ودعوةُ الوالِدِ على ولَدِهِ**"[5]

1- الفتاوى(٤٢٢/٢) .

2- البخاري (٩٥٤) ،(٣٤٣٤) .

3- كما في قصة الثلاثة الذين آوى بهم المبيت في صحرة فانسدت عليهم..فتوسلوا بعملهم..، والحديث في الصحيحين، وهو مذكور بتمامه في خطبة مأساة العقوق من هذا الكتاب.

4- البخاري (٢٢٦٨) ومسلم (٢٧) .

5- أبو داوود (١٣١٣) والترمذي (١٨٢٨) وابن ماجه (٣٨٥٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠).

[٥] **المسلم ما** لم **يدع بإ**ثم أو قطيعة رحم، وسبق الحديث في ذلك.

[٦] **الولد البار بوالديه**: لحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت في غار، فتوسل أحدهم ودعا الله ببره بوالديه [١]

[٧] **المسلم لأخيه بظهر الغيب** (أي لا يرى دعائه أحد إلا الله)

لقوله ﷺ:"**ما مِن عبدٍ مسلِمٍ يدعو لِأخِيهِ بِظهرِ الغيبِ إلا قالَ الملَكُ ولَك بِمِثلٍ**"[٢]

مسألة رفع الأيدي في **الدعاء :**

وهل ترفع الأيدي في **الدعاء أو لا ترفع؟**

الخطب في هذا يسير، والحقيقة أنه لم يرد نص أن النبي ﷺكان يرفع يديه بالدعاء دوماً بعد الصلوات، فهذا الذي يصار إليه، لكن إن رفع شخص أحياناً فلا بأس؛ لأن النبي ﷺ ذكر في أبواب الدعاء: **(الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء)** [٣]، وصح بعضهم حديث: "**إن الله تعالى حيي كريم ، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين**" [٤] ، فمن آداب الدعاء مد اليد إلى السماء ، وفيه رفع اليدين، فهذه أدلة القائلين باستحباب الدعاء دبر الصلوات، والله أعلم.

1- البخاري(٣٢٦١) ومسلم (٤٩٢٦)، وانظر تفصيل ذلك في خطبة(مأساة العقوق) من هذا الكتاب.

2- مسلم (٤٩١٢) .

3- سبق تخريجه، وهو صحيح .

الخطبة الحادية عشرة: طيب الكلم في صلة الرحم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

إخوة الإيمان :

ما هي صلة الرحم لغة واصطلاحا ؟

لغة: قال ابن منظور في لسان العرب في مادة وصل قال: وصلت الشيء وصلاً وصِلةً ، والوصل ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم.

اصطلاحاً: قال النووي: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حـال الواصل والموصول، فتارةً تكون بالمال، وتارةً بالخدمـة، وتـارةً بالزيـارة والسلام، وغير ذلك.

ما أنواع الرحم و ما هي حدود الرحم التي توصل؟:

قال القرطبي (رحمه الله) : والرحم التي توصل عامة وخاصة، والمراد بالعامة رحم الدين وهم إخوانك في هذا الدين العظيم وإن لم يكن بينك وبينـهم قرابـة، وتجب مواصلة هذه القرابة بالتوادد والنصح والعدل والإنصاف والقيـام بـالحقوق الواجبة والمستحبة.

والرحم الخاصة فتزيد - أي تزيد على الرحم العامة- النفقة على القريـب وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك، فيقدم الأقرب فالأقرب [1]

قال ابن حجر في **الفتح**: **الرحم تطلق على الأقارب، وهم من بينه وبـين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا سواء كان ذا محرم أم لا .**

كما جاء عند أحمد عن لْمِقْدامِ بنِ معدِ يكرِب ﷺ أن رسـولَ اللـهِ ﷺ قَالَ: "**إِن الله يوصِيكُم بِأمهاتِكُم ثَلاثًا، إِن الله يوصِـيكُم بِآبـائِكُم، إِن اللـه يوصِيكُم بِالأقْربِ فَالأقْربِ**"[2]

وروى أحمد في مسنده أنهﷺ قال: " **أمك وأباك، وأختك وأخـاك، ثُـم أدناك فَأدناك**"[1]

---

1 - فتح الباري (٤٣٢/١٠) .

2 - ابن ماجه(٣٦٥١) أحمد (١٦٥٥٤) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٦٦) .

يعني: ابدأ في البر بالأم والأب ثم من يليهم، وهكذا بالأقرب فالأقرب .

هل أصهار الأب والعم والخال وأقارب الزوج من الأرحام فيجب وصلهم ؟

الجواب: الأصهار هم قرابة النكاح أي القرابة التي نتجت عن النكاح، تـستحب صلتهم وإن كانوا ليسوا من الأرحام.

قال النبي ﷺ :"**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه**"[٢]

حكم صلة الرحم ودرجاتها:

قال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتـها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام.

ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة: فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ، ولو قصر عما يقـدر عليـه وينبغي له لا يسمى واصلاً [٣].

ترغيب الإسلام في صلة الرحم:

إن صلة الرحم خلق إيماني يدعو إليه الإيمان بالله ورسـوله ،قـال تعـالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد :٢١]

---

1 - أبو داود (٤٤٧٤)والنسائي(٢٤٨٥)وأحمد(٦٨٠٨)،وصححه الشيخ الألباني في الإرواء(٢١٧١)

2 - مسلم (٦٦٧٧) .

3 - موسوعة نضرة النعيم (٢٦١٥/٧) .

ولقد أكد الله على صلة الرحم وأمر بها في مواضع كثيرة من كتابه الكـريم فقـال تعـالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء:٢٦]

وقال تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الروم :٣٨]

وجعل الله صلة الرحم بعد التقوى من الله تعالى فقـال : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء :١] أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها

بل لقد أخذت العهود والمواثيق على الأمم من قبلنا لرعاية هذا الحق وأدائـه ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[البقرة:٨٣]

فوائد صلة الرحم:

[١]البركة في العمر وسعة الرزق:

كما ورد في الصحيحين من حديث أنسِ بنِ مالِكٍ ﷺ قَالَ: سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:" **من سره أنْ يبسطَ له في رزقِهِ أو ينسأ لـه فِـي أثـرِه فلْيـصِلْ رحِمه**"(١)

الجمع بين الحديث السابق وقولـه تعـالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف:٣٤] يكون كالآتي:

1 - البخاري (٥٥٢٦) ومسلم(٤٦٣٩).

(أ) أن الزيادة كناية عن البركة في **العمر**، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة.

(ب) إن الزيادة على حقيقتها،وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما ما دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى،كأن يقال مثلا للملـك: إن فلانـا عمره مائة سنة إن وصل رحمه، وستون إذا قطعها، وقد سبق في علم الله أنـه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يزاد فيه ولا ينقص، والذي يتغير فقط هو الذي عند الملك وهو المشار إليه بقوله تعالى:﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملـك ، أمـا الذي في علم الله فلا يتقدم ولا يتأخر.

(ج) أن واصل الرحم تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده:

كما في الصحيحين من حديث أبي أيوبﷺ أن أعرابيا عرض لرسـول الله ﷺ وهو في سفَرٍ فَأخذَ بِخِطَامِ ناقَتِهِ أو بِزِمامِها ثُم قَالَ: يا رسولَ اللهِ أو يا محمد أخبِرنِي بِما يقَربِني مِن الْجنةِ وما يباعِدنِي مِن النارِ؟ قَالَ: فَكَف النبِي ﷺ ثُم نظَر فِي أصحابِهِ ثُم قَالَ:**"لَقَد وفق أو لَقَد هدِي".** قَالَ: كَيف قُلْت: قَالَ: فَأعاد فَقَالَ النبِي ﷺ: **"تعبد الله لَا تشرِك بِهِ شيئًا، وتقِيم الصلَاةَ، وتؤتِي الزكَاةَ، وتصِلُ الرحِم"**[1]

[٢] أن الله تعالى يكون مع الواصل ولا يخزيه أبدا:

فعندما نزل الوحي عليه ﷺ دخل على خديجة (رضي الله عنها) فقال لهـا "زملوني زمِّلوني "وأخبرها بخبر الوحي وقال لها **"لقد خشيت على نفْسِي** "فقالت له

1 - البخاري(٥٥٣٤) ومسلم (١٤).

كلا واللهِ ما يخْزيك اللهُ أبداً؛ إنك لتصلُ الرحم وتحملُ الكلَ وتكـسِب المعـدوم وتقري الضيف وتعين على نوائبِ الحق"[1].

[٣] يضاعف للمؤمن أجر الصدقة إذا كانت على القريب:

كما ورد عن سلمان ﷺ أنه ﷺ قال: "**الصدقةُ على الْمِـسكِين صـدقةٌ، وهِي على ذِي الرحِمِ ثِنتان صدقةٌ وصِلةٌ**"[2].

وأخرج الطبرانيعن حكِيمِ بن حِزامٍ، قَالَ: قِيلَ: يا رسولَ اللهِ، أي الصدقةِ أفْضلُ؟ قَالَ: **"الصدقةُ على ذِي الرحِمِ الْكاشِح"**[3]. أي: المبغض المضمر العداوة. يا له من بيان وتوجيه رفيع في غاية الرفعة عن النبي ﷺ حتى إنه ﷺ ليجعل أفـضل الصدقة على القريب الذي يضمر لك العداوة والبغضاء القريب الـذي لا يـشكر لأحد إحساناً ولا يعرف لأحد معروفاً ، أراد النبي ﷺ في هذا الحديث أن يوجـه المسلم إلى أن لا يريد في جميع أعماله إلا رضى الله تعالى فحسب وأن لا يلتفت إلى إرادة الجزاء من العباد بل عليه أن يرغب في الثواب من رب العباد لأنه الأكرم وهو الأوسع فضلاً سبحانه.

---

1 - البخاري(٣) ومسلم (٢٣١) .

و معنى قولها (وتحمل الكل) أي تعين الفقير العاجز الذي يحتاج من يعوله ، و(وتكسب المعدوم) أي المفلس أو الفقير ،و(نوائب الحق) أي مصائبه.

2 - الترمذي (٥٩٤) والنسائي (٢٥٣٥) وابن ماجه (١٨٣٤) وأحمد (١٥٦٣٥) كلهم عن سلمان بـن عامر، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٨٩٢) .

3 - المعجم الكبير (٣٠٥٥) والسنن الكبرى (١٣٦٠٣) وصحيح ابن خزيمة (٣٨٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٨٩٤) .

ليس الواصل بالمكافيء:

ليست صلة الرحم بتبادل المنافع ، إن وصلك رحمك وصلته، وإن نأى عنك وابتعد نأيت عنه ليست الصلة على هذه الصفة ، فتلك مكافأة للبعض ، ولكن أمر الصلة فوق هذا كله ، كما عند البخاري من حديث عبدالله بن عمرو (رضـي الله عنهما) قال : قَالَ رسول الله ﷺ : " **لَيس الْواصِلُ بِالْمكَافِئ، ولَكِن الْواصِلُ الذِي إِذَا قُطِعت رحِمه وصلَها** "[1]

قال الحافظ (رحمه الله) في **الفتح**: هم ثلاث درجات: مواصل ومكـافيء وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافيء الذي لا يزيد في الإعطـاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل. [2]

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قَـالَ: يـا رسولَ اللهِ ﷺ إِن لِي قَرابةً أَصِلُهم ويقْطَعونِي، وأُحسِن إِلَيهِم ويسِيئُونَ إِلَي، وأَحلُم عنهم ويجهلُونَ علَي فَقَالَ: " **لَئِن كُنت كَما قُلْت فَكَأَنما تسِفهم الْمل، ولَا يزالُ معك مِن اللهِ ظَهِير علَيهِم ما دمت علَى ذَلِك**"[3]

وصدق من قال:

وإن الذي بيني وبين بني أبـ ـي	وبين بني عمي لمختلف جـداً
إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم	قدحت لهم في كل مكرمة زنداً
وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهـم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وأعطيهم مالي إذا كنت واجداً	وإن قل مالي لم أكلفهم رفـ ـدا

1 - البخاري (٥٥٢٢).

2 - فتح الباري (٤٣٧/١٠) .

3 - مسلم (٤٦٤٠) والمل: الرماد الحار، والظهير: المعين والناصر.

الوعيد الشديد لمن قطع رحمه:

لقد حذر الله تحذيراً شديداً من قطع الرحم فقال سبحانه:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد:٢٢، ٢٣]

قال القرطبي: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي طردهم وأبعدهم من رحمته، فأصمهم عن الحق وأعمى قلوبهم عن الخير(١).

ولذا فقد ورد عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لميمون بن مهران: لا تصاحب قاطع رحم؛ فإن الله عزوجل لعنه في آيتين من كتابه:

الأولى: آية الرعد قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد:٢٥]

والثانية:آية محمد : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[محمد:٢٢، ٢٣] (٢)

وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أنْ أصِلَ من وصلكِ، وأقْطع من قطعكِ؟ قالت: بلى يا رب**

1 - الجامع لأحكام القرآن (١٩١/٩) بتصرف بسيط .

2 - انظر التعليق على هذه الآية في تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب عند الكلام عن الشفاعة.

قَالَ: فهو لكِ قال رسولُ اللهﷺ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾" [1]

وعن أبي أُبي هريرة ﷺ عنِ النبي ﷺ قَالَ: "**إن الرحِم شجنةٌ مِن الرحمن فَقَالَ الله من وصلكِ وصلْته ومن قَطَعكِ قَطَعته**"[2]

وعن جبير بن مطعم ﷺ قال :قال ﷺ :"**لا يدخلُ الجنةَ قاطِع**"[3]

وجوب صلة الرحم ولو كانت كافرة:

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٩]

وعن عمرِو بنِ الْعاص ﷺ قَالَ سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ جِهارا غَيـر سِـر يقُولُ:" **أَلَا إِن آلَ أَبِي يعنِي قُلَانا لَيسوا لِي بِأَولِيَاءَ، إِنما ولِيـي اللـه وصـالِح الْمؤمِنِين** " [4]

وعند البخاري زيادة معلقة، وقد وصلها غيره وفيها :"**ولكن لهم رحم أبلها ببلاها**" [5]يعني: **أصلها بصلتها** [1].

---

1 - البخاري (٥٥٢٨) ومسلم (٤٦٣٤) والوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه كما قال ابن حجر في شرحه للحديث .

2 - البخاري (٥٥٢٩) ومعنى شُجنة: هي عروق الشجر المشتبكة، والمراد أن الله اشتق لها اسماً من اسمه.

3 - البخاري (٥٥٢٥) ومسلم (٤٦٣٦)

4 - البخاري (٥٥٣١) ومسلم (٣١٦) .

5 -انظر هذه الزيادة في نفس الحديث السابق .

عن أسماءَ قَالَت: قَدِمت أُمي وهِي مشرِكَةٌ فِي عهدِ قُـريشٍ ومـدتِهم إِذْ عاهدوا النبِي ﷺ مع ابنِها، فَاستفْتيت النبِي ﷺ فَقُلْت: إِن أُمي قَدِمت وهِي راغِبـةٌ أَفَأَصِلُها قَالَ: "**نعم صِلِي أُمك** " [٢]

كيفية صلة الرحم:

صلة الرحم والإحسان للأقربين طرقها ميسرة، وأبوابها متعددة:

فمن بشاشته عند اللقاء ، ولينه في المعاملة ، إلى طيب في القول ، زيـارات وصلات ، مشاركة في الأفراح ، مواساة في الأتراح ، إحسان إلى المحتاج ، بـذل للمعروف ، نصحهم ، النصح لهم ، مساندة مكروبهم ، عيادة مريضهم ، الـصفح عن عثراتهم ، أي : لا يكن أهلك أشقى الخلق بك.

قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبـدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء [٣]

قال ابن حجر: والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة [٤].

ماذا يفعل الإنسان مع ذي الرحم الفاجر أو من تضرك صلته؟

قال ابن حجر في الفتح :فإن كانوا ـ أي: ذوو الرحم – كفاراً أو فجـاراً فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا

---

1 - **شبهت الرحم بالجلدة اليابسة إذا رشت بالماء لانت ،كذلك الـرحم إذا واصـلتهم لانـوا معـك وأطاعوك كما أن الجلد يلين وتعتريه الطراوة إذا بلّ بالماء.**

2 - البخاري (٣٤٢٧) ومسلم (١٦١٧).ومعنى راغبة أي عن الإسلام.

3 - فتح الباري(٤١٨/١٠)

4 - السابق نفس الصفحة

أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى[1].

قال ابن بطال: إن الرحم المأمور بها والمتوعد على قطعها هي التي شرع لها بذلك، أما من أمر بقطعه من أجل الدين فيستثنى من ذلك الوعيد ؛لأنه أمر من أمر الله بقطعه ،

ثم **قال**: لكن لو وصل بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً كما دعا النبي ﷺ لقريش بعد أن كذبوه فدعا عليهم بالقحط، ثم استشفعوا به فرق لهم لما سألوه برحمهم ودعا لهم [2].

قلت (محمد) : وقد أمر الله ورسولهﷺ بهجر أصحاب المعاصي، كما ورد أن النبي ﷺ هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأمر الصحابة بهجرانهم .

ربم تتحقق القطيعة أو يقال على الشخص: إنه قاطع ؟

اختلف العلماء في ذلك، وجاء في موسوعة نضرة النعيم: تكون القطيعة بأن يعق الإنسان أولي رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببره ولا يمدهم بإحسانه، ويختلف ذلك بحسب حال القاطع والمقطوع، فتارةً يكون ذلك بمنع المال، وتارةً بحجب الخدمة والزيارة والسلام، وغير ذلك [3].

1 - السابق (٤٣٢/١٠)

2 - موسوعة نضرة النعيم في أخلاق النبي الكريم (٥٣٣٧/١١) .

3 - السابق(٥٣٣٠/١١) .

أقل ما يجزئ في **الصلة:**

أقلها السلام لقوله: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام"[1]

بلوا : أي ندوها بصلتها وهم يطلقون النداوة على الصلة، كما يطلقون اليبس على القطيعة.

بعض المسائل الخاصة بصلة الرحم [2]:

المسألة الأولى: في **كم من الأيام يلزم الواحد زيارة أرحامه ؟**

لا حد لأقل مدة يصل المرء فيها رحمه، بل مرد ذلك إلى العرف السائد، ويختلف ذلك من شخص لآخر حسب فراغه وشغله.

وأقل ما ينبغي أن يكون من صلتهم إلقاء السلام عليهم لقوله ﷺ :"**بلوا أرحامكم ولو بالسلام** " [3]

المسألة الثانية: ما هي الآداب التي يجب أن تراعى في **صلة الرحم ؟**

لصلة الرحم آداب، وإن الخلل فيها يؤدي إلى قطيعة الرحم، ومنها:

(١) عدم إملال الأقارب بكثرة الزيارات، إلا إذا علمت سرورهم بالإكثار من الزيارة .

---

1 - حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (١٧٧٧)

2 - هذه المسائل من كتاب " تذكير الأنام بصلة الأرحام" لأبي يحيى محمد بن عبده، باختصار بسيط، دار الصفا والمروة بالإسكندرية.

3 - سبق تخريجه، ومعنى بلوا أرحامكم: اندوها بما يجب أن تندى به، وواصلوها بما ينبغي أن توصل كما قال المناوي في الفيض

وذلك لقوله ﷺ: "**زر غباً تزد حباً** "[1]

ويجب أن يراعى في صلة الأرحـام أوقـات مـشاغل النـاس وفـراغهم واستعدادهم لاستقبال الزائر، فلا تزر القريب في وقت نومه أو مذاكرته أو عملـه؛ لئلا تشغله عما هو مطلوب منه.

(٢) إذا صنعت للأرحام شيئاً فليكن لله خالصا،

فلا تمنن عليهم به، فقد قال تعـالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾[البقرة : ٢٦٤]

فمنك عليهم فضلًا عن أنه محرم، فإنه غالبا يكون سبباً للقطيعة بينكما.

(٣) إذا اعتذر إليك بعض أرحامك فاقبل العذر منه، وتجاوز عن زلته، واسـتغفر لسيئهم، ودع السرائر إلى الله ،

عن الحسن بن علي قال: لو أن رجلا شتمني في أذني هـذه واعتـذر إلي في أذني الأخرى لقبلت عذره"

وأخرج ابن حبان في ((روضة العقلاء))عن أبي قلابه قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرا فقل: لعل له عذراً لا أعلمه .

(٤) اجعل زيارتك لأقربائك قربة إلى الله تعالى:

فلا تكن جلستك غيبة ونميمة وأكل لحوم إخوانك، بل كن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مشيراً لما فيه مصلحة، معينا لأقاربك على أمور دنياهم وأخراهم . وهكذا

1 - حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٨٥) .

المسالة الثالثة: هل يجزئ وصل الرحم بالهاتف إذا كان الإنسان مشغولاً ؟

نعم يجزئ ذلك، ومن وصل أرحامه بالهاتف سمي واصلاً ، وقد سـلف أن أقل ما توصل به الرحم " إلقاء السلام "

المسألة الرابعة: هل تلزم الهدية في الزيارة؟

لا يلزم ذلك، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغـابن: ١٦)، المهـم أن تفعل ما في وسعك فقط .

وفي الختام :

اعلم أخي الحبيب : أن ذوي الرحم غير معصومين ، فقد يتعرضون للزلل ، ويقعون في الخلل ، وتصدر منهم الهفوة ، ويقعون في الكبيرة ، فإن بدر منهم شيء من ذلك فالزم جانب العفو معهم ، فإن العفو شيم المحسنين ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وقابل إساءتهم بالإحسان ، واقبل عذرهم إذا أخطأوا ، لقد فعل إخـوة يوسف ما فعلوا ، وعندما اعتذروا قبل عذرهم ، وصفح عنهم الصفح الجميل ، ولم يوبخهم ، بل دعا لهم وسأل الله المغفرة لهم ، ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف: ٩٢] .

فيا أخي الحبيب : غض عن الهفوات ، واعف عن الزلات ، وأقل العثرات، تجن الود والإخاء واللين والصفاء ، وتتحقق فيك الشهامة والوفاء ، داوم على صلة الرحم ولو قطعوا ، وبادر بالمغفرة وإن أخطأوا ، ودع عنك محاسبة الأقربين ، ولا تجعل عتابك لهم في قطع رحمك منهم ، وكن جواد النفس كريم العطاء.

الخطبة الثانية عشرة: مأساة العقوق.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ.

مقدمة:

إن للوالدين حقاً عظيماً، وفضلاً بعد فضل الله جليلاً كريماً

فإذا ذكرتهما ذكرت البر والإحسان

وإذا ذكرتهما أسعفتك بالدموع العينان

مضت أيامهما وانقضى شبابهما وبدا لك مشيبهما.

وقفا على عتبة الدنيا، وهما ينتظران منك قلباً رقيقاً وبراً عظيماً .

فالجنة لمن برهما، والنار لمن عقهما.

فطوبى لمن أحسن إليهما ولم يسيء لهما.

طوبى لمن أكرمهما ولم يهنهما.

طوبى لمن نظر إليهما نظرة رحمة وود وإحسان.

وتذكر ما كان منهما من بر وعطف وحنان.

تأمل صغرك وضعفك حال طفولتك، تذكر معاناة أمك منك،

وذلك حينما جعلت بطنها لك وعاءً ، ودمها لك غذاءً.

تأمل حملها لك في بطنها تسعة أشهر تحمل معها الآلام والزفرات.

فكل شيء لديها يهون إذا رأتك صحيحاً سليماً.

ووالله إنها لترى الموت بعينها، وتذوق من الآلام ما يود المرء أن يكون معه نسياً منسياً، ولكنها بعاطفتها الجياشة آثرت صحتك على صحتها، ونجاتك بهلاكها.

إنها عند رؤيتك تنسى جميع الهموم والآلام، وتعلق عليك بعد الله كل الآمال.

واقع مرير:

ومع ذلك كله نعيش زماناً عظمت غربته، واشتدت كربته، فلم يرحم الأبناء دموع الآباء، ولم يرحم البنات شفقة الأمهات.

فنرى على صفحات جرائدنا اليومية ولداً يقتل أباه وآخر يضرب أمه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذا ولد يضع أمه في دار المسنين ولم يزرها حتى تردت حالتها، فطلبت من مسؤول الدار أن يتصل؛ كي تراه وتقبله قبل أن تموت وتفـارق الـدنيا فاتـصل بولدها، فسبقتها دموعها قبل أن تسمع جواب ولدها بالرفض والاعتـذار بـضيق الوقت وكثرة الأعمال والأشغال،

فلما توفيت الأم اتصلوا به ليخبروه فقال: أكملـوا إجـراءتكم الرسميـة، وادفنوها في قبرها لأني مشغول ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا آخر كانت تعيش أمه معه في البيت فلما ضجر منها أخذها ذات يوم معه في السيارة وذهب بها إلى شاطيء البحر، ووضعها هنالك،وقال لها بأنه سـيأتي بعد فترة وجيزة، وأعطاها ورقة صغيرة وقال لها: انتظري حـتى آتيـك. فظلـت المسكينة تمنى نفسها برجوع فلذة كبدها.

وظلت تنتظره حتى جناها الظلام وأرخى عليها الليل سدوله، وهي وحيدة ليس لها أحد، وأخذ الناس يرحلون عن ذلك المكان، فجاءها رجل وقد اسـتغرب بقاءها وحدها في هذا المكان، فسألها عن شأنها وعن جلوسـها في هـذا المكـان وحدها؟ .

فقالت له القصة وقرأ الورقة فإذا فيها: يرجى ممن يقرأ هذه الورقة أخذ هذه العجوز إلى دار العجزة.

نعوذ بالله من العقوق والحرمان

ما هو جزاء العقوق ؟

(١) عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أَبِي بكْرةَ ﷺ عن أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" **أَلا أُنبئُكُم بِأَكْبرِ الْكَبائِرِ؟**" قُلْنا: بلَى يا رسولَ اللهِ. **قَالَ: "الْإِشْراكُ بِاللهِ، وعقُوق الْوالِدين،** وكَانَ متكِئًا فَجلَس فَقَالَ: **"أَلا وقَولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ، أَلا وقَولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ**"، فَما زالَ يقُولُها حتى قُلْت: لَا يسكت" [1]

(٢)وخاصة عقوق الأم:

إن العقوق في الجملة من الكبائر، ولكن خص الله الأم؛ لتعبـها وتحملـها، فعقوق الأم أشد إثما؛ وذلك لأن الأم ضعيفة، وأذى الضعفاء إثمه شديد وعقوبتـه أغلظ، فكما في الصحيحين من حديث الْمغِيرةِ بنِ شعبةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النبِـي ﷺ:" **إِن الله حرم علَيكُم عقُوق الْأُمهاتِ، ووأْد الْبناتِ، ومنع وهاتٍ، وكَره لَكُم قِيلَ وقَالَ، وكَثْرةَ السؤالِ، وإِضاعةَ الْمالِ**" [2].

(٣)العقوق لا يقبل معه أي عمل:

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ثلاثة لا يقبل الله عز وجـل منهم صرفا ولا عدلا: عاق، و منان، ومكذب بقدر**"[3].

1- البخاري (٥٦٣٩) ، مسلم (١٥١)

2- البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٥٩٣)، ومعنى(ومنَع وهاتٍ) أنه نهى أن يمنع الرجل ما توجه عليـه من الحقوق أو يطلب ما لا يستحقه.

3- صحيح الترغيب والترهيب (٢٥١٣)

(٤)العاق ملعون:

كما في الأدب المفرد من حديث علي ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: **"لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من سرق منار الأرض، لعن الله من لعن والديه. لعـن الله من آوى[1] محدثا" [2].**

(٥)الجزاء من جنس العمل:

قال الأصمعي: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستسقي بدلو لا تطيقه الإبـل في الهاجرة والحر شديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قد [3] ملوي يضربه به.

فقلت: أما تتقي الله في هذا الضعيف؟!

فقال :إنه مع هذا أبي.

فقلت: فلا جزاك الله خيراً .

فقال: اسكت فهكذا كان يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده [4].

ويسرد لنا الشيخ محمد بن حسان (حفظه الله) : أن ابنا من الأبناء يكـبر والده ، فتشمئز زوجته من والد زوجها، وتقول لزوجها: جنب والدك؛ فإن الأبناء يشمئزون منه، ففعل الولد.

1- ومعنى آوى محدثاً أي نصر صاحب بدعة أو أعانه؛ لأن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وخير الهدي هدي محمد. وقال الإمام مالك: من ابتدع بدعة وظن أنها حسنة فقد اتهم أبا القاسم بخيانة الأمانة .

2- الأدب المفرد (١٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/صـ٨)

3- القد : السوط ، وهو في الأصل سير يقد أي يقطع من جلد مدبوغ .

4- انظر موسوعة نضرة النعيم (٥٠١٩/١٠) والرشاء هو الحبل.

فقال له ابن له صغير – وهو يحب جده – لما تصنع ذلك بجدي يا أبي؟

قال: حتى لا تشمئزوا منه.

فبكى الولد الصغير والتفت إلى والده وقال له: حسناً يا أبي سوف أصـنع بك ذلك حين أكبر كما صنعت بجدي.

وابن آخر يجر أباه بقدميه ورجليه يطرده خارج شقته، فبكى الوالد حينمـا وصل إلى الباب وقال للولد: إلى الباب فقط يا بني.

ثم بكى وقال: فوالله ما جررت أبي منذ كذا من السنين وأنا أطرده من بيتي، إلا إلى الباب فقط فاكتف بالباب فقط؛ فإنما هو دين أقضيه [1].

(٦) احذروا دعاء الوالدين:

عن النبيﷺ قال: "**كل الذنوبِ يؤخر اللهُ منها ما شاء إلى يومِ القيامـةِ، إلا البغى وعقوق الوالدين، أو قطيعةَ الرحمِ، يعجلُ لصاحِبها في الدنيا قبلَ الموتِ**" [2]

وعن أَبِي هريرة َ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**ثَلَاثُ دعواتٍ مستجابات لَا شك فِيهن: دعوةُ الْمظْلُومِ، ودعوةُ الْمسافِرِ، ودعوةُ الْوالِدِ على ولَدِهِ**" [3]

قصة مؤثرة عن دعاء الوالدين:

1- الحقوق الإسلامية (٥٦٣، ٥٦٤)، باختصار بسيط، دار: فياض .

2- الأدب المفرد باب البغـي (٥٩١)، وصـححه الـشيخ الألبـاني فـي صـحيح الأدب المفـرد (١/صـ٢٣٤) .

3- الترمذي (١٨٢٨) وأبو داوود (١٣١٣) وابن ماجه (٣٨٥٢) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٦٢) .

عن الحسن بن علي ﷺ قال: بينا أنا أطوف مع أبي حول البيـت في ليلـة ظلماء و قد رقدت العيون و هدأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفاً يهتـف بـصوت حزين شجي (يناجي الله عز و جل يدعو) وهو يقول:

يا من يجيب دعا المُضطر في الظُلَمِ

يا كاشف الضر و البلوى مع السقمِ

قد نام وفْدك حول البيت و انتبهوا

و أنت عينك يا قيوم لم تنـ ـ ـمِ

هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي

يا من إليه أشار الخلق في الحـرمِ

إن كان عفوك لا يدركه ذو سرفٍ

فمن يجود على العاصين بالكـرمِ

قال: فقال أبي: يا بني أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقـه فلعل أن تأتيني به، فخرجت أسعى حول البيت أطلبه فلم أجده حتى انتـهيت إلى المقام و إذا هو قائم يصلي، فقلت: أجب ابن عم رسـول الله -ﷺ- فـأوجز في صلاته و اتبعني، فأتيت أبي فقلت: هذا الرجل يا أبت، فقال له أبي: من الرجـل؟ قال: من العرب، قال: و ما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق، قال: و ما شأنك و مـا قصتك؟ قال: و ما قصة من أسلمته ذنوبه و أوبقته عيوبه فهـو مـرتطم في بحـر الخطايا، فقال له أبي على ذلك فاشرح لي خبرك. قال: كنت شاباً علـى اللـهو و الطرب لا أفيق عنه، و كان لي والد يعظني كثيراً و يقول: يا بني احـذر هفـوات الشباب و عثراته فإن لله سطوات و نقمات ما هي من الظالمين ببعيد، و كـان إذا

ألح علي بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلما كان يوماً من الأيام ألح علي بالموعظة فأوجعته ضرباً، فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبـة و يدعو علي ، فخرج (مسافراً) حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبـة و أنـشأ يقول:

يا من إليه أتى الحُجاج قد قطعوا ... عرض المَهامِه من قُربٍ و مـن بعدِ

إني أتيتك يا من لا يخيب من يد ... عوه مبتهلاً بالواحد الصمـ ـ ـدِ

هذا منازل لا يرتد عن عقَقِـي ... فخذ بحقي يا رحمن من ولـ ـدي

وشل منه بحولٍ منك جانبه يا من ... تقـدس لم يولَد و لم يلـ ـ ـدِ

قال: فوالله ما استتم كلامه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس (صار الولد مشلولاً شللاً نصفياً)، قال: فأُبت و رجعـت و لم أزل أترضاه و أخضع له و أسأله العفو عني إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الـذي دعا علي، قال: فحملته على ناقة عشراء و خرجت أقفو أثره حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من شجرة فنفرت الناقة (الناقة التي تحمل أباه) فرمت بـه بـين أحجار فرضخت رأسه فمات (هذا في الطريق قبل أن يصل إلى البيت الحرام) فدفنته هناك و أقبلت آيساً و أعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لا أعرف إلّـا بالعـأخوذ بعقوق والديه، فقال له أبي: أبشر فقد أتاك الغوث، فصلى ركعتين ثم أمره فكشف عن شِقِه بيده و دعا له مرات يرددهن فعاد صحيحاً كما كان، و قال له أبي: لولا أنه قد كان سِبقْت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لـك.

قال الحسن: و كان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين فإن في دعائهما النمـاء و الإنجبار و الإستئصال و البوار. [1]

(٧) شؤم العقوق (قصة مؤثرة):

عن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام إذ أعجبني كثـرة الحجاج والمعتمرين، فقلت: ليت شعري من المقبول منهم فأهنئه، ومن المردود منهم فأعزيه.

فلما كان الليل رأيت في منامي قائلاً يقول: مالك بن دينار يـسأل عـن الحجاج والمعتمرين؟ قد غفر الله لهم أجمعين، الصغير والكـبير، الـذكر والأنثـى، الأسود والأحمر، إلا رجلاً واحداً فإن الله تعالى عليه غضبان، وقد رد الله حجـه، وضرب به في وجهه.

قال مالك: فنمت بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل وخشيت أن أكون ذلك الرجل، فلما كانت الليلة الثانية، رأيت في منامي مثل ذلك، غير أنه قيل لي: ولست أنت ذلك الرجل، بل هو من خراسان من مدينة بلخ، يقال له: محمد بن هـارون البلخي.

فلما أصبحت أتيت قبائل خراسان، فقلت: أفيكم محمد بن هارون؟ قالوا: بخ بخ، تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد منه ولا أقرأ منه.

فعجبت من جميل ثناء الناس عليه وما رأيت في منامي. فقلت: أرشـدوني إليه. قالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يأوي إلا الخـراب، ونظنه في خرائب مكة.

1- طبقات الشافعية للسبكي(٣٢٨/٢)، دار هجر، تحقيق: محمود الطناحي

فجعلت أجول في الخرابات، فإذا هو قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى معلقـة في عنقه وقد شدها بقيدين عظيمين إلى قدميه، وهو راكع وساجد. فلما أحس بهمس قدمي، قال: من تكون؟ قلت: مالك بن دينار، قال: يا مالك ما جاء بـك إلي؟ إن كنت رأيت رؤيا فاقصصها علي. قال: أستحي أن أقولها. قال: بل قل.

فقصصتها عليه، فبكى طويلاً، وقال: كنت رجلاً أكثر شـرب المـسكر، فشربت يوماً عند خدن [1] لي حتى ثملت وزال عقلي، فأتيت منزلي فدخلت، فـإذا بأمي توقد تنوراً لنا، فلما رأتني أتمايل بسكري، أقبلت تطعمني، وتقول: هذا آخـر يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس صواماً، وتصبح سكران!! أمـا تستحي من الله؟ فرفعت يدي فلكزتها. فقالت: تعست. فغضبت لقولها وحملتـها بسكري ورميت بها في التنور فلما رأتني امرأتي، أدخلتني بيتاً وأغلقت علي.

فلما كان آخر الليل وذهب سكري، دعوت زوجتي لفتح الباب، فأجابتني بجواب فيه جفاء، فقلت: ويحك ما هذا الجفاء؟ قالت: تستأهل ألا أرحمك. قلـت: لم؟ قالت: قتلت أمك، رميت بها في التنور فاحترقت.

فخرجت إلى التنور فإذا هي كالرغيف المحروق. فخرجت وتصدقت بمالي، وأعتقت ، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار وأقوم الليل، وأحج كل سنة، ويـرى لي كل سنة عابد مثلك هذه الرؤيا.

فنفضت يدي في وجهه، وقلت: يا مشؤوم، كدت تحرق الأرض وما عليها بنارك، وغبت عنه بحيث أسمع حسه ولا أرى شخصه فرفع يديه إلى السماء، وقال:

1- أي : صاحب

يا فارج الهم وكاشف الغم، يجيب دعوة المضطرين، أعوذ برضاك من سـخطك، ومعافاتك من عقوبتك، لا تقطع رجائي، و لا تخيب دعائي.

فذهبت إلى منزلي ونمت، فرأيت في المنام قائلاً يقول: يا مالك لا تقنط الناس من رحمة الله. إن الله اطلع من الملأ الأعلى إلى محمد بن هارون فاستجاب دعوتـه، وأقال عثرته، عد إليه وقل له: إن الله يجمع الخلائق يوم القيامة، ويقتص للجماء من القرناء، ويجمع بينك وبين والدتك، فيحكم لها عليك، ويذيقك النـار، ثم يهبـك لأمك[1].

ما هو العقوق؟

هو صدور كل ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في إشراك أو في معصية ما لم يتعنت الوالد[2].

صور من العقوق المحرمة (بعض مظاهر العقوق):

قد يظن بعض الناس أن العقوق يتمثل في ضرب الوالدين أو شتمهما فقط، ولكن هناك صور عديدة من العقوق، نذكر منها ما استطعنا حتى نتجنبه:

(١) الغلظة معهما في القول والفعل:

قـــال تعـــالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣]

1- بر الوالدين لابن الجوزي، وذم المسكر لابن أبي الدنيا رقم (٦٠)دار: الراية بالرياض

2- موسوعة نضرة النعيم (٥٠١٢/١٠)

قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، فإن القـضاء ههنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد [وقضى] أي أمر ،(وبالوالدين إحـساناً) أي وأمـر بالوالدين إحساناً ، كقوله في الآية الأخرى ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾. وقوله:

﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ ﴾ أي لا تـسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف، الـذي هـو أدنى مراتـب القـول الـسيء ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، كما قال عطاء بن رباح في قوله: ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ أي: لا تنفض يدك عليهما، ولما نهاه عن القول القبـيح والفعـل القبيح، أمره بالقول والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ أي ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم، ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ أي تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ أي في كبرهما وعند وفاتهما [1]

(٢) أن يحزنهما :

وذلك لما ورد عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو (رضي الله عنهما) أن رجلًا أتى النبي ﷺ فَقَالَ: إني جِئْت أُبايِعك علَى الْهجرةِ ولَقَد تركْت أبوي يبكِيان قَالَ: **" ارجِـع إِليهما فَأضحِكْهما كَما أبكَيتهما" [٢]**

1- تفسير ابن كثير (٤٦/٣) باختصار.

2- النسائي (٤٠٩٣) وأبو داوود (٢١٦٦) وابن ماجه (٢٧٧٢)، وصححه الـشيخ الألبـاني فـي صحيح ابن ماجه (٢٧٨٢) .

(٣) أن يتبرأ منهما أو يتكبر عليهما :

وذلك لقوله ﷺ :"**ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجمعين، لا يقبلُ الله منه يوم القيامةِ صرفًا ولا عدلًا**" (١)

والوالد يشمل الـأب والأم وإن عليا .

(٤) أن يشتمهما أو يتسبب في شتمهما أو لعنهما :

فعن عبدِاللهِ بن عمرٍو (رضِي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رسـولُ ﷺ :"**إن مـن أكبر الكبائر أنْ يلعن الرجلُ والديه**" قِيلَ: يا رسولَ اللهِ وكيف يلْعـن الرجـلُ والديهِ؟ قَالَ: "**يسب الرجلُ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه** "(٢)

(٥) النظر بالشعر بالغضب:

فعن عروة ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شذراً؛ فإن أول ما يعرف من غضب المرء شـدة نظره إلى من غضب عليه.

وعن الحسن البصري (رحمه الله تعالى) قيل له: إلى ما ينتهي العقوق ؟

قال: أن يحرمهما ويهجرهما، ويحد النظر إليهما.

وعن عروة بن الزبير ﷺ قال: ما بر والده من شد الطرف إليه.

1- البخاري (٣٩٨٢) ومسلم (٢٤٣٣)

2- البخاري (٥٥١٦)

(٦) الأمر عليهما:

كمن يأمر والدته بكنس المنزل أو غسل الثياب أو إعداد الطعام، فهذا العمل لا يليق خصوصاً إذا كانت الأم عاجزة أو كبيرة أو مريضة .

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها، وهي نشطة غير عاجزة فـلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها والدعاء لهما.

(٧) انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة:

وهذا العمل فيه محذوران:

أحدهما: عيب الطاعم، وهذا لا يجوز؛ فرسول الله ﷺ ما عاب طعامـاً قـط، إن أعجبه أكل وإلا تركه .

والثاني: أن فيه قلة أدب مع الأم، وتكديرا عليهما .

(٨) ترك مساعدتهما في عمل المنزل:

سواء في الترتيب والتنظيم أو في إعداد الطعام أو غير ذلك .

بل إن بعض الأبناء – هداهم الله – يعد ذلك نقـصاً في حقـه وهـضماً لرجولته، وبعض البنات – هداهن الله – ترى أمها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل فلا تعينها .

بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاتها عبر الهاتف، تاركة أمها تعاني الأمرين.

(٩) الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا:

وذلك بترك الإصغاء إليهما أو المبادرة إلى مقاطعتـهما، أو تكذيبـهما أو مجادلتهما والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما – أي : الملاومة.

فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

(١٠) قلة الاعتداد برأيهما:

فبعض الناس لا يستشير والديه، ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه أو طلاقه أو خروجه من المنزل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائـه لمكان معين أو نحو ذلك.

(١١) ترك الاستئذان حال الدخول عليهما:

وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضي أن يراه أحد عليها.

(١٢) إثارة المشكلات أمامهما:

سواء مع الإخوان أو الزوجة أو الأولاد أو غيرهم .

فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد من أهل البيت على خطأ ما إلا أمـام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما، و يقض مضجعهما .

(١٣) ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما وذكر معايبهماوتشويه سمعتهما:

فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما – كأن يخفق في دراسته مثلاً – ألقـى بالائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه

أهملاه، ولم يرباه كما ينبغي فأفسدا عليه حياته، وحطما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب .

(١٤) إدخال المنكرات للمنزل ومزاولتها أمامهما:

كشرب الدخان أمامهما أو استماع آلات اللهو بحضرتهما، فهذا كله دليل على قلة الحياء معهما.

(١٥) إيثار الزوجة على الوالدين:

فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويؤثرهما عليهما، فلـو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى.

وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقـت نفسه يغلظ على والديه ولا يرعى حقهما.

(١٦) التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر:

فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

(١٧) التعدي عليهما بالضرب:

فقد نهى الله عن أقل كلمة تشعر بالتأفف والضجر من الوالدين، فما بالـك بما هو أعظم من هذا وهو الضرب، فهو من باب أولى في المنع، وهذا يسمى عنـد الأصوليين بالتنبيه بالأدنى على الأعلى .

(١٨) هجرهما وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:

وهذا خلل وخطل، فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير ؟!

لكن عليك بالرفق واللين في النصيحة، فما وجد الرفق في شيء إلا زانـه، وما نزع من شيء إلا شانه، وعليك أن لا تنصح على الملأ.

(١٩) البخل والتقتير عليهما:

فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة، وربما اشـتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما .

(٢٠) المنة وتعداد الأيادي على الوالدين:

فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلـك بـالمن والأذى وتعـداد الأيادي، وذكر ذلك بمناسبة وبدون مناسبة.

(٢١) السرقة من الوالدين:

وهذا الأمر جمع بين أمرين محذورين: السرقة والعقوق، ومن صور السرقة أن يخدع والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال .أو الأرض أو نحو ذلك، وقد يستدين منهما، وهو مبيت النية على ألا يسدد .

(٢٢) الأنين وإظهار التوجع أمامهما:

وهذا الأمر من أدس صور العقوق، ذلك أن الوالدين – وخصوصاً الأم – يقلقان لمصاب الولد، ويتألمان لألمه، بل ربما يتألمان أكثر منه.

(٢٣) التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك:

بعض الأبناء لا يدرك أثر بعده عن والديه؛ فتراه يسعى للغربة والبعد عـن الوالدين دون أن يستأذنهما، ودون أن يحتاج إلى الغربة؛ فربما ترك البلد الذي يقطن فيه والداه دون سبب، وربما تغرب للدراسة في بلد آخر مع أن تلك الدراسة ممكنة في البلد الذي يسكن فيه والداه، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تسوغ غربته.

ما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره؛ فيخسر بذلك برهما، والقيام عليهما.

أما إذا احتاج الابن إلى الغربة، واستأذن والديه فيها_فلا حرج عليه.

(٢٤) تمني **زوالهما:**

بعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهـه؛ كـي يتمادى في غيه وجهله.

(٢٥) المكث طويلاً خارج المنزل:

وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا خرج الولد خارج المنزل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.

(٢٦) الإثقال عليهما بكثرة الطلبات:

من الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونـان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يلح عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجـاه،

ويوفرا له مسكناً جديداً، أو بأن يطلب منهما مالاً كثيراً ؛ كي يـسساير زمـلاءه وأترابه.

(٢٧) التأفف، والتضجر من أوامرهما:

هذا مما أدبنا الله عز وجل بتركه؛ فكم من الناس من إذا أمر عليـه والـداه صدر كلامه بكلمة (أف) ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: ﴿لا تقُلْ لهمـا أُف﴾ (الإسراء:٢٣).

(٢٨) العبوس وتقطيب الجبين أمامهما[1]:

فبعض الناس تجده في المجالس بشوشاً، مبتسماً ، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثاً هصوراً لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله، وذهبت وداعتـه، وتولـت سماحتـه، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، يصدق على هذا قول القائل:

من الناس من يصل الأبعدين ويشقى به الأقرب الأقرب

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمـسلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد.

ما أبعد الخير عن عاق والديه، وما أقرب العقوبة منه، وما أسرع الشر إليه.

هذا أمر مشاهد محسوس، يعرفه كثير من الناس، ويـرون بـأم أعينـهم، ويسمعون قصصاً متواترة لأناس خذلوا وعوقبوا؛ بسبب عقوقهم لوالديهم[2].

---

1 _ من المظهر رقم (٥) إلى نهاية المظاهر منقول من كتيب عقوق الوالدين للشيخ: محمد الحمـد صـ ـ (٩- ١٩)، مع تصرف بسيط، طبعة: وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

2 - السابق صـ ٢٠

واعلم أخي الحبيب :

أن هذه ليست كل صور العقوق وإن كانت أغلبها، فهناك أشياء لم نجمعها في هذا البحث، لكن العقوق يشمل كل شيء يؤذي الوالدين سواء صغر أو كبر .

حقوق الآباء على الأبناء:

إن للوالدين حقوقاً وواجبات، وإذا كانت النفوس السوية مجبولة على حب من أحسن إليها؛ فإن من شرائع الدين وسمات المروءة وضرورات العقل أن يقابـل الإحسان بالإحسان ؛ قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن)

فمن هذه الحقوق (مظاهر البر) [1] :

(١) محبتهما وتوقيرهما على من سواهما:

جاء في الأدب المفرد أن أبا هريرة أبصر رجلين. فقال لأحدهما: ما هـذا منك ؟ فقال: أبي. فقال: "لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله". [٢]

(٢) النفقة عليهما:

إذا كانا محتاجين وعند الولد ما يزيد على حاجته؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي اجتاح مالي فقال:" **أنـت ومالك لأبيك**" وقال رسول الله ﷺ:"**إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من أموالهم**" [٣]

---

1 - من المظهر رقم (٤) إلى النهاية مأخوذ من المصدر السابق صـ (٣١- ٣٧).

2 _ صحيح الأدب المفرد للشيخ الألباني (١٨)

3 _ صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٣٣٥٤) .

قال شيخ الإسلام في مج**موع الفتاوى**: على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقاً لأبيه قاطعاً لرحمه مـستحقاً لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة[1]

قلت: ولكن هذا مشروط بوجود زيادة من المال عند الولد، وأن لا يكون الوالـد مسرفاً أو يتناول المحرمات.

(٣) خفض الصوت وغض الطرف أمامهما:

وكذلك لين القلب إذا ثار أبوك وغضب، فعليك أن تنظر إليهما نظرة المحب الرحيم، الخجل المتواضع .

(٤) **طاعتهما واجتناب معصيتهما:**

فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما، وأن يقدم طاعتـهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمرا بمعصية الله ورسوله، إلا الزوجـة؛ فإنهـا تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

(٥) الإحسان إليهما:بالقول، والفعل، وفي وجوه الإحسان كافة :

وما أجمل أن تقول _ ولا سيما في المناسبات السعيدة كالأعياد الـشرعية مثلاً:

يا والدي جزاك الله خيراً، ويا والدتي أطال الله في عمرك، لقـد ربيتمونـا وتعبتم علينا، وها نحن كبرنا، ولكننا نعتبر أنفسنا أمامكم أطفالاً صغاراً، نتـشرف

1- الفتاوى (٣٤ / ١٠١) .

بخدمتكم، ونفتخر بأمركم لنا وتوجيهاتكم .. انظر بعدها إلى البشر والـسرور في وجهيهما، بل إلى دموع الفرح تنهال من أعينهما.

(٦) خفض الجناح: وذلك بالتذلل لهما، والتواضع، والتطامن.

(٧) البعد عن زجرهما: وذلك بلين الخطاب، والتلطف بالكلام، والحذر كل الحذر من نهرهما، ورفع الصوت عليهما.

(٨) الإصغاء إليهما: وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث، والحذر كل الحذر من تكذيبهما، أو رد حديثهما.

(٩) الفرح بأوامرهما، وترك التضجر والتأفف منهما:كما قال عز وجـل: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

(١٠) التطلق لهما: وذلك بمقابلتهما بالبشر والترحاب، بعيـدا عـن العبـوس، وتقطيب الجبين.

(١١) التودد لهما، والتحبب إليهما: ومن ذلك مبادأتهمـا بالـسلام، وتقبيـل أيديهما، ورؤوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، وألا يمـد يـده إلى الطعـام قبلهما، وأن يمشي خلفهما في النهار، وأمامهما في الليل، خصوصا إذا كـان الطريق مظلماً أو وعِراً، أما إذا كان الطريق واضحاً سالكاً فلا بأس أن يمشي خلفهما.

(١٢) الجلوس أمامهما بأدب واحترام: وذلك بتعديل الجِلْـسة، والبعـد عمـا يشعرهما بإهانتهما من قريب أو بعيد، كمد الرجل، أو القهقهة بحضرتهما، أو الاضطجاع، أو التعري، أو مزاولة المنكرات أمامهما، أو غير ذلك مما ينـافي كمال الأدب معهما.

(١٣) تجنب المنة في الخدمة أو العطية: فالمنة تهدم الصنيعة، وهي مـن مـساوئ الأخلاق، ويزداد قبحها إذا كانت في حق الوالدين.

فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع، وأن يعترف بالتقصير، ويعتذر عـن عـدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما.

(١٤) تقديم حق الأم: فمما ينبغي مراعاته أيضا تقديم بر الأم ، والعطف عليهـا، والإحسان لها على بر الأب، والعطف عليه، والإحسان إليه، وذلك لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: جاءَ رجلٌ إِلَى رسول اللـهِ ﷺ فَقَالَ يا رسولَ اللهِ من أحق الناسِ بِحسنِ صحابتِي؟ قَالَ: **أمك.** قَـالَ ثُـم من؟ **قَالَ: ثُم أمك.** قَالَ ثُم من قَالَ: **ثُم أمك.** قَالَ ثُم من؟ قَالَ: **ثُم أبوك**"[1].

قال ابن بطال عند شرحه لهذا الحديث: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذا تنفرد بـه الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية [2].

قد يقال: الأم تقدم وتفضل بالبر والإحسان والعطـف؛ والأب يقـدم في الطاعة؛ لأن الأب رب المنزل، وقائد السفينة.

وعن أبي موسى الأشعري قال : شهد ابن عمر (رضي الله عنهما) رجـلاً يمانيا يطوف بالبيت، وقد حمل أمه على ظهره وهو يقول:

إني لها بعيرها المذلل إن أُذعرت ركابها لم أذعر

1- البخاري (٥٥١٤)، ومسلم (٤٦٢١).

2- الفتح (٤٠٢/١٠) .

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة .

وصدق من قال:

لأمك حق لو علمت كبيـ ـر
كثيرك هـذا لديه يسيـ ـ ـر
فكم ليلةٍ باتت بطفلك تشتكـي
لها من جواها أنةٌ وزفيـ ـ ـر
وفي الوضع لو تدري عليك مشقة
فكم غصص منها الفؤاد يطيـر
وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها
حنواً وإشفاقاً وأنت صغيـ ـر
فآه لذي عقل ويتبع الهـ ـوى
وواه لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها
فأنت لما تدعو إليه فقيـ ـ ـر

(١٥) مساعدتهما في **الأعمال**: فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان ، وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

(١٦) البعد عن إزعاجهما: سواء إذا كانا نائمين، أو إزعاجهما بالجلبـة ورفـع الصوت، أو بالأخبار المحزنة، أو غير ذلك من ألوان الإزعاج.

(١٧) تجنب **الشجار وإثارة الجدل أمامهما**: وذلك بالحرص على حل المشكلات مع الأخوة وأهل البيت عموما بعيدا عن أعينهما.

(١٨) تلبية ندائهما بسرعة: سواء كان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول؛ فـبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولاً تظاهر بأنه لم يسمع الـصوت، وإن كان فارغاً أجابهما.

أصم عن الأمر الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد

فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداء.

(١٩) تعويد الأولاد على البر: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهم، وأن يسعى قـدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين أولاده وبين والديه.

(٢٠) إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين: فمما يجدر بالأولاد أن يقوموا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على تقريـب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا.

(٢١) الاستئذان حال الدخول عليهما: فربما كانا أو أحدهما على حالة لا يرضى أن يراه أحد وهو عليها.

(٢٢) تذكيرهما بالله دائما: وذلك بتعليمهما ما يجهلانه من أمور الدين، وأمرهمـا بالمعروف، ونهيهما عن المنكر إذا كان عليهما بعض مظاهر الفسق والمعـصية، مع مراعاة أن يكون ذلك بمنتهى اللطف والإشفاق والشفافية، والصبر عليهما إذا لم يقبلا.

(٢٣) الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما: سواء في الذهاب مـع الأصـحاب للبرية، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الـذهاب للجهـاد، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا أقصر وتـرك مـا تريـد، خصوصا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرا عن علم وإدراك.

(٢٤) المحافظة على سمعتهما: وذلك بمخالطة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وبمجانبة أماكن الشبه، ومواطن الريبة.

(٢٥) البعد عن لومهما وتقريعهما: وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولد. كتقصيرهما في التربية، وكتذكيرهما بأمور لا يحبان سماعها، مما قد بدر منـهما فيما مضى.

(٢٦) العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به: من رعاية للإخوة، أو صلة للأرحام، أو إصلاحات في المنزل، أو المزرعة، أو مبادرة بالهدية، أو نحو ذلك مما يسرهما، ويدخل الفرح على قلبيهما.

(٢٧) فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك: فإذا كانا أو أحدهما غـضوباً، أو فظّاً غليظاً، أو كان متصفاً بأي صفة لا ترتضى_كان جديراً بالولد أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه، وأن يعاملهما كما ينبغي.

(٢٨) كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما: قـال الله تعـالى: ﴿وقُـلْ رب ارحمهما كما ربيانِي صغِيراً﴾ (الإسراء:٢٤)

وقال تعالى: ﴿رب اغْفِرلِي ولِوالِدي ولِمن دخلَ بيتِي مؤمِناً وللْمـؤمِنين والْمؤمِناتِ﴾ (نوح:٢٨).

(٢٩) برهما بعد موتهما: فمما يدل على عظم حق الوالدين، وسـعة رحمـة رب العالمين أنْ كان بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد الممات؛ فقد يقصر أحد مـن الناس في حق والديه وهما أحياء، فإذا ماتا عض يده، وقرع سنه؛ ندماً علـى

تفريطه وتضييعه لحق الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا؛ ليعمل معهما صالحاً غير الذي عمل.

ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات، فيبر والديه وهمـا أمـوات، وذلك بأمور منها:

أ- أن يكون الولد صالحًا في نفسه، وذلك للحديث الآتي ذكره ،

ب-كثرة الدعاء والاستغفار لهما، لما ورد في صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».**[1]

ج- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د- إنفاذ عهدهما.

هـ - التصدق عنهما

ثمرات البر:

إن للبر ثمرات عظيمة وفوائد كثيرة، من ذلك ما يلي:

(١) تفريج الكربات وكشف الهموم:

كما في الصحيحن عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" **بينما ثَلاثَةُ نفَرٍ مِمن كانَ قَبلكُم يمشونَ إِذْ أصابهم مطَر، فَأَووا إِلى غَارٍ فَانطَبق علَيهم فَقَالَ بعضهم لِبعض: إِنه واللهِ يا هؤلاءِ لَا ينجِيكُم إِلا الصدق، فَليدع كُل رجلٍ مِنكُم بِما يعلَم أنه قَد صدق فِيهِ.**

1- مسلم (٣٤١٠) .

فَقَالَ واحِد مِنهم: اللهم إِنْ كُنت تعلم أنه كَانَ لِي أَجِير عمِلَ لِي علـى فَرق مِن أرز فَذَهب وتركه، وأني عمدت إِلى ذَلِك الْفَرق فَزرعته فَصار مِن أمرِهِ أني اشتريت مِنه بقَرا، وأنه أتانِي يطْلُب أجره فَقُلْت لَه: اعمِد إِلى تِلْك الْبقَـرِ فَسقْها فَقَالَ لِي: إِنما لِي عِندك فَرق مِن أرز فَقُلْت لَه: اعمِد إِلى تِلْك الْبقَـرِ؛ فَإِنها مِن ذَلِك الْفَرق فَساقَها، فَإِنْ كُنت تعلم أني فَعلْت ذَلِك مِن خشيتك فَفَرج عنا، فَانساحت عنهم الصخرةُ .

فَقَالَ الْآخر: اللهم إِنْ كُنت تعلم أنه كَانَ لِي أبوان شـيخان كَـبِيران فَكُنت آتِيهما كُل لَيلَةٍ بِلبن غَنمٍ لِي فَأبطأت عليهما لَيلَةً، فَجِئْت وقَـد رقَـدا، وأَهلِي وعِيالِي يتضاغَونَ مِن الْجوعِ، فَكُنت لَا أسقِيهم حتى يـشرب أبـواي فَكَرِهت أنْ أُوقِظَهما وكَرِهت أنْ أدعهما فَيستكِنا لِشربتِهما، فَلَم أزلْ أنتظِـر حتى طَلَع الْفَجر، فَإِنْ كُنت تعلم أني فَعلْت ذَلِك مِن خـشيتك فَفَـرج عنـا، فَانساحت عنهم الصخرةُ حتى نظَروا إِلى السماءِ .

فَقَالَ الْآخر: اللهم إِنْ كُنت تعلم أنه كَانَ لِي ابنةُ عم مِن أحب النـاسِ إِلي، وأني راودتها عن نفْسِها فَأبت إِلا أنْ آتِيها بِمِائَةِ دِينارٍ فَطَلَبتها حتى قَدرت، فَأَتيتها بِها فَدفَعتها إِلَيها، فَأمكَنتنِي مِن نفْسِها، فَلَما قَعدت بين رِجلَيها فَقَالَـتِ: اتق الله ولَا تفُض الْخاتم إِلا بِحقِهِ. فَقُمت وتركْت الْمِائَةَ دِينارٍ، فَإِنْ كُنت تعلم أني فَعلْت ذَلِك مِن خشيتك فَفَرج عنا ،فَفَرج الله عنهم فَخرجوا" [1]

1 _ البخاري (٣٢٠٦) ومسلم(٤٩٢٦)

(٢) دخول الجنة:

فعن أَبِي الدرداءِ ﷺ أن رجلًا أتاه فَقَالَ: إِن لِي امرأَةً، وإِن أُمـي تـأْمرنِي بِطَلَاقِها. قَالَ أبو الدرداءِ سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:"**الْوالِد أوسطُ أبوابِ الْجنةِ، فَإِنْ شِئْت فَأَضِع ذَلِك الْباب أَو احفَظْه** " [1] وسيأتي عن قريب حديث النعمان بن حارثة ﷺ حيث كان أبر الناس بأمه، فدخل بذلك الجنة.

قلت: ولا يؤخذ من الحديث أن الإنسان يطلق امرأته لو أمرته أمه بـذلك، فقد تكون امرأته أكثر صلاحا من أمه، إنما الشاهد فقط هو أنهما- أي: الوالـدان- أوسط أبواب الجنة.

(٣) الزيادة في الرزق:

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"من أحب أن يبسط لـه في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه"**[2]

قصة واقعية:

أب كبير في السنّ .. كان يعاني من آلآمٍ تعصره عصراً في المسالك البولية؛ إذ كان يشكو من وجود حصاة سدت مجرى البول حتى جعلته يتلوى مـن الألم، ومن جرب عرف، فهذا بشهادة الأطباء من أقسى الآلآم التي يشعر بها من ابتلي بها .. حتى إذا اشتد عليه الألم في إحدى الليالي .. طلب من ابنه أن ينقله إلى المستشفى في مدينة الخبر _ وكانوا يسكنون في منطقة رأس تنورة بالمنطقـة الـشرقية مـن المملكة، أي ما يقارب من ٦٠ كيلومتراً .

1- الترمذي(١٨٢٢)وابن ماجه(٢٠٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٩١٤).

2- البخاري (٢٢١٥) ومسلم (٧١٢٥)

قال: فأركبه الابن سيارته ثم انطلق في منتصف الليل .. فلما انتصف الطريق اشتد أنين الأب، فكان يطلب من ابنه أن يعطيه سكيناً؛ كي يشق بها أسفل بطنـه ليخرج البول ليستريح، فما كان من هذا الولد إلا أن وقف سيارته بجانب الطريق، ثم نزل وفتح باب السيارة من جهة أبيه .. ثم كشف عن ثياب أبيه، والأب لا يعلم ماذا يريد أن يفعل به ابنه ماذا تتوقعون ؟! لقد أخذ الولد (يمص) (ذكر) [1] أبيه حتى خرجت تلك الحصاة من الحالب . وخرج معها الدم والبول.

فلما رأى الوالد ما صنع به ابنه رفع يديه إلى السماء: وقال بصوت متهدج باكٍ _ ودموعه تتقافز من عينيه : أسأل الله يا ولدي أن يرزقك رزقاً لا ينقطع! .

قال محدثي: فوالله إن هذا الابن .. من أغنى الناس لدينا اليوم [2] .

نماذج من بر الأنبياء والسلف الصالح:

(١) هذا نبي الله **نوح عليه السلام** يذكر لنا ربنا عز وجل نموذجاً من بره بوالديه؛ حيث كان يدعو ويستغفر لهما كما في قوله تعـالى عنـه : ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ (نوح:٢٨).

(٢) وهذا إمام الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام يخاطب أباه بلطف شـفافٍ، وإشفاقٍ بالغ، وحرص أكيد؛ رغبة في هدايته ونجاته، وخوفـاً مـن غوايتـه وهلاكه فيقول كما أخبر الله عنه﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا

1- قال الشيخ رواي هذه القصة: أعتذر هنا عن هذا اللفظ، لكنه هو المعبر هنا عن صميم الواقعـة، وقد رويته بالنص عمن حدثني.

2- انظر القصة في كتاب تهميش الوالدين في حياتنا، تأليف: موسى الزهراني .

﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ (مريم:٤١_٤٥).

لقد خاطب والده بتلك الكلمات المؤثرة، والعبارات المشفقة، التي تصل إلى الأعماق.

ولولا أنها وجدت قلباً قاسياً عاسياً أغلف أسود لأثرت به، وكانت سبباً في هدايته، ونجاته.

(٣) وهذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ضرب أروع أمثلة الصبر في تاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال له أبوه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات:١٠٢).

فماذا كان رد ذلك الولد الصالح ؟ هل تباطأ أو تكاسل، أو تردد وتثاقل ؟ لا، بل قال كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢).

وقد ورد أن إبراهيم عليه السلام لما تيقن مما رأى في منامه قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية، وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا به في شعب -ثبير - أخبره بما أُمِر به، فلما أراد ذبحه قال له: يا أبت اشدد رباطي؛ حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك؛ حتى لا يصيبها الدم فتراه أمي، واشحذ شفرتك، وأسرع في السكين على حلقي؛ ليكون أهون علي، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني.

قال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني، ثم أقبل عليه وهما يبكيان، ثم وضـع السكين على حلقه، فلم تحز، فشحذها مرتين أو ثلاثاً بالحجر فلم تقطـع، فقـال الابن عند ذلك: يا أبتِ كُبني على وجهي؛ فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمـتني، وأدركتك رقةٌ تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام ووضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ (الصافات:١٠٤، ١٠٥). [1]

(٤) وهـذا عيسـى بـن مريـم عليه وعلى أمه السلام يأتيه الثنـاء العطـر، والتبجيل العظيم من ربه وهو ما يزال في المهد يتكلم بأنه بار بأمه، ويقرن هذا بعبوديته لربه عز وجل قال سبحانه وتعـالى عنـه :﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ (مريم:٣٢).

(٥) بر النبي محمد بأمه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال:" **استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فـأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت**" [2]

بر الصحابة:

وإذا أنعمنا النظر في سيرة السلف الصالح وجدنا صفحات مشرقة تدل على شدة اهتمامهم ببر الوالدين فمن ذلك ما يلي:

1- دروس رمضان للشيخ: محمد الحمد، وانظر تفصيل القصة في خطبة تأملات في الحج وقـصة الذبيح من هذا الكتاب .

2- صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٤٢) .

(١) عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: **"دخلـت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة ابـن النعمـان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه"** [١]

(٢) وعن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بن الحسن عقربـاً في البيـت فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضر به، فقيل له: ما أردت إلى هذا ؟

قال: خفت أن تخرج من الجحر، فتجيء إلى أمي، فتلدغَها. [٢]

(٣) وهذا أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المـسمى بزين العابدين، وكان من سادات التابعين كان كثير البر بأمه، حتى قيل لـه: إنك من أبر الناس بأمك، ولا تؤكل معها في صحفة واحدة ، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عققتها[٣]

(٤) قال هشام بن حسان: حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لهـا ثوبـاً اشترى أليَن ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثياباً، وما رأيته رافعاً صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي [٤] .

1- السلسلة الصحيحة (٩١٣) .

2- السير(٣١٧/٦).

3- عيون الأخبار، باب: القرابات، وانظر: عقوق الوالدين للشيخ الحمد. .

4- السير (٦١٩/٤).

(٥) بر أبي هريرة:

عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومـا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سـلم وأنـا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقـال رسـول الله ﷺ:" **اللهم اهد أم أبي هريرة"** فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عـن خمارهـا، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشـهد أن محمـدا عبده ورسوله قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قـال: قلت: يا رسول الله أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة ، فحمـد الله وأثنى عليه وقال خيرا. (١)

قال سعيد بن المسيب : وبلغنا أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها(٢).

ومن بره بأمه أيضاً ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح عنه أن النبي ﷺ أعطاه تمرتين ، قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حِجري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة ؟ فقلت : لأمي ، فقال : كلها فإنا سنعطيك لها تمرتين ، فأكلتها وأعطاني لها تمرتين(٣).

1- مسلم(٢٤٩١) .

2- مسلم(٣١٤٤).

3- تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢٢/٦٧).

وعن أبي مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: " أنه ركب مـع أبي هريـرة ﷺ إلى أرضه بـ (العقيق) فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته:

عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه.

تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا.

فتقول: يا بني ! وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيرا [1]

وأخيراً : حقوق يقابلها واجبات:

إن للوالدين حقوقاً على الأبناء وإن للأبناء حقوقاً على الوالدين، فهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يعقه ولده .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين أشـكو إليـك عقوق ولدى ، فقال : ائتنى به ، فجاء الولد إلى عمر ﷺ ، فقال عمر: لم تعق أباك ؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين ما هو حقى على والدى ؟ فقال عمر: حقك عليه أن يحسن اختيار أمك، وأن يحسن اختيار اسمك، وأن يعلمك القرآن .

فقال الولد: والله ما فعل أبى شىء من ذلك، فالتفت عمر إلى الوالد وقال: انطلـق لقد عققت ولدك قبل أن يعقك.

1- نضرة النعيم (٧٧٩/٣)

الخطبة الثالثة عشر : تأملات في الحج وقصة الذبيح

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ **[آل عمران: ١٠٢].**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ.

مقدمة:

أخي في الله:

هل رأيت لباساً قط أجل من لباس الحجاج والمعتمرين؟!

هل رأيت رؤوساً أعز وأكرم من رؤوس المحلقين والمقصرين؟!

هل مر بك ركب أشرف من ركب الطائفين؟!

هل هزك نغم أروع من تلبية الملبين، وأنين التائبين، وتـأوه الخاشـعين، ومناجـاة المنكسرين؟!

يا لجلال هذا الموقف الرهيب العصيب!

ويا للروعة والعظمة!

السماء في مهرجان يتنزل فيه الروح والملك سبحانك ربي مـا أعظمـك وأعدلك، والأرض في عيد تتبرأ من الدماء المسفوكة، والأموال المحرمـة والخطـى الآثمة، وترحب بالدماء التي أهريقت في سبيل الله وحده.

وهكذا تتجلى روح المساواه والإخوة والوحدة ، فتبدو جلية كالـشمس، ناصعة كالبدر ، إنها تدل على الوحدة في كل شيء ، وحدة المـشاعر، وحـدة في الشعائر، وحدة في الهدف ، وحدة في العمل، وحدة في القول، لا إقليمية لا عنصرية لا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، إنها مرفوضة في الإسلام ، الناس لآدم، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمـل الصالح.

لقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل:عمران:٩٧]

الحج لغةً واصطلاحاً:

لغةً: بفتح الحاء وكسرها – وهو شاذ – : القصد

اصطلاحاً : - في اصطلاح الشرع: قصد بيت الله الحرام والمشاعر؛ لأداء عبـادة مخصوصة في زمن مخصوص بكيفية مخصوصة.

حكم الحج:

الحج فرض عين على كل مكلف مستطيع في العمر مرة، وهو ركـن مـن أركان الإسلام، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

وذلك للآية السابقة، وما ورد عن ابن عمر (رضِي الله عنهما) قَالَ: قَـالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" **بِني الْإِسلام على خمسٍ: شهادةِ أَنْ لَا إِلَه إِلا الله وأَن محمـدا رسولُ اللهِ، وإِقَامِ الصلَاةِ، وإِيتاءِ الزكَاةِ، والْحج، وصومِ رمضانَ**" (١)

وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: خطَبنا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:"**أيها الناس قَد فَرض الله علَيكُم الْحج فَحجوا.** فَقَالَ رجلٌ: أَكُل عامٍ يا رسولَ اللهِ؟ فَسكَت حتى قَالَها ثَلَاثًا **فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لَو قُلْت نعم لَوجبت ولَما استطَعتم ثُم قَالَ: ذَروني ما تركْتكُم؛ فَإِنما هلَك من كَانَ قَبلَكُم بِكَثْرةِ سؤَالِهم واختِلَافِهم علَى أَنبِيـائِهم، فَإِذَا أَمرتكُم بِشيءٍ فَأْتوا مِنه ما استطَعتم، وإِذَا نهيتكُم عن شيءٍ فَدعوه**" (٢)

من فضائل الحج:

١ـ الحج يمحق الذنوب المتقدمة:

حتى لو كانت كبائر؛ وذلك لما ثبت عن أبي هريرة ﷺ قال: "من حـج فلـم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" (٣)

قلت: بشرط أن لا تكون هذه الكبائر تتعلق بحقوق الآدميين؛ لأن حقـوق الله تقوم على المسامحة، وحقوق العباد تقوم على المشاحة .

1- البخاري (٧) ومسلم (١٩) .

2- مسلم (٨٠٢٣)

3- البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠) .

ولما أراد عمرو بن العاص ﷺ أن يبايع رسول الله ﷺ على الإسلام فقال عمرو: أشترط فقال النبي: "تشترط ماذا ؟" قال: أشترط أن تغفر ذنوبي .فقال الـنبي ﷺ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله"[1]

٢- الحج جزاؤه الجنة:

وذلك لما ثبت عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " العمرة إلى العمـرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" [2]

٣- الحج سبب العتق من النار:

وذلك لما ثبت عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺقال:"ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنـه ليـدنو ثم يباهي بهم الملائكة"

٤- الحج أفضل الأعمال:

وذلك لما ثبت عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟

فقال: "**إيمان بالله ورسوله**" قيل: ثم ماذا؟ قال: "**جهاد** في **سبيل الله** " قيـل: ثم أي؟ قال :"**حج مبرور**" [3]

1- مسلم (١٢١) .

2- البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩) .

3- البخاري (٢٦) ومسلم (٢٥٨) .

لكن ماهي شروط الحج:

أولا: الإسلام والعقل:

وهذان الشرطان يجب توفرهما في أي عبادة.

ثانياً:الحرية والبلوغ:

فهما شرطان لإجزاء الحج عن الفريضة كذلك، وليسا شرطين للصحة، فلو حج الصبي والعبد صح منهما؛ لحديث المرأة التي رفعت إلى النبي ﷺ صبيا فقالـت: ألهذا حج ؟قال: "**نعم ولك أجر**" [1]

ولا يجزئهما عن حجة الإسلام على الراجح؛ لحديث: "**من حـج** ثم **عتـق فعليه حجة أخرى، ومن حج وهو صغير** ثم **بلغ فعليه حجة أخرى**" [2]

ثالثاً: الاستطاعة: وتحقق الاستطاعة بما يلي:

[١] صحة البدن وسلامته من الأمراض التي تعوقه عن أفعال الحج:

وذلك لحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخاً كبيراً لا يـستطيع أن يـستوي على الراحلة فأحج عنه ؟ قال ﷺ :"**حجي عنه**" [3]

[٢] ملك ما يكفيه في رحلته وإقامته وعودته فاضلاً عن حاجاته الأصلية مـن دين ونفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم؛ وذلك لقوله ﷺ : "**كفى بالمرء إثمـاً أن يضيع من يعول**"[4]

1- مسلم(٢٣٧٧)

2- صححه الشيخ الألباني في الإرواء (٥٩\٤)

3- البخاري (١٨٥٥) ومسلم (١٣٣٤)

4- أبو داوود (١٦٧٦) وصححه الألباني في الإرواء (٩٨٩) .

ويدخل في هذا ملك الزاد والراحلة [1] وقد فُسر السبيل في قوله تعـالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بالزاد والراحلة كما جاء في تفسير الطبري.

[٣] أمن الطريق: وهو يشمل الأمن على النفس والمال وقت خروج الناس للحج؛ لأن الاستطاعة لا تثبت بدونه .

رابعاً: وجود المحرم بالنسبة للمرأة [2]:

فإذا لم تجد المرأة المحرم فلا يجب عليها الحج لأنها غير مستطيعة بالمحرم مـن السبيل ؛ فعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول:"لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم" فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال: **"انطلق فحج مع امرأتك"** [3]

1- وهذا يتمثل اليوم في وسائل المواصلات مثل الطائرة أو السيارة العادية أو الـسفينة والبـاخرة أو غيرهن .

2- المقصود بالمحرم: الزوج أو من تحرم عليه على التأبيد بنـسب (أي قرابـة) أو بـسبب مبـاح (وهماالرضاع والمصاهرة)، والذين يحرمون بالنسب سبعة: هم الأب والابـن والأخ وابـن الأخ وابن الأخت والعم والخال، والذين يحرمون بسبب الرضاع هم نفس السبعة لقوله: "يحـرم مـن الرضاع ما يحرم من النسب"، والذين يحرمون بسبب المصاهرة أربعة: أبو زوجها (حماها) وابن زوجها، وزوج بنتها (وهؤلاء الثلاثة محارم بمجرد العقد)، والرابع: زوج أمها (ولا يحـرم إلا بعد الدخول بالأم)

وعلى هذا يجب التنبيه إلى أن أخا الزوج وخاله وعمه ليسوا بمحارم لها، وكذلك زوج الأخت لا يكون محرما لاختها،وكذلك أبناء العم وأبناء الخال ليسو محارم. انظر تمام المنة للعزازي (٢| ٣٢٦).

3- أبو داوود (١٦٧٦) وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٩٨٩) .

ماذا يفعل من نوى الحج ؟

آداب ووصايا قبل السفر (عامة لكل سفر):

١- **أن يوصي** بما يحتاج إلى **الوصية به، وليشهد** على وصيته، ويرد الودائع الـتي عنده أو يوصي غيره بردها إذا حدث له في سفره ما يمنعه من تأديـة هـذه الودائع إلى أهلها .

٢- **يرد المظالم** إلى **أهلها ويتحلل منها**؛ لقول النبي ﷺ : "**من كانت لـه مظلمـةٌ لِأخِيهِ مِن عِرضِهِ أو شيءٍ فَلْيتحللْه مِنه اليوم، قبلَ أنْ لا يكُونَ دِينار ولا دِرهم، إنْ كانَ له عملٌ صالِح أخِذَ مِنه بِقدرِ مظْلمتِهِ، وإنْ لم تكُن لـه حسنات أخِذَ مِن سيئاتِ صاحِبِهِ فَحمِلَ عليهِ**"[1]

٣- **يسترضي والديه وشيوخه** ومن يندب إلى بره واستعطافه.

٤- يتوب إلى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره.

٥- يجتهد في **تعلم ما يحتاج إليه** في **سفره**: فإذا كان غازياً تعلم ما يحتـاج إليـه الغازي من أمور القتال، وإن كان حاجاً أو معتمراً تعلم مناسك الحج والعمرة أو استصحب معه كتاباً لذلك، وإن كان تاجراً تعلم ما يحتاج إليه من أمـور البيوع ما يصح منها وما يبطل وما يحل وما يحرم... إلى غير ذلك [2]

٦- **ويستحب للمسافر أن يقول أذكار المقيم،** ويزيد عليها الأذكـار الخاصـة بالسفر .

1- البخاري(٢٢٦٩).

2- الأذكار للنووي(٢١٥/١) .

٧- وعلى المسافر أن يعلم علم القبلة وعلم أوقات الصلاة؛ لأنه في الحضر يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة، ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت، والمسافر قد يشتبه عليه علم القبلة، وقد يلتبس عليه الوقت، فلا بد من العلم بأدلة القبلة والمواقيت.

٨- استحباب التوديع للمسافر:

يستحب للمسافر أن يودع أهله وقرابته وإخوانه ، وكذلك يودعه أهله وأحباؤه.

فعن قزعة قال: قال لي ابن عمر: هلم أودعك كما ودعني رسول الله ﷺ : **"أستودع الله دينك، وأماناتك، وخواتيم عملك" . [1] .**

٩- استحباب التأمير في السفر إذا كانوا ثلاثة فأكثر:

نادى الشرع بالاجتماع وعدم التفرق، وحث على ذلك ورغب فيه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: **"إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" [2]**

ولما كان السفر من الأمور التي يحصل بها الاجتماع والملازمة بين الناس، استحب للقوم المسافرين ـ الذين يبلغون ثلاثة فأكثر ـ ـ أن يؤمروا أحدهم يسوسهم ويأمرهم بما فيه مصلحتهم، وعليهم الطاعة والاتباع ما لم يأمر بمعصية الله، فإن فعلوا ذلك حصل لهم من اجتماع الكلمة، وسلامة الصدور، ما يجعلهم يقضون حاجتهم من سفرهم دون منغصات أو مكدرات تحدث بينهم . وفي حث

---

1 _ أبو داوود (٢٢٣٣) والترمذي(٣٣٦٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٧٩٥) .

2 _ أبو داوود (٢٢٤١)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣٢٢).

النبي على تأمير الثلاثة في السفر لأحدهم تنبيه منه على الاجتماع الأعظم، والله أعلم .

١٠- كراهية الوحدة في السفر:

وفيه حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: **"لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده"**[١]

وفي الحديث فوائد:

منها: أن النبي ﷺلم يخبر أمته بما يعلمه من الآفات التي تحدث من جراء سفر الرجل وحده؛ مبالغة منه في التحذير من التفرد في السفر،

وثانيها: أن النهي يعم الليل والنهار، وخص الليل في الحديث؛ لأن الشرور فيه أكثر والأخطار فيه أكبر.

وثالثها: أن النهي يعم الراكب والراجل، ولعل قوله ﷺ: "ما سار راكب بليل" أنه خرج مخرج الغالب، وإلا فالراجل في معنى الراكب، والله أعلم.

وفي النهي عن الوحدة في السفر ـ أيضاً ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول اللهﷺ : **"الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب"** [٢]

1- البخاري (٢٧٧٦) .

2- أبو داوود (٢٢٤٠) والترمذي (١٥٩٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٣٥٢٤).

أخطاء عامة تتعلق بالإحرام وغيره[1]:

أولًا: أخطاء تتعلق بالإحرام:

١ ـ تجاوز الميقات وعدم الإحرام منه، وهذا خطأ يقع فيه كثير من الحجاج، فعلى من تجاوز الميقات ولم يحرم أن يعود إلى الميقات مرة أخرى ليحرم منه أو ذبح فدية بمكة المكرمة وتفريقها على فقراء الحرم، ولا يأكل منها أو يهدي شيئاً .

٢ ـ اعتقاد أن ركعتي الإحرام واجبتان، وهذا غير صحيح فليس هناك دليل على ثبوت ركعتي الإحرام.

٣ ـ لبس النساء بعض الثياب التي فيها تشبه بالرجال، وهو أمر منهي عنه، فـالمرأة ليس لها لباس خاص في الإحرام، كما هو الحال عند الرجال، ثم لأن التـشبه منهي عنه مطلقاً؛ لما روى البخاري وغيره عن ابن عباس (رضي الله عنـهما) أنه قال ﷺ: "لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات مـن النساء بالرجال"[2] .

٤ ـ تعمد البعض الإحرام للحج من المسجد الحرام في اليوم الثامن من ذي الحجة، وهذا غير صحيح فعلى الحاج أن يحرم من المكان الذي هو فيه بمكة؛ اقتـداءً بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام الذين أحرم بعضهم من الأبطح [3].

٥ ـ الاضطباع عند الإحرام ويقْصد به أن يكشف المحرم الإحرام عن كتفه الـيمنى ويبقى كذلك إلى أن يحل من إحرامه، وهذا خطأ شائع عنـد كـثير مـن

---

1 _ هذه الأخطاء من كتيب بعنوان"أعمال بدون فاصل الحج" للشيخ: عبد الله بـن أحمـد العـلاف، مكتبة: الطرفين بالسعودية.

2 _ البخاري(٥٥٥٤).

3 _ مسلم (٢٢٠٤).

الحجاج، والصحيح أن كشف الإحـرام عـن الكتـف الـيمنى للمحـرم (الاضطباع) مشروع في حالة طواف القدوم فقط، فإذا فرغ منه أعاد ردائـه إلى حالته قبل الطواف بأن يغطي كتفيه بالإحرام ويكمل نسكه .

٦ـ الرمل في أشواط الطواف كلها، وهذا خطأ ، فالرمل ـ يقصد بـه إسـراع المشي مع مقاربة الخطوات في الطواف ـ لا يكون إلا في الأشواط الثلاثـة الأولى منه؛ أما الأشواط الأربعة الباقية فليس فيها رمل، وإنما يسير الطـائف فيها سيراً عادياً.

٧ـ إهمال التلبية بعد الإحرام ، والصحيح أن على المحرم أن يكثـر مـن التلبيـة، ويحافظ عليها حتى يرمي الحاج جمرة العقبة يوم النحر.

٨ـ اعتقاد البعض أنه لا يجوز له تغيير ملابس الإحرام أو تنظيفها وهـذا خطـأ؛ حيث أن للحاج والمعتمر أن يغير لباس الإحرام وغسله متى دعت الحاجة إلى ذلك .

٩ـ ظن البعض أن أي لباس لم يلبسه المُحرم عند الإحرام لا يجوز له لبـسه بعـد ذلك، وهذا خطأ فللحاج أن يلبس ما شاء ما لم يكن مخيطاً كالحذاء، والخاتم، والساعة، والحزام، والنظارة ونحوها .

١٠ـ لبس القفازين في اليدين، والانتقاب للمرأة المحرمة، وهذا خطأ يقع فيه كثير من النساء، والسنة عدم لبسهما؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، فعن ابن عمـر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: **"لا تنتقب المـرأة المحرمـة ولا تلـبس القفازين"** [1] وهنا تجدر الإشارة إلى أن على المرأة تغطية الوجه عندما تكون

1 _ البخاري (١٧٤١).

بحضرة الرجال الأجانب، وعند مخافة الفتنة. (أي : أن تسدل سدلاً خفيفـاً على وجهها حتى لا يراها الرجال الأجانب).

١١ ـ رفع بعض النساء أصواتهن بالتلبية، وهذا مخالف للسنة؛ لحديث ابـن عبـاس (رضي الله عنهما) : "لا ترفع المرأة صوتها بالتلبية"[١] وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) : "ليس على النساء أن يرفعن أصواتهن بالتلبية" [٢].

ثانيا: أخطاء تتعلق بالطواف:

١٢ ـ البدء بالطواف قبل محاذاة الحجر الأسود، أو بدءاً من على مـستوى بـاب الكعبة، وهذا خطأ وغلو؛ لأن السنة بدء الطواف باستلام الحجر الأسود، إن تمكن المسلم من ذلك أو الاكتفاء بالإشارة إليه .

١٣ ـ عدم الطواف بالبيت كاملاً ، كأن يطاف بالكعبة وحدها ولا يطاف بِحِجر إسماعيل معه وهذا خطأ كبير، فالحِجر جز من الكعبة ولا يـصح الطـواف بدونه، ومن وقع في ذلك فعليه الإعادة .

١٤ ـ تقبيل الركن اليماني من الكعبة والسنة مسحه باليد اليمنى إن تيسر ذلك، فإن لم يتيسر فعلى الطائف أن يمضي دون الإشارة إليه .

١٥ ـ المزاحمة والمشاتمة ورفع الصوت وربما إيذاء الغير من أجـل تقبيـل الحجـر الأسود، وهذا أمر مخالف للسنة النبوية وتعاليم الدين؛ فقد صح عنه ﷺ قوله: **"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٣].**

---

1 _ مصنف ابن أبي شيبة (١٧٧٠١) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (٦٥٢).

2 _ السنن الصغرى للبيهقي (١١٩٤)، وجاء في صحيح الترغيب والترهيـب (١١٣٥) قولـه ﷺ " أتاني جبريل فقال: مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية"

3 _ البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٨٣).

١٦ ـ التمسح بالحجر الأسود أو التبرك به، أو التمسح بحيطان وأركان الكعبـة أو كسوتها أو بالمقام ونحوها. وهذا مخالف لسنة النبي ﷺ الذي لم يصح عنه أنـه مسح سوى الركن اليماني باليد اليمنى، والحجر الأسود من الكعبة.

١٧ ـ تخصيص كل شوط من أشواط الطواف أو السعي بدعاءٍ معين، والاعتمـاد على ما يتداوله بعض الحجاج والمعتمرين من كتيبات وأدعية لم ينزل الله بهـا من سلطان، ولم تثبت عن الرسول ﷺ ، والصحيح أن على الحاج أو المعتمـر الاشتغال في طوافه وسعيه بذكر الله سبحانه ، وتلاوة القرآن الكريم، والدعاء لنفسه وللمسلمين، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه خصص دعاءً لكل شـوط أو نحو ذلك سوى ما روي عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الركن اليماني والحجـر الأسـود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [1]

١٨ ـ ترديد الأدعية الجماعية خلف من يدعو بشكل مزعج، وأصوات مرتفعـة، تذهب الخشوع، وتشوش على الطائفين إضافة إلى أن في ذلك مخالفة للسنة ، فالمشروع أن يدعو كل شخص لنفسه ولمن شاء بدون رفع صوته.

١٩- الوقوف عند الخط المحاذي للحجر الأسود والتكبير ثلاثاً، وهذا خطأ شـائع ومدعاة لحدوث الزحام، وتعطيل الطواف، والصحيح أن على الطـائف أن يكبر مرة واحدة وهو سائر بدون وقوف أو تعطيل للآخرين .

1 _ أحمد (١٥١٢٧).

٢٠ـ الإصرار على أداء ركعتين خلف مقام إبراهيم مع الإطالة في القراءة والركـوع والسجود، وهذا مخالف للسنة فقد كان يخفف هاتين الركعتين، ثم إن العلماء قد أفتوا بجواز أداء هاتين الركعتين في أي مكان من الحرم إذا كان الزحام شديداً .

ثالثًا: أخطاء تتعلق بالسعي:

٢١ـ تلاوة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقـرة]، في كل شوط من أشواط السعي، وهذا غير صحيح؛ لأن الصواب قراءتها مـرة واحدة عند الاقتراب من الصفا في بداية السعي فقط، وبعد تمام الطواف ولا تقرأ عند المروة .

٢٢ـ الاستمرار في السعي عند إقامة الصلاة؛ وهذا خطأ، فالواجب علـى مـن أدركته الصلاة وهو في السعي أن يقطع سعيه، ويؤدي الفريضة حتى لا تفوته صلاة الجماعة، ثم يكمل السعي من حيث قطع الشوط .

٢٣ـ اعتقاد أن الوضوء لازم للسعي بين الصفا والمروة، وهذا أمر غير صحيح، فلا يلزم للسعي الطهارة، وإن كان الساعي على طهارة كان ذلك أحسن إلا أنه غير لازم .

٢٤ـ اعتقاد البعض بضرورة مواصلة السعي بعد الطواف مباشرة وهـذا خطـأ، والصحيح أن للمسلم الراحة بينها، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

٢٥ـ الركض الشديد بين الصفا والمروة وهذا خطأ، والصحيح أن يكون السير بين الصفا والمروة عادياً، إلاّ ما بين العلمين الأخضرين ، فالأفضل السعي الشديد

بينهما للرجال فقط دون النساء ؛ لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قـال: "ليس على النساء سعي بالبيت - أي الرمل - ولا بين الصفا والمروة"[1].

٢٦ـ رفع الصوت بالدعاء أو ترديد الدعاء الجماعي بشكل يشوش على الآخرين، ويقطع خشوعهم وهذا خطأ ، فإن من آداب الـدعاء المناجـاة والخـشية والخشوع والانكسار لا الصراخ والصياح والإزعاج.

رابعا: أخطاء تتعلق بالحلق والتقصير:

٢٧ـ الاكتفاء بقص بعض الشعرات من أطراف ووسط الرأس، وهذا لا يكفي ولا يحصل به التحلل من الإحرام، والصحيح أن يقَصر من جميع شعر الرأس حتى يكون ذلك مجزئاً، والأفضل الحلق لجميع شعر الـرأس؛ لأن الـنبي ﷺ دعـا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة واحدة .

٢٨ـ حلق اللحى عند حلق شعر الرأس وهذا خطأ كبير، ومخالفة صريحة لهـدي النبي ﷺ الذي أمر بإعفاء اللحى وعدم حلقها.

٢٩ـ المكوث بمكة بعد طواف الوداع لفترة زمنية طويلة، وهذا مخالف لأمر رسول الله ﷺ مع مراعاة أنه لا بأس - كما قال أهل العلم - بالإقامة اليسيرة؛ لأداء الصلاة أو انتظار الرفقة أو إصلاح عطل في السيارة أو شراء ما لابـد منـه، ولكن إذا طال المقام فإن الأحوط إعادة طواف الوداع

٣٠ـ اعتقاد البعض من الحجاج والمعتمرين أنه لا يجوز للمحرم تغطية الرأس مثلاً بغير ملاصق ، مثل الشمسية وسقف السيارة ونحو ذلك، وهذا خطـأ؛ لأن

1- سنن الدارقطني (٢٤٢٢)، والركض والرمل: المشي السريع.

المنهي عنه تغطية المحرم لرأسه بشيء ملاصق كالعمامة ونحوها مما يغطى بـه الرأس في العادة .

خامساً: أخطاء تتعلق بالزيارة:

٣١ـ اعتقاد أن الحج لا يتم إلا بزيارة قبر النبي ﷺ في المسجد النبـوي بالمدينـة، وهذا خطأ شائع ، فليست زيارة قبر النبي ﷺ من أركان الحج ولا من واجباته وسننه .

٣٢ـ القول إذا وقع بصره على حيطان المدينة: اللهم هذا حرم رسولك، فاجعله لي وقاية من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب.

٣٣ـ قصد استقبال القبر أثناء الدعاء، بل عليه أن يستقبل القلبة فهـذا مـن أدب الدعاء .

٣٤ـ قصد القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة.

٣٥ـ التوسل به ﷺ إلى الله في الدعاء، و طلب الشفاعة وغيرها منه ، ولكن يجوز أن يدعو فيقول: أتوسل إليك بحبي لرسولك أو باتباعي لرسولك، فهذا توسل بالعمل الصالح كما بينا ذلك في خطبة الدعاء من هذا الكتاب .

٣٦ـ قصد القبر النبوي للسلام عليه دبر كل صلاة.

٣٧- الخروج من المسجد النبوي القهقري – أي : إلى الوراء - عند الوداع .

ما هي أوصاف الحج المبرور؟

الأول: أن تكون النفقة من مال حلال، قال النبي ﷺ: "إن الله طيب لا يقبـل إلا طيباً ... "[1].

فلت: فلا يقترض مالًا ليحج، أو يأخذ أموال الناس بالباطل ويحج بها، أو يظلم أخته في الميراث أو ...

وذلك لأن حقوق العبادة تقوم على المشاحة وعدم المسامحة.

الثاني: إخلاص العمل لله **تعالى ومتابعة الرسول ﷺ؛** لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه وموافقاً لهدي نبيه ﷺ ؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف ١١٠]

قال ابن كثير: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الـصالح، ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، ما كان موافقًا لشرع الله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ **وهو** الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل ، لا بد أن يكون خالـصا لله، صوابا[2].

الثالث: البعد عن المعاصي والآثام، والبدع والمخالفات .

الرابع: حسن الخلق، ولين الجانب، والتواضع في **مركبه ومنزله** ، وفي تعامله مع الآخرين، وفي جميع أحواله، كما كان عليه النبي ﷺ في حجته .

---

1 _ مسلم (١٦٨٦).

2 _ تفسير ابن كثير(٢٠٥/٥).

قال ابن عبد البر - رحمه الله : الحج المبرور هو الذي لا ريـاء فيـه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق، ويكون بمال حلال ...)[1].

الخامس: أن يرجع من حجه أفضل مما كان قبل الحج .

السادس: التحلل من المظالم: كما تقدم ذلك في **الكلام عن آداب السفر .**

مسألة: رجل حج بمال حرام هل حجه جائز ؟

أجابت على هذا السؤال اللجنة الدائمة فقالت: كون الحج من مال حرام لا يمنع من صحة الحج، مع الإثم بالنسبة لكسب الحرام، وأنه ينقص أجر الحـج، ولا يبطله[2].

فضل أيام عشر ذي الحجة والأعمال الواردة فيها ويوم عرفة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين .. وبعد ،،

فضل عشر ذي الحجة :

روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال : **" ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب** إلى الله **من هذه الأيام** يعني **أيام العـشر فالوا : يا رسول الله ولا الجهاد** في **سبيل الله قال : ولا الجهاد** في **سـبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله** ثم لم **يرجع من ذلك بشيء "** وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال : **" ما من أيام أعظم ولا أحـب** إلى الله **العمل** فيهن **من هذه الأيام فأكثروا** فيهن **من التهليل والتكبير والتحميد "**

1 _ التمهيد لابن عبد البر(٣٩/٢٢)، دار قرطبة.

2 _ انظر الفتوى رقم (١٣٦١٩) من فتاوى اللجنة

وروى ابن حبـان رحمه الله في صحيحه عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : **" أفضل الأيام يوم عرفة "**

أنواع العمل في **هذه العشر :**

الأول : أداء الحج والعمرة وهو أفضل ما يعمل ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله ﷺ : **" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور لـيس لـه جزاء إلا الجنة "** . (١)

الثاني : صيام هذه الأيام أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة. ولا شك أن الصيام من أفضل الأعمال وهو ما اصطفاه الله لنفسه كما في الحديث القدسي : **(الصوم لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلـي)**. وعـن أبي سعيد الخدري ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : **" ما من عبد يصوم يومـاً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجه عن النار سبعين خريفاً "** (٢)

الثالث : التكـبير والـذكر في هـذه الأيـام : ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] وقد فسرت بأنها أيام العشر ، واستحب العلمـاء لذلك كثرة الذكر فيها لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) عن أحمد رحمه الله وفيه **(فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير)** وذكر البخاري رحمه الله عن ابن عمر وعن أبي هريرة (رضي الله عنهم) : أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر. فيكبرون ويكبر الناس بتكبيرهما. وروى اسحاق رحمه الله عـن فقهاء التابعين رحمة الله عليهم أنه كانوا يقولون أيام العشر : الله أكـبر الله

1- متفق عليه ، وغيره من الأحاديث الصحيحة .

2- متفق عليه .

أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. ويستحب رفع الـصوت بالتكبير في الأسواق والدور والطرق والمساجد وغيرها لقولـه تعـالى : ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، ولا يجوز التكبير الجماعي وهو الذي يجتمع فيه جماعة على التلفظ بصوت واحد ، حيث لم ينقل ذلك عن السلف وإنما السنة أن يكبر كـل واحـد بمفرده ، وهذا في جميع الأذكار والأدعية إلا أن يكون جاهلاً فله أن يلقـن من غيره حتى يتعلم ، ويجوز الذكر بما تيسر من أنواع التكـبير والتحميـد والتسبيح ، وسائر الأدعية المشروعة .

الرابع : التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب ، حتى يترتب على الأعمـال المغفرة والرحمة فالمعاصي سبب البعد والطرد ، والطاعات أسباب القـرب والود ، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " **إن الله يغـار وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه** " (١)

الخامس : كثرة الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهـاد والقراءة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام فالعمل فيها وإن كان مفضولاً فإنه أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيرها وإن كان فاضلاً حتى الجهاد الذي هو من أفـضل الأعمال إلا من عقر جواده وأهريق دمه.

السادس : يشرع في هذه الأيام التكبير المطلق في جميع الأوقات مـن أو نهـار إلى صلاة العيد ويشرع التكبير المقيد وهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبـة

1- متفق عليه.

التي تصلي في جماعة ، ويبدأ لغير الحجاج من فجر يوم عرفة ، وللحجـاج من ظهر يوم النحر ، ويستمر إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق .

السابع : تشرع الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق ، وهو سنة أبينا إبـراهيم ﷺ حين فدى الله ولده بذبح عظيم : وقد ثبت أن النبي ﷺ (ضحى بكبـشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما) [1].

الثامن : روى مسلم رحمه الله وغيره عن أم سلمة (رضي الله عنها) أن الـنبي ﷺ قال: **" إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره "** وفي رواية **" فلا يأخذ من شعره ولا من أظـافره حـتى يضحي "** ولعل ذلك تشبهاً بمن يسوق الهدي فقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٩٦] هذا النهي ظاهرة أنه يخص صاحب الأضحية ولا يعم الزوجة ولا الأولاد إلا إذا كان لأحدهم أضحية تخـصه. ولا بأس بغسل الرأس ودلكه ولو سقط منه شيء من الشعر.

التاسع : على المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى ، وحضور الخطبـة والاستفادة منها وعليه معرفة الحكمة من شرعية هذا العيد ، وإنها يوم شكر وعمل وبر ، فلا يجعله يوم شر وبطر ولا يجعله موسم معصية وتوسـع في المحرمات كالآغاني والملاهي والمسكرات ونحوها مما قد يكون سبباً لحبـوط الأعمال الصالحة التي عملها في أيام العشر.

العاشر : بعد ما مر بنا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يستغل هذه الأيام في طاعة الله وذكره وشكره والقيام بالواجبات والابتعاد عن المنهيات واستغلال هـذه

1- متفق عليه.

المواسم والتعرض لنفحات الله ليحوز على رضا مولاه والله الموفق والهـادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

بعض أحكام الأضحية ومشروعيتها :

شرع الله الأضحية بقوله تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر:٢] وهي سنة مؤكدة ويكره تركها مع القدرة عليها ولا تكون إلا من الأبل والبقرة والغـنم لقول الله تعالى ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج: ٣٤]

ومن شروط الأضحية السلامة من العيوب. قال رسول ﷺ : " **أربعـة لا تجزئ** في **الأضاحي العواء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجـاء الـبين ضلعها. والعجفاء التي لا تنقى** " [1].

وقت الذبح :

بداية وقت الذبح بعد صلاة العيد لقول الرسول ﷺ : " **من ذبـح قبـل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ، ومن ذبح بعد الصلاة والخطبـتين فقـد أتم نـسكه وأصاب السنة** " [2]. ومن لم يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول : بسم الله والله أكبر اللهم هذا عن فلان (ويسمي نفسه أو من أوصاه) فإن رسول الله ﷺ ذبح كبشاً وقال " **بسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عني وعن من** لم **يضح من أمتي** " [3] ومن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره.

1- رواه الترمذي .

2- متفق عليه

3- رواه أبو داود والترمذي .

توزيع الأضحية :

يسن للمضحى أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب والجيران ويتـصدق منها على الفقراء قـال تعـالى : ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] وكان بعض السلف يحب أن يجعلها أثلاثاً : فيجعل ثلثاً لنفسه وثلثاً هدية ، وثلثـاً صدقة للفقراء ، ولا يعطي الجزار من لحمها شيئاً كأجر.

ما يجتنبه من أراد الأضحية :

من أراد أحد أن يضحي ودخل شهر ذي الحجة فإنه يحرم عليه أن يأخـذ شيئاً من شعره أو أظافره أو جلدة حتى يذبح أضحيته لحديث أم سلمة (رضـي الله عنها) أن النبي ﷺ قال : " **إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره** ". ويجوز لأهل المضحي أن يأخذوا في أيام العشر من شعورهم وأظافرهم وأبشارهم.

أحكام عيد الأضحى المبارك :

العيد من خصائص هذه الأمة ومن أعلام الدين الظاهرة وهو مـن شـعائر الإسلام فعليك بالعناية بها وتعظيمها. ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢] ، وإليك وقفات سريعة موجزة مع آداب وأحكام العيد.

التكبير : يشرع التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة قـال تعـالى : ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وصفته أن يقول : (الله أكبر ، الله أكبر لا إله إلا الله والله أكـبر ، الله أكبر ولله الحمد) ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيـوت وأدبـار الصلوات إعلاناً بتعظيم الله وإظهاراً لعبادته وشكره.

ذبح الأضحية : ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول رسول الله ﷺ : **" من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى ، ومن لم يذبح فليذبح "** [1] ووقت الذبح أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام التشريق ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : **" كل أيام التشريق ذبح "** [2]

الاغتسال والتطيب للرجال : ولبس أحسن الثياب بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية فهذا حرام ، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب وأربأ بالمسلمة أن تذهب لطاعة الله والصلاة وهي متلبسة بمعصية الله من تبرج وسفور وتطيب أمام الرجال.

الأكل من الأضحية : كان رسول الله ﷺ لا يطعم حتى يرجع من المصلى فياكل من أضحيته.

الذهاب إلى مصلى العيد ماشياً إن تيسر : والسنة الصلاة في مصلى العيد إلا إذا كان هناك عذر من مطر مثلاً فيصلي في المسجد لفعل الرسول ﷺ .

والصلاة مع المسلمين واستحباب حضور الخطبة : والذي رجحه المحققون من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية أن صلاة العيد واجبة لقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢] . ولا تسقط بعذر شرعي والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحيض والعواتق ويعتزل الحيض المصلى.

مخالفة الطريق : يستحب لك أن تذهب إلى مصلى العيد من طريق وترجع من طريق آخر لفعل النبي ﷺ ، التهنئة بالعيد : لا بأس مثل قول : تقبل الله منا ومنكم.

1- رواه البخاري ومسلم.

2- أنظر السلسلة الصحيحة برقم ٢٤٧٦.

وختاماً : لا تنس أخي المسلم أن تحرص على أعمال البر والخير من صـلة الـرحم وزيارة الأقارب وترك التباغض والحسد والكراهية وتطهير القلب منها والعطـف على المساكين والفقراء والأيتام ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم.

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يفقهنا في ديننا وأن يجعلنا ممن يسارع إلى عمل الصالحات وفعل الخيرات وأن يجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجه الكريم.

فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي:

جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: **"لا تشدوا الرحالَ إلا إلى ثلاثةِ مـساجِد مسجِدِي هذا، والمسجِدِ الحرامِ، والمسجِدِ الأقْصى "**[1]

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" **[2]

وعن جابِرٍ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:"**صلاةٌ فِي مسجِدِي أفْضلُ مِن ألفِ صلاةٍ فِيما سِواه إلا المسجِد الحرام، وصلاةٌ فِي المسجِدِ الحرامِ أفْضلُ مِن مِائةِ ألفِ صلاةٍ فِيما سِواه** " [3]

ما معنى (لا تشد الرحال) ؟

قال ابن حجر: والمراد النهي عن السفر إلى غيرها، قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزياره إلا هذه البقاع؛ لاختـصاصها بما اختصت به. [1]

---

1 _ البخاري (١١١٥) ومسلم (٢٣٨٣) .

2 _ البخاري (١١١٦) ومسلم (٢٤٦٩) .

3 _ ابن ماجه (١٣٩٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٨٣٨) .

قلت: أي اختصت بزيادة أجر الصلاة فيه، فلا يجوز لنا أن نشد الرحال إلى مسجد الحسين أو مسجد البدوي أو .....

فضلًا عن كون هذه المساجد مقبورة، وقد نهى النبي ﷺ عـن الـصلاة في المساجد التي فيها قبور.

فقد صح أن عائشةَ وعبداللهِ بن عباسٍ (رضي الله عنهم) قالا: لما نزلَ برسول اللهِ ﷺ طفِق يطْرح خمِيصةً له علَى وجهِهِ، فَإِذَا اغْتم بِها كَشفَها عن وجهِهِ فَقَال وهو كَذَلِك:" **لعنةُ اللهِ علَى الْيهودِ والنصارى؛ اتخذُوا قُبور أَنبِيائِهم مساجِد. يحذر مـا صنعوا**" [٢]

زيارة بعض الأماكن المقدسة:

(١) الصلاة في مسجد قباء:

قال النبي ﷺ: "صلاة في مسجد قباء كعمرة" [٣]

قصة الذبيح:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث سعِيدِ بنِ جبيرٍ قَالَ ابن عباسٍ:

أولَ ما اتخذَ النساءُ الْمِنطَق مِن قِبل أُم إِسماعِيلَ، اتخذَت مِنطَقًا؛ لتعفي أَثَرها علَى سارةَ، ثُم جاءَ بِها إِبراهِيم وبِابنِها إِسماعِيلَ وهِـي ترضِـعه حتـى وضعهما عِند الْبيتِ عِند دوحةٍ فَوق زمزم فِي أَعلَى الْمسجِدِ، ولَـيس بِمكـةَ

---

1 _ فتح الباري(٦٤/٣) .

2 _ البخاري (٤١٧) ومسلم(٨٢٣)، وعليك أخي الخطيب أن تتخذ هذه الفرصة وتنوه إلى الـشرك وتحذر منه أشد التحذير.

3 _ ابن ماجه (١٤١١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٣٨٧٢).

يومئذٍ أحد وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاءً فيه ماءٌ، ثُم قفى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيلَ فقالت: يا إبراهيم أين تذْهب وتتركُنا بهذَا الْوادِي الذِي لَيس فِيهِ إنس ولَا شيءٌ؟ فقالت له ذَلك مِرارا، وجعلَ لَا يلْتفِت إِلَيها فقالت له: أالله الذِي أمرك بِهذَا؟ قالَ: نعم قالت: إِذَنْ لَا يضيعنا. ثُم رجعت فَانطَلَق إبراهِيم حتى إِذَا كَانَ عِند الثنِية حيث لَا يرونه استقْبلَ بِوجهِهِ الْبيت ثُم دعا بِهؤلَاءِ الْكَلِماتِ ورفَع يديهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وجعلت أم إسماعِيلَ ترضِع إسماعِيلَ وتشرب مِن ذَلك الْماءِ، حتى إِذَا نفِد ما فِي السقَاءِ عطِشت وعطِش ابنها، وجعلت تنظُر إِلَيهِ يتلوى أو قَالَ: يتلبطُ، فَانطَلَقت كَراهِيةَ أَنْ تنظُر إِلَيهِ فَوجدت الصفَا أَقْرب جبلٍ فِي الْأرض يلِيها فَقَامت علَيهِ، ثُم استقْبلَتِ الْوادِي تنظُر هلْ ترى أحدا فَلَم تر أحدا، فَهبطَت مِن الصفَا حتى إِذَا بلَغتِ الْوادِي رفَعت طَرف دِرعِها ثُم سعت سعي الْإِنسان الْمجهودِ حتى جاوزتِ الْوادِي، ثُم أَتتِ الْمروةَ فَقَامت علَيها ونظَرت هلْ ترى أحدا فَلَم تر أحدا فَفَعلَت ذَلك سبع مراتٍ،

قَالَ ابن عباسٍ: قَالَ النبِي ﷺ: فَذَلك سعي الناس بينهما، فَلَما أشرفَت علَى الْمروةِ سمِعت صوتا فَقَالَت صهٍ تريد نفْسها، ثُم تسمعت فَسمِعت أيضا فَقَالَت: قَد أسمعت إِنْ كَانَ عِندك غِواثٌ، فَإِذَا هِي بِالْملَكِ عِند موضِع زمزم فَبحثَ بِعقِبِهِ أو قَالَ بِجناحِهِ حتى ظَهر الْماءُ، فَجعلَت تحوضه وتقُولُ بِيدِها هكَذَا، وجعلَت تغرف مِن الْماءِ فِي سِقَائِها وهو يفُور بعد ما تغرف،

قَالَ ابن عباس: قَالَ النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعِيلَ لو تركت زمزم أو قَالَ: لو لم تغرف مِن الْماءِ لكانت زمزم عينا معِينا قَالَ: فَشربت وأرضعت ولدها فَقَالَ لها الْملك: لا تخافُوا الضيعةَ؛ فَإِن ها هنا بيت اللهِ يبنيه هذَا الْغلام وأبوه، وإن الله لا يضِيع أهله

وكانَ الْبيت مرتفِعا مِن الْأَرض كالرابِية، تأتيه السيولُ فَتأخذُ عن يمِينِهِ وشِمالِهِ فكانت كذَلِكَ حتى مرت بِهم رفْقَةٌ مِن جرهم أو أهلُ بيتٍ مِن جرهم مقْبِلين مِن طَرِيق كَداءٍ، فَنزلُوا فِي أسفَل مكةَ فَرأوا طَائِرا عائِفًا فَقَالُوا: إِن هذَا الطائِر لَيدور على ماءٍ لعهدنا بِهذَا الْوادِي وما فِيهِ ماءٌ فَأرسلُوا جريا أو جريين فَإِذَا هم بِالْماءِ فَرجعوا فَأخبروهم بِالْماءِ فَأقْبلُوا.

قَالَ: وأم إِسماعِيلَ عِند الْماءِ فَقَالُوا: أتأذَنِين لَنا أنْ ننزلَ عِندكِ فَقَالَت: نعم ولَكِن لا حق لَكُم فِي الْماءِ قَالُوا: نعم. قَالَ ابن عباس: قَالَ النبي ﷺ: فَأَلْفَى ذَلِك أم إِسماعِيلَ وهِي تحِب الْإِنس فَنزلُوا، وأرسلُوا إِلَى أهلِيهم فَنزلُوا معهم، حتى إِذَا كانَ بِها أهلُ أبياتٍ مِنهم وشب الْغلام وتعلم الْعربِيةَ مِنهم وأنفَسهم وأعجبهم حِين شب"[1]

وابتلي الخليل بأن يذبح ولده فلذة كبده، الذي رزق به على رأس ست وثمانين سنة من عمره، والذي كان يرجوه من الله، وكان ذلك بعد أن بلغ سن الشباب، وهو السن الذي يقطف فيه الوالد ثمرة ولده كما في سورة الصافات قال تعالى حكاية عنه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا

1 _ البخاري(٣٣٤٦)

تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ [الصافات ١٠٠- ١١٠]

وفي هذا يقول أحد الشعراء:

فاضت بالعبرة عيناه ... وأظماه الحلم وأشقـاه

شيخ تتمزق مهجته ... تتندى بالدمع لحـ ـاه

ينتزع الخطوة مهموماً ... والكون يناشد مسـراه

وغلام جاء على كبر ... يتعقب في السير أبـاه

والحيرة تثقل كاهله ... وتبعثر في الدرب خطاه

ويهم الشيخ لغايته ... ويشد الابن بيمنـ ـاه

بلغا في السعي نهايته ... والشيخ بكابد بلـواه

لكن الرؤيا لنبي صد ... ق وقراريرضـ ـ ـاه

والمشهد يبلغ ذروته ... وأشد الأمر وأقصـاه

إذ تمرق كلمات عدلا ... ويقص الوالد رؤيـ ـاه

وأمرت بذبحك يا ولد ... ي فانظر في الأمر وعقباه

أرأيتم قلباً أبويـ ـا ... يتقبل أمراً يأبـ ـ ـ ـاه

أرأيتم ابناً يتلقـ ـى ... أمراً بالذبح ويرضـ ـاه

ويجيب الابن بـ ـلا ... فزع افعل ما تؤمر أبتـاه

لن أعصي لإله أمـراً من يعص يوماً مـ ـ ـولاه

واستل الوالد سكيناً واستسلم ابن لـ ـ ـرداه

ألفاه برفق لجبيـن كي لا تتلقى عينـ ـ ـ ـاه

وتهز الكون ضـرا عات ودعاء يقبله اللـ ـه

ويجيب الرب مـن الأعلى سبقت من قبل عطاياه

صدقت الرؤيـا لا تحزن يا إبراهيم فديتـ ـاه

ويستفاد من هذه القصة: أن المؤمن الحق لا يدخر وسـعاً في طاعـة الله وطلب مرضاته، حتى لو كان يترتب على ذلك الجود بالنفس والولـد؛ لعلمـه أن نفسه وولده ملك لله، ولله ما أعطى وله ما أخذ، وأنه من لوازم الإيمـان أن يـؤثر المؤمن حب الله على حب من سواه بحيث لا يكون في قلبه ما يشغله عـن ذكـره ويعوقه عن طاعته.

فها هو الخليل يبرهن على صدق يقينه وسلامة قلبه وتفريغـه مـن جميـع الشواغل، فيقبل على ذبح ولده بطمأنينة ، وسكينة ، وطيب نفس.

وكذلك ولده إسماعيل لم يكن بالمعوق لأبيه عن تنفيذ أمر ربه، بل كان نعـم العون له، ونعم البار به، ونعم المستجيب لأمر ربه ، الراضي بقضائه، والصابر علـى بلائه.

ومن هذه القصة: نعلم أن الله أرحم على الولد من أبيه، بل هو أرحم به من نفسه، وأنه جل شأنه لا يحب لعباده إلا الخير، ولا يريد أن يكلفهم ما لا طاقة لهم به.

وإذا اختبرهم بشيء فإنما يريد أن يمحص قلوبهم لذكره؛ لكي لا تكـون مـشغولة بغيره غيرةً منه جل شأنه على الصفوة من عباده .

فقد ابتلى خليله إبراهيم غيرة عليه من ابنه الذي بلغ السعي وقرت به عينه، وكاد يشغل به بعض الشيء عما اختاره الله لـه ، وهـي الخلـة كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ (النساء) فأمره بذبحه؛ لينزع منه ما قد يحمله – ولـو للحظة – على التقصير في واجب هذه المرتبة العظيمة، فلما كان لله ما أراد لم يكن هناك داع للذبح، فسلب من السكين قوة التأثير، وفعل ما يستحق منـه التعظـيم والتكريم، وجعل قصته مثلاً للآخرين وعظة للمتقين .

الخطبة الرابعة عشر : قيـــام الليـــل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بـالله مـن شـرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ **[آل عمران: ١٠٢].**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ ، وأحسن الهدي هدي محمدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

أحبتي في الله :

إن قيام الليل له لذة ، وفيه حلاوة وسعادة لا يشعر بها إلا من صف قدميه لله عز وجل ، في ظلمات الليل ، يعبد ربه ، ويشكو ذنبـه ، ويناجي مـولاه ، ويطلب جنته ، ويرجو رحمته ، ويخاف عذابه ، ويستعيذ من ناره.

فهو مطلب يستحق المنافسة ، وهو أفق يستحق السباق ، وهو غاية تستحق الغلاب ، قال تعـالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦] فالـذين

يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفـع وعظـم ، إنمـا يتنافسون في حقير قليل فإن قريب ، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، ولكن الآخرة ثقيلة في الميزان ، فهي إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة.

قال تعالى عن القائمين بالليـل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٦، ١٧]

قال ابن كثير- رحمه الله: تتجافى جنوبهم أي: بقيام الليل

قال بعض السلف: أخفوا لله العمل فأخفى الله لهم الجزاء، فلو قدموا عليه لأقر لهم تلك الأعين عنده [1].

وقال تعالى عنهم: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات:١٧،١٨]

قال ابن زيد عن السحر: هو السدس الأخير من الليل .

قال أبو السعود: إن هؤلاء القوم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون علـى الاستغفار في الأسحار، كأنهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم.[2]

ولله رد القائل :

امنـع جفونـك أن تـذوق منامـا	واذر الـدموع علـى الخـدود سجامـا
واعلـم بأنـك ميـت ومحاسـب	يـا مـن علـى سـخط الجليـل أقامـا
لله قـوم أخلـصوا فـي حبـه	فرضـي بهـم واختـصهم خدَّامـا
قـوم إذا جـن الظـلام عليهـم	بـاتوا هنالـك سـجداً وقيامـا
خمـص البطـون مـن التعفـف	ضمرا لا يعرفون سوى الحلال طعاما

1- شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب الحنبلي صـ:١٠٠، دار ابن رجب.

2- تفسير أبي السعود (١٣٨/٨)، دار إحياء الترث بيروت.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : من صلى ركعتين أو أكثـر بعـد العشاء فقد بات لله ساجداً وقائماً.

وقال الكلبي: من أقام ركعتين بعد المغرب وأربعاً بعد العشاء فقـد بـات ساجداً وقائماً. [1]

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤]

فهؤلاء القوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منـه وأمتـع ، مشغولون بالتوجه إلى ربهم وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ، ينام النـاس وهـم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهو يتطلعون إلى عـرش الـرحمن ذي الجلال والإكرام ، وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلـئ قلـوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم يقولـون ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥] ، وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها ، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم ، وعلى لسان الرسول الأمين ﷺ ، فهذا الخوف النبيل ، إنما هو ثمرة الإيمان العميق ، وثمرة التصديق ، وهم يتوجهـون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

1 - انظر الأثرين في تفسير القرطبي (١٢/ ٧٢)

الأحاديث الواردة في قيام الليل :

ـ عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**ينزلُ ربنا تبارك وتعالى كُل ليلـةٍ إلى السماءِ الدنيا حِين يبقَى ثُلثُ الليل الآخِر فَيقُولُ: من يدعونِي فَأستجِيب لَه، من يسأَلُنِي فَأُعطِيه، من يستغفِرنِي فَأَغْفِر لَه**" (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قَالَ: "**يعقِد الشيطَانُ علَى قَافِيـةِ رأسِ أحدِكُم إذَا هو نام ثَلَاثَ عقَدٍ، يضرب كُل عقْدةٍ عليك لَيلٌ طَوِيلٌ فَارقُد، فَإن استيقَظَ فَذَكَر الله انحلت عقْدةٌ، فَإنْ توضأَ انحلت عقْـدةٌ، فَـإنْ صـلى انحلت عقْدةٌ، فَأصبح نشِيطًا طَيب النفْس، وإلا أصبح خَبِيثَ النفْس كَسلَانَ**"(٢)

وعن عبدِاللهِ رضي الله عنه قَالَ ذُكِر عِند النبِي ﷺ رجلٌ فَقِيلَ: ما زالَ نائِمـا حتـى أصبح ما قَام إلَى الصلَاةِ فَقَالَ: "**بالَ الشيطَانُ فِي أُذُنِه**"(٣)

عن جابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سمِعت النبِي ﷺ يقُولُ: "**إن فِي الليل لَساعةً، لَا يوافِقُها رجلٌ مسلِم يسأَلُ الله خيرا مِن أمرِ الدنيا والآخِرةِ إلا أعطَاه إياه وذَلك كُل ليلـةٍ**"(٤)

وعن عبدِ اللهِ بنِ سلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَما قَدِم رسولُ الله ﷺ الْمدِينةَ انجفَـلَ الناس إلَيهِ وقِيلَ: قَدِم رسولُ اللهِ ﷺ فَجِئْت فِي الناسِ لأنظُر إلَيهِ، فَلَما استبنت وجه

---

1 - البخاري (١٠٧٧) ومسلم (١٢٦١)، وأهل السنة يثبتون صفة النزول لله تعالى علـى الوجـه اللائق به سبحانه، فنزوله ليس كنزولنا فليس كمثله شيء ،وقد أفرد الإمام الدارقطني كتابا لإثبات صفة النزول.

2 - البخاري(١٠٧٤) ومسلم (١٢٩٥) ومعنى يعقد: يربط.

3 - البخاري (٣٠٣٠) ومسلم (١٢٩٣)، وعبد الله هنا هو ابن مسعود، فإذا قيل: عبد الله ولم يحدد فالمقصود ابن مسعود.

4 - مسلم (١٢٥٩) .

رسول اللهِ ﷺ عرفْت أن وجهه لَيس بِوجهِ كَذابٍ، فَكَانَ أَولَ شيءٍ تكَلم بِـهِ أَنْ قَالَ: **"يا أيها الناس أفْشوا السلَام، وأَطْعِموا الطعام، وصلوا بِالليل والناس نِيام، تدخلُوا الْجنةَ بِسلَامٍ"** (١)

وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"رحِم الله رجلًا قَـام مِـن اللَيل فَصلى ثُم أيقَظَ امرأته فَصلت، فَإِنْ أَبت نضح فِي وجهها الْماءَ، ورحِم الله امرأَةً قَامت مِن اللَيل فَصلت ثُم أيقَظَت زوجها فَصلى، فَإِنْ أَبى نضحت[٢] فِي وجهِهِ الْماءَ "[٣]**

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) : عن رسول الله ﷺ قال: "إن في **الجنة غرفاً، يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها"** فقال أبـو مالـك الأشعري: لمن يا رسول الله ؟ قال: **"لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعـام، و بـات قائما و الناس نيام " [٤]**

وعن أَبِي الدرداءِ ﷺ يبلُغُ بِهِ النبِي ﷺ قَالَ:**"من أتى فِراشه، وهو ينوي أَنْ يقُوم فَيصلي مِن اللَيل فَغلَبته عينه حتى يصبِح كُتِب لَه ما نوى، وكَـانَ نومـه صدقَةً علَيهِ مِن ربهِ "[٥]**

---

1 - الترمذي (٢٤٠٩) وابن ماجه (٣٢٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحه (٥٦٩)

2 - ينبغي هنا أن تعلم المرأة أن زوجها يريد القيام، فقد يكون زوجها جاهلاً أو فاجراً فتطبق معـه هذا الحديث فينتج ضرراً كبيراً.

3 - النسائي (١٥٩٢) وأبو داود (١١١٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤).

4 - أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان (٢٧٠) وقال: هذا حديث صحيح علـى شـرط الشيخين، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٩٠)، وابن حبان في باب: إفشاء السلام وإطعام الطعام (٥٠٩) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

5 - ابن ماجه (١٣٣٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٥٩٤١)

وعن أَبِي سعِيدٍ وأَبِي هريرة (رضي الله عنهما) قَالَا: قَالَ رسولُ اللـهِ ﷺ: **"إِذَا أَيقَظَ الرجلُ أَهله مِن الليل فَصليا أو صلى ركْعتين جمِيعا كُتِبا فِي الذاكِرين والذاكِراتِ"** (١)

وعن عائِشةَ (رضِي الله عنها) أَن نِبي اللهِ ﷺ كَانَ يقُوم مِن الليـل حتـى تتفَطر قَدماه فَقَالَت عائِشةُ: لِم تصنع هذَا يا رسولَ اللهِ وقَد غَفَر الله لَك ما تقَـدم مِن ذَنبِك وما تأخر؟ قَالَ: **"أَفَلَا أَحِب أَنْ أَكُونَ عبدا شكُورا، فَلَما كَثُر لَحمـه صلى جالِسا، فَإِذَا أَراد أَنْ يركَع قَام فَقَرأَ ثُم ركَع"** (٢)

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **"عليكم بقيام الليـل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنـهاة عـن الإثم"** (٣)

وعن سهل بن سعد (رضي الله عنهما) قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: **"يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عـن الناس"** (٤)

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: **"أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل"** (٥)

---

1 - أبو داوود (١١١٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٣٣٣).

2 - البخاري (٤٤٥٩) ومسلم (٥٠٤٤) .

3 - صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٤) .

4 - رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب (٦٢٧) .

5 - صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٨) .

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ثلاثة يحبـهم الله ويـضحك** [1] **إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجـل، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبـدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟**

والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل فيقول: يـذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء " [2]

وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول لنا: **"لـيس في الدنيا حسد إلا في اثنتين: الرجل يغبط الرجل أن يعطيه الله المال الكثير فينفق منه فيكثر النفقة يقول الآخر: لو كان لي مال لأنفقت مثل ما ينفق هذا وأحسن فهو يحسده، ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليل وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القران فهو يحسده على قيامه وعلى ما علمه الله عز وجل من القرآن فيقول لو علمـني الله مثل هذا لقمت مثل ما يقوم"** [3]

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عنِ النبِي ﷺ قَالَ:**"لَا حسدَ إِلـا فِي اثْنتين: رجلٌ آتاه الله الْقُرآنَ فَهو يقُومِ بِهِ آناءَ الليل وآناءَ النهارِ، ورجـلٌ آتاه الله مالًا فَهو ينفِقُه آناءَ الليل وآناءَ النهارِ"** [4]

---

1 - ونحن أهل السنة نثبت صفة الضحك لله وكذلك صفة العجب على الوجه اللائق به سبحانه.

2 - حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٩)

3 - قال الشيخ الألباني : حسن لغيره ، انظر الحديث الذي بعد السابق في صحيح الترغيب .

4 - البخاري (١٣٢٠) ومسلم (١٣٥٠).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ الْعاصِ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **"من قَام بِعشرِ آياتٍ لَم يكْتب مِن الْغافِلِين، ومن قَام بِمِائَةِ آيةٍ كُتِب مِن الْقَانِتِين، ومن قَام بِأَلْفِ آيةٍ كُتِب مِن الْمقَنطِرِين"** (١)

واعلم أخي أن هذا غيض من فيض، وإلا فالأحاديث في ذلك كـثيرة لا تحصيها هذه الوريقات .

نماذج من قيام الصحابة وغيرهم (٢):

أولاً :قيام الصحابة :

قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عن أَبِى قَتادةَ رضي الله عنه : أن النبِي ﷺ خرج لَيلَةً فَإِذَا هو بِأَبِى بكْرٍ - رضي الله عنه- يصلى يخفِض مِن صوتِهِ - قَالَ: ومر بِعمر بنِ الْخطابِ وهو يصلى رافِعا صوته قَالَ: فَلَما اجتمعا عِند النبِى -ﷺ- قَالَ النبِى -ﷺ- : « **يا أَبا بكْرٍ مررت بِك وأنت تصلى تخفِض صوتك ». قَالَ : قَد أسمعت من ناجيت يا رسولَ اللهِ.** قَالَ: وقَالَ لِعمر: «**مررت بِك وأنت تصلى رافِعا صوتك ».** قَالَ: فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ أُوقِظُ الْوسنانَ وأَطْرد الشيطَانَ. زاد الْحسن فِى حدِيثِهِ : فَقَالَ النبِى -ﷺ- : « **يا أَبا بكْرٍ ارفَع مِن صوتك شيئًا ».** وقَالَ لِعمر : « **اخفِض مِن صوتك شيئًا »**(٣).

فكيف يدرك حال وعبادة صديق يقول : قد أسمعت من ناجيت ؟!

---

1 - أبو داود (١١٩٠) وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٩): حسن صحيح

2 - من أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى كتاب: "رهبان الليل" للشيخ سيد العفاني، والزهد لابن حنبل وغيرهما.

3 - أبو داود (١٣٣١)وغيره، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١٢٠٤) .

قيام الفاروق عمر ﷺ:

هذا هو عمر بن الخطاب فاروق الأمة الذي زلزل عروش الظـالمين، ودق قلاع الجبارين، فهوت عناكب الظلم أمام رايات عدله الخفاقة وفتوحاته المظفـرة، فأرغم أنوف الروم وحطم كبرياء الفرس، وكانت ملوك الأرض تهابه، ومع ذلـك يقول لمعاوية - ابن قرة-: لو نمت النهار ضيعت الرعية، ولو نمت الليـل ضـيعت نفسي، فكيف النوم بين هذين يا معاوية؟!

يقول عنه ابن عباس (رضي الله عنهما) : كان عمر يصلي معنا العشاء، ثم يجلس معنا، فمن كانت له حاجة قضاها له، ثم يدخل بيته فلا نراه إلا الفجر.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: كان عمر بن الخطاب يصلي كل ليلة ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ويتلو هذه الآيـة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [1]

[طه :١٣٢]

كان ﷺ في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء، وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض[2]

لقد استلذ ﷺ بشراب الدموع :

ولولا صحو السهر والجوع ما بلغ عند الجبل هلال يا سارية [3]

ولله در القائل : فمن يجاري أبا حفص وسيرته أو من يحاول للفاروق تشبيها

---

1 - مالك في الموطأ (١٧٠)، باب: ما جاء في صلاة الليل .

2 - التبصرة (٤٢٨)، دار الكتب ببيروت

3 - السابق

قيام ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]:

تحدث ولا تخرج بكل عجيبة عن البحر أو تلك الخلال الزواهر

ولا عيـب في أخلاقه غير أنها فرائد در ما لها من نظائـ ـ ـر

يقر لها بالفضل كل منـازع إذا قيل يوم الجمع هل من مفاخر

عن ابن سيرين قال: "قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلوه وإنه ليحـي الليل كله بالقرآن في ركعة"

وعن جدة للزبير بن عبد الله يقال لها زهيمة قالت: "كان عثمان يـصوم النهار، ويقوم الليل إلا من هجعه من أوله "

وما كان يوقظ أحداً من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه.

قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة [2]:

عن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعاً ، فكان هو وامرأتـه وخادمه يقسمون الليل ثلاثاً يصلي هذا ثم يوقظ هذا.

وفي رواية أخرى" أن أبا هريرة كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلـث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا.

وكان وأصحابه إذا صاموا قعدوا في السحر قالوا: نطهر سيئاتنا .

رحمه الله ورضي عنه؛ فقد كان يسبح كُل يوم اثنتي عشرة ألف تـسبيحة، يقول: أسبح بقدر ذنبي، فحياته تسبيح واستغفار وقيام .

---

1 - انظر الزهد لابن حنبل صـ ـ ١٥٧،دار الكتب العلمية ببيروت.

2 - رهبان الليل (٣٨٣/١)، مكتبة: معاذ بن جبل.

وصدق من قال فيهم:

القـانتون المخبتـون لربهـ ـ ـ ـم ... النـاطقون بأصـدق الأقـ ـوال
يحيون ليلهم بطاعـة ربهـ ـ ـ ـم ... بـتلاوة وتـضرع وسـ ـ ـؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعـ ـ ـهم ... مثـل انهمـال الوابـل الهطـ ـال
وإذا بدا علم الرهان رأيتهـ ـ ـ ـم ... لعـدوهم مـن أشـجع الأبطـال
بوجودهم أثـر الـسجود لربهـ ـم ... وبهـا أشـعة نـوره المتـ ـ ـلال
ولقد أبان لنـا الكتـاب صـفاتهم ... في سـورة الفـتح المـبين العـال
وبرابع السبع الطـوال صفاتهـ ـم ... قـ ـوم يحبـ ـهم ذو إجـ ـ ـلال
وبراءة والحـشر فيهـا وصفهـ ـم ... وبهـل أتـى وبـسورة الأنفـال

قيام ترجمان القرآن وحبر الأمة – عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)[1] **:**

عن عبد الله بن أبي ملكية قال: صحبت ابن عباس (رضي الله عنهما) من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب: كيف كانت قراءتـه ؟ قال: قرأ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ (ق: ٩)

فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج.

ولقد قام الليل وهو ابن عشر سنين مع النبي ﷺ ، وأعد له وضوءه من الليل فدعا له.

1 - السابق صـ ـ ٣٨٦

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "صليت مع النبي ﷺ فقمـت إلى جنبه عن يساره، فأخذني فأقامني عن يمينه، قال: وقال ابن عباس: وأنا يومئذ ابـن عشر سنين" [1]

وفي لفظ مسلم: "فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني اليمنى يفتلها" [2]

قال **النووي**: إنما فتلها؛ تنبيها له من النعاس.

ولكم يخشع القلم أمام حبر الأمة وهو يحي الليل، وهو غلام لم يتجاوز بعد العاشرة ، ويجعل همه حين يبيت عند خالته ميمونة أن "لا أنام حتى أنظر ما يـصنع في صلاة الليل" كما ورد في الحديث.

عزم في نفسه على السهر ليطلع على الكيفية التي يصلي بها رسـول الله ﷺ، ثم خشي أن يغلبه النوم فيوصي خالته كما يحدثنا ، فقلت لميمونة: إذا قام رسول الله ﷺ فأيقظيني.

ثم انظر إلى أدبه: فقمت فتمطيت؛ كراهة أن يرى أني كنت أرقبه، وكأنـه خشي أن يترك رسول الله ﷺ بعض عمله؛ لما جرى من عادته أنه كان يترك بعض العمل؛ خشية أن يفرض على أمته، ويكابد السهر وطوله مع رسول الله ﷺ وهـو يحي معظم الليل .

انظر إلـى جبهـة الغلام الطيب المبارك وهي تسجد لربها قـدر قـراءة خمسين آية .. في ظلال الليل ويعطف رسول الله ﷺويشفق على حبر الأمة فيقـول ابن عباس (رضي الله عنهما) عن رسول الله: "وضع يده اليمنى على رأسي بـأذني

---

1 - البخاري(٦٨٤).

2 - مسلم (١٢٧٧).

اليمنى يفتلهـا، فجعـل يمسح بها أذني فعرفت أنه إنما صنع ذلك؛ ليؤنسني بيـده ظلمة البيت "

ثانياً : قيام التابعين:

قيام سيد التابعين: سعيد بن المسيب – رحمه الله [1]**:**

عن عبد الله بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة، وكان يسرد الصوم .

وعن ابن حرملة: قلت لبرد مولى ابن المسيب: ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال: ما أدري، إنه ليصلي صلاة كثيرة، إلا أنه يقرأ بـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾

قال عاصم بن العباس الأسدي: وكان سعيد بن المسيب يذكر ويخـوف، وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيكثر، وسمعته يجهر ببسم الله الـرحمن الـرحيم، وكان يحب أن يسمع الشعر، وكان لا ينشده ورأيته يمشي حافيا .

قيام الأحنف بن قيس سيد أهل البصرة – رحمه الله :

الأحنف بن قيس هو صاحب الحزم والرأي ، كان عامة صـلاته بالليـل الدعاء، وكان يضع المصباح قريبا منه، فيضع إصبعه عليه فيقول: حِس يا أحنف! ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا؟! يعني: كذا وكذا.

انظر إلى حال التابعي الكبير وقيامه ومحاسبته لنفسه، ومـع هـذا يـدعو بالمصحف حتى يعلم من هو، فينشر المصحف، فمـر بقـوم: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ (الـذاريات)، ومر بقوم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ

1 - رهبان الليل(٤٢٦/١)

ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (السجدة) ، فوقـف ثم قال: "اللهم لست أعرف نفسي هاهنا" [1]

قيام النساء:

قيام عائشة (رضي الله عنها) [2]:

يقول القاسم: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة (رضي الله عنها) فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح – أي تصلى – وتقرأ قولـه تعـالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[الطور: ٢٧] حتى مللت القيام، فذهبت إلى الـسوق ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي.

إذا كانت هذا نهارها، فكيف تكون إذا جن الليل؟! يكفي من قيامها ما قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) عنها: قال : إنها أعلم الناس بوتر رسول الله ﷺ، أعلم الناس بليل رسول الله وقيامه .. تقصه وتوضحه لأهل الأرض جميعا .

وإذا كان رسول الله سيد العابدين، فالصديقة العالمة بليله وقيامـه ووتـره سيدة المجتهدات.

قيام زينب بنت جحش (رضي الله عنها) [3] :

قالت عنها عائشة (رضي الله عنها) عند موتها: لقد ذهبت حميدة متعبدة ، ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدي أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت: وكانت لرسول الله معجبة وكانت يستكثر منها، وكانت صالحة صـوامة

1 - السابق صـ ـ ٤٢٧.

2 - رهبان الليل (٨/٢).

3 - السابق صـ ٩.

قوامة، وعند البخاري: دخل النبي ﷺ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: **"ما هذا الحبل ؟"** قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي ﷺ : " **لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"**، رضي الله عنك يا أم المؤمنين يـا مـن زوجك الله من فوق سبع سموات .

الآثار- عن التابعين- في **فضل قيام الليل:**

قال الفضيل ابن عياض (رحمه الله) :إذا لم تقدر على قيام الليـل وصـيام النهار فاعلم أنك محروم ،وقد كثرت خطيئتك [1].

قال الحسن البصري – رحمه الله: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليـل، ونفقة هذا المال فقيل له: ما بال المجتهدين من أحسن الناس وجوهاً ؟

قال: لأنهم خلوا بالرحمن؛ فألبسهم نوراً من نوره [2].

وقال مالك بن دينار (رحمه الله) [3]: سهوت ليلة عن وردي ونمت ، فـإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي : أتحـسن تقـرأ ؟، فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأمـاني	عن الأبيض الأوانس في الجنـان
تعيش مخلداً لا موت فيها	ونلهو في الجنان مع الحسـ ـان
تنبه من منامك إن خيراً	من النوم التهجد بالقـ ـ ـرآن

1 - سير أعلام النبلاء (٤٣٥/٨).

2 - إحياء علوم الدين،الجزء الأول، الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل.

3 - السابق.

ويروى أن أزهر بن مغيث (رحمه الله) – وكان من القوامين – أنه قـال : رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها :من أنت ؟

قالت حوراء.

فقلت :زوجيني نفسك .

فقالت :اخطبني من سيدي وامهرني ، فقلت :وما مهرك ؟ قالت طول التهجد .

قال محمد بن الحسين : بلغني عن شيخ من المتعبدين أنه كان له ورد مـن الليل يقومه ففتر عن ورده ذات ليلة ، قال فإذا أنا بجارية قد وقفت على رأسي كأن وجهها قمر وبيدها رق وفيه مكتوب ، فقال أيها الشيخ أتقرأ ؟ قلـت : نعـم ، قالت: اقرأ ما في هذا ، فأخذته ، فقرأته ، فإذا فيه:

ألهتك لذة نومة عن خير عيش ... مع الخير في غرف الجنـ ـان

تعيش مخلداً لا موت فيـ ـه ... وتنعم في الجنان مع الحسـان

تيقظ من منامك إن خيـراً ... من النوم التهجد بالقـرآن .

قال فما ذكرتها ساعة إلا ذهب عني النوم [1].

وعن ثابت البناني – رحمه الله - قال : ما شيء أجده في قلبي ألذ عنـدي من قيام الليل .

وعن سفيان (رحمه الله) قال: إذا جاء الليل فرحت وإذا جاء النهار حزنت.

وقال بعضهم – أي بعض السلف : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ، وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل : وما أطيب ما فيها ؟

1 - فضل قيام الليل والتهجد رقم (٢٢)، دار الخضيري بالمدينة.

قال : محبة الله ومعرفته وذكره .

وقال آخر: إنه لتمر علي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب

ويقول ابن تيمة- رحمه الله : إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة – يعني جنة ذكر الله [1]

****

متى يقوم الإنسان من الليل ؟

من قام أول الليل أو أوسطه فلا مانع من ذلك، وفي كل خير، غير أن آخر الليل أفضل؛ لأنه الأمر الذي استقر عليه فعل النبي ﷺ؛ فقد جـاء في الـصحيحين وغيرهما من طريق مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: (من كل الليل قـد أوتـر رسول الله ﷺ فانتهى وتره إلى السحر) [2]

وفـي روايـة لمسلم من طريق يحيي بن وثّاب عن مسروق عـن عائـشة (رضي الله عنها) قالت: (من كل الليل قد أوتر رسـول الله ﷺ مـن أول الليـل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر) [3].

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الوتر من بعد صلاة العشاء، سواء جمعـت جمع تقديم مع المغرب، أو أخرت إلى منتصف الليل، وأما قبل صلاة العـشاء فـلا يصح على الراجح [1].

---

1 - من أول: عن ثابت إلى قول ابن تيمية هذا كله مـن كتـاب أحكـام قيـام الليـل ، لـسليمان العلوان(٣/١-٤)، دار الإيمان بالإسكندرية.

2 - البخاري (٩٤١)، ومسلم(١٢٣٠)

3 - مسلم (١٢٣١).

وصدق من قال فيهم:

فلو ذاق الغافل شراب أنسهم في الظـلام

أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيـ ـام

وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقـ ـ ـ ـدام

وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقـ ـ ـ ـدام

وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكـ ـلام

وضربوا على شواطيء أنهار الصدق الخيام

وركزوا على باب اليقين بالحق الأءـ ـلام

وركبوا مطايا الشوق إلى دار السـ ـ ـلام

وصارت جنود حبهم والناس في الغفلة نيـام

ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأوهام

نورهم يخجل شمس الضحى ويذري بدر التمام

فإذا نازلهم الموت طاب لهم كأس الحمـ ـ ـام

وإذا دفنوا في الأرض فخرت بحفظها تلك العظام

1 - أحكام قيام الليل صـ ـ ٧، ٨.

وقال آخر :

تتجافى جنوبهم عن لذيذ المضاجع
كلهم بين خائف ومستجير وطامع
تركوا لذة الكرى للعيون الهواجـع
ورأوا أنجم الدجى طالع بعد طالـع
واستهلت دموعهم بانصباب المدافع
فأجيبوا إجابة لم تقع في المساميـع
ليس ما تفعلونه أوليائـي بضائـع
تاجروني بطاعتي تربحوا في البضائع

إذا اعتاد الرجل قيام الليل نبه لذلك:

قال ابن مسعود ﷺ: « إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل ، أيقظه إما سنور ، وإما صبي، وإما شيء، فيستيقظ فيفتح عينيه ، وقد وكل به قرينان ، قرين سوء ، وقرين صالح ، فيقول قرين السوء: افتح بشر، نم إن عليك ليلاً طويلاً مـا تسمع صوتاً ولا قيام أحد، فإن نام حتى يصبح ، أتاه الشيطان فبال في أذنه فأصبح ثقيلاً كسلاناً خبيث النفس مغبوناً ، ويقول الملك: افتح بخير، قم فـاذكر ربـك وصل، فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر الله وأثنى عليه وصلى على الـنبي ﷺ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ثم يصبح طيب النفس قد أصاب خيراً »[1]

1 - مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي صـ ١٠٥، دار: حديث أكـاديمي، فيـصل آبـاد بكستان

ماذا يفعل من فاته الوتر حتى أذن الفجر ؟

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) الأول والثاني [1] دليل أن الوتر لا يكون بعد طلوع الفجر، إذا طلع الفجر انتهى وقت الوتر، فإذا غلبه النوم قبل طلوع الفجر صلى من النهار، لكن يصلي شفعاً، فإذا كـان من عادته أن يوتر بثلاث صلى أربعاً، وإن كان من عادته أن يوتر بخمس صلى ستاً ... وهلم جرا . [2]

الأمور الميسرة لقيام الليل:

اعلم أخي المسلم أن قيام الليل من أثقل الطاعات على النفوس، إلا من يسره الله عليه، وهناك أمور لو تمسك بها الإنسان ليسرت عليه قيام الليل.

وهذه الأمور تنقسم إلى قسمين: أمور ظاهرة وأخرى باطنة.

الأمور الظاهرة:

١- أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام، وقد قيل: لا تأكل كثيراً فتشرب كثيراً فتنام كثيراً فتخسر كثيراً.

٢- أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيى بها الجوارح، وتضعف بهـا الأعصاب؛ فإن ذلك مجلبة للنوم .

٣- أن يتجنب ارتكاب المعاصي؛ فإن ذلك مما يقسي القلب، ويحول بينه وبـين أسباب الرحمة .

---

1 - يشير إلي حديث ((صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خفت الصبح فـأوتر بواحـدة)) رواه مـسلم وحديث ((كان النبي يصلي من الليل مثنى مثنى ،ويوتر بركعة)) متفق عليه .

2 - شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٢١)، دار الصفا.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد ! إني أبيت معافى وأحـب قيـام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال: قيدتك ذنوبك. [1]

وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. [2]

٤- الاستعانة بالقيلولة [3]**:**

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: **« استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل وبأكلة السحر على صيام النهار »**[4].

ومر الحسن (رحمه الله) بقوم في السوق فرأى منهم ماراً فقال: أمـا يقيـل هؤلاء؟ قالوا: لا، قال: «إني لأرى ليلهم ليل سوء ».

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: « القائلة من عمل أهل الخـير، وهي مجمة للفؤاد مقواة على قيام الليل ».

وعن مجاهد (رحمه الله) : بلغ عمر أن عاملاً له لا يقيل، فكتب إليه: أما بعد « فقل ، فإن الشيطان لا يقيل»[5]

٦- أن يعرف فضل قيام الليل:

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان ، بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام .

---

1 - من (١) إلى (٤) مأخوذ من كتاب المبتكرات للشيخ : وحيد بن بالي ، ص: ٣٦٨،٣٦٧

2 - مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة في باب الأسباب الميسرة لقيام الليل .

3 - مختصر قيام الليل للمروزي صـ ١٠٤

4 - كنز العمال (٢١٤٨٥).

5 - حديث ((قيلوا فإن الشيطان لا يقيل)) حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٦٤٧) بلفظ ((قيلوا فإن الشياطين لا تقيل))

قال أبو سليمان (رحمه الله) : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهـل اللـهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا [1].

الأمور الباطنة [2] **:**

١- سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا.

٢- خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخـرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره .

وقد قيل:

منع القـرآن بوعده ووعيـ ـده مقل العيون بليلها أن تهجعـا

فهموا من الملـك الجليل كلامـه فرقابهم ذلت إليه تخضـ ـ ـعا

٣- أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار فـإن ذلـك يدفعه إلى العمل وييسر عليه المشقة .

٤- تذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله، ولا يشعر بهذه الحلاوة وتلك اللذة إلا من أخلص الحب لله وجرد الاتباع لرسول الله ﷺ ، قال تعـالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل:عمران:٣١]

1 - السير (١٠/١٨٤).

2 - المبتكرات ص: ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠باختصار بسيط.

الخطبة الخامسة عشر: السبع المثاني

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمور محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلَالَةٌ، وكُل ضلَالَةٍ فِي النارِ.

أحبتي في الله :

إننا نقرأ سورة الفاتحة على الأقل سبع عشرة مرة في اليوم، ومع ذلـك فـإن كثيراً من المسلمين يقرؤنها ولا يفهمون معناها، فهم بالنسبة إليها بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون من الكتاب إلا أماني، والقرآن نزل؛ ليتدبر الناس آياته وليتذكروا ما فيـه، قال تعالى:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص :٢٩]

فما بالك بهذه السورة التي هي أعظم سورة في القرآن الكريم؟! والعجـب أننا ندعو في كل ركعة من صلواتنا بهذا الدعاء العظيم الذي ترتج به المـساجد، إلا أن الكثير من الناس لا يعرف على ماذا أمن خلف الإمام .

وعدم معرفة معنى الدعاء سبب لحجب الإجابة، ومن أسباب عدم إجابـة الدعاء غفلة القلب ولهوه عن الدعاء، قال رسول الله ﷺ :"**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافل لاهٍ**" (١)

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن دعاء الفاتحة:

والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهـو مـضطر إلى مقصود هذا الدعاء، وأن لا نجاة من العذاب، ولا وصول إلى الـسعادة إلا بهـذه الهداية.

مرحلة نزول سورة الفاتحة:

للعلماء ثلاثة أقوال:

منهم من قال: نزلت قبل الهجرة، ومنهم من قال: نزلت بعد الهجرة، ومنهم من قال: نزلت مرتين مرة قبل الهجرة، ومرة بعد الهجرة.

والظاهر – والله أعلم: أنها نزلت قبل الهجرة على الراجح من أقوال أهـل العلم، والدليل على ذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] ، وهذه الآية في سورة الحجر، وسـورة الحجـر مكيـة بالإجماع (كما نقله القرطبي).

1- الترمذي (٣٤٧٩) ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٥٣).

وقد فسر النبي ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة ، فكما أن الحجـر مكيـة وفيها هذه الآية إذن فإن الفاتحة مكية.

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة، وقـال النبي ﷺ : **"لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب"** [1]

فضائل سورة الفاتحة:

(١) أن الصلاة لا تصح إلا بها، فكما أن عمود الإسلام الصلاة، فكـذلك عمود الصلاة الفاتحة،كما أخبر ﷺ: "لَا صَلَاةَ لِمن لَم يقْـرأ بِفَاتِحـةِ الْكِتابِ" [2]

(٢) أنها أعظم سورة في القرآن [3] كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلي عن أَبِي سعِيدِ بنِ الْمعلى رضي الله عنه قَالَ: كُنت أُصلي فِـي الْمسجِدِ فَدعانِي رسولُ اللهِ ﷺ فَلَم أُجِبه فَقُلْت: يا رسولَ اللهِ إِنـي كُنت أُصلي فَقَالَ: **أَلم يقُل الله (استجِيبوا لِلهِ وللرسول إِذَا دعاكُم لِما يحيِيكُم) ثُم قَالَ: لِي لأُعلمنك سورةً هِي أَعظَم الـسورِ فِـي الْقُرآن قَبلَ أَنْ تخرج مِن الْمسجِدِ** ثُم أَخذَ بِيدِي، فَلَما أَراد أَنْ يخرج قُلْت لَه: أَلم تقُلْ لأُعلمنك سورةً هِي أَعظَم سورةٍ فِي الْقُرآنِ؟ قَـالَ:

1- البخاري (٧٥٦) ، مسلم (٩٠٠).

2 _ البخاري(٧١٤) ومسلم (٥٩٥)

3- سؤال : وهل القرآن يتفاضل ؟ الجواب : إن القرآن لا يتفاضل باعتبار المتكلم به لأن المتكلم بـه هو الله ، ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته.

الحمد لِلهِ رب العالمِين هِي السبع المثَانِي والقُرآنُ العظِيم الـذِي أوتيته" [1]

(٣) أن لها شأناً عظيماً في الرقية: كما في صحيح البخاري من حـديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسا مِن أصحابِ النبِي ﷺ أتوا علَى حـي مِـن أحياءِ الْعربِ فَلَم يقْروهم، فَبينما هم كَذَلِك إِذْ لُدِغَ سيد أُولَئِك فَقَالُوا: هلْ معكُم مِن دواءٍ أَو راقٍ؟ فَقَالُوا: إِنكُم لَم تقْرونا ولَا نفْعلُ حتـى تجعلُوا لَنا جعلًا. فَجعلُوا لَهم قَطِيعا مِن الشاءِ فَجعلَ يقْرأُ بِأُم الْقُـرآن ويجمع بزاقَه ويتفِلُ، فَبرأَ فَأَتوا بِالشاءِ فَقَالُوا: لَا نأْخذُه حتى نسأَلَ النبِي ﷺ فَسأَلُوه فَضحِك وقَالَ: "**وما أدراك أنها رقْيةٌ خذُوها واضرِبوا لِي بِسهمٍ**" [2]

(٤) أنها نور، ونزلت خاصةً بالنبي ﷺ دون سائر الأنبياء، ونزل بالبشارة بها ملك ، ووعد ﷺ بإعطاء ما احتوى عليه معناها :

كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قَالَ: بينمـا جِبرِيلُ قَاعِد عِند النبِي ﷺ سمِع نقِيضا مِن فَوقِهِ، فَرفَع رأْسه فَقَالَ: "**هذَا بـاب مِـن السماءِ فُتِح الْيوم لَم يفْتح قَطإِلا الْيوم فَنزلَ مِنه ملَك فَقَالَ: هذَا ملَك نزلَ إِلَـى الْأَرضِ لَم ينزلْ قَطإِلا الْيوم، فَسلم وقَالَ: أَبشِر بِنورينِ أُوتيتهما لَم يؤتهما نبِـي قَبلَك فَاتِحةُ الْكِتابِ، وخواتِيم سورةِ الْبقَرةِ، لَن تقْرأَ بِحرفٍ مِنهما إِلا أُعطِيته**" [3]

1- البخاري(٤١١٤)

2- البخاري (٥٢٩٥)

3- مسلم (١٣٣٩)، والنقيض هو صوت الباب إذا فتح .

وهذا الوعد من الله لرسوله ﷺ في هذا الحديث بأن يعطي ما حوته الفاتحة وخواتيم سورة البقرة من فضائل وخصائص، وهذا وعد له ولمن تبعه من أمته على حسب إخلاصهم لله، ومتابعتهم لرسوله ﷺ .

****

أسماء سورة الفاتحة:

إن لسورة الفاتحة أسماءً عديدة، وكثرة الأسماء دليل على عظم المسمى، لذلك أكثر الله من أسمائه سبحانه ومن أسماء يوم القيامة وأسماء الجنة وأسماء النار ،..

ومن أسماء سورة الفاتحة المأثورة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والصلاة ، والرقية ؛ لأن أبا سعيد رقى بها، والشافية، إلى غير ذلك من الأسماء.

****

تفسير سورة الفاتحة:

[بسم ٱللَّهِ] لأهل العلم في تفسيرها أقوال، فمنهم من قال: معناها: أقرأ بسم الله، أو أبدأ بسم الله، ومنهم من قال: أي بالله .

ومنهم من قال: إن معنى قوله تعالى:(بسم الله) يعني بـدأت بعـون الله وتوفيقـه وبركته، قال: وهذا تعليم من الله تعالى عباده؛ ليذكروا اسمه عند افتتـاح القـراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله عزوجل.

وأما عن المعنى الإجمالي لها فقد قال القرطبي في مقدمته للتفسير: قال العلماء: (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من الله عز وجل أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده

أن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفي لكم بجميع مـا تضمنته هذه السورة من وعدي ولطفي وبري، وقال بعض العلماء: إنها تـضمنت جميع الشرع؛ لأنها تدل على الذات وعلى الصفات [1].

****

[الله]: هو العلم على ذات الله المختص بالله لا يجوز أن يتسمى به غيره.

سؤال: هل لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم؟ وما هو وجه القائلين بذلك ؟

الجواب : لا أعلم دليلاً على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم، لكن قـد قال بذلك بعض أهل العلم، ووجه قولهم يتمثل في الآتي:

أولاً: أنه اسم لله تبارك وتعالى لم يتسم به غيره كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥]

ثانياً: أنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾

[الحشر : ٢٢-٢٣]

وكما قال تعالى في الأعراف ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] [2]

وقال ﷺ: **"إن لله تسعةً وتسعين اسماً"** [1]

1- القرطبي في تفسيره (٧٣١١)

2- وانظر معنى الآية عند الكلام على آية الكرسي من نفس الكتاب .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ [الأنعام :٣]

وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] (٢)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ من العلماء من قال: إنهما بمعنى واحد .

ولكن الجمهور يقولون: (الرحمن) خاص الاسم عام الفعل، و(الرحيم) عام الاسم خاص الفعل.

فالرحمن اسم خاص بالله تعالى لايجوزأن يتسمى به غيره قال تعالى : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠] ، فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبـادة عزل وجل. وقد تجاسر مسيلمة الكذاب لعنة الله ، فتسمى برحمان اليمامـة ، ولم يتسم به حتى قرع مسامعة نعت الكذاب فألزمه الله نعت الكذاب لذلك ، وإن كان كل كافر كاذباً ، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علماً يعرف به ألزمه الله إيـاه ، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة، وذلك لحديث عمر بن الْخطابِ ﷺ قـال: قَدِم علَى النبِي ﷺ سبي فَإِذَا امرأَةٌ مِن السبي قَد تحلُب ثَديها تسقِي إِذَا وجـدت صبِيا فِي السبي أَخذَته فَأَلْصقَته بِبطْنِها وأَرضعته فَقَالَ لَنا النبِي ﷺ: **" أترونَ هـذِهِ طَارِحةً ولَدها فِي النارِ؟** قُلْنا: لَا وهِي تقْدِر علَى أَنْ لَا تطْرحه **فَقَالَ: للـه أَرحـم بِعبادِهِ مِن هذِهِ بِولَدِها"** (٣)

1- البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧)، ولاحظ الكلام على هذا الحديث عنـد الكـلام علـى آيـة الكرسي من الكتاب .

2- التسهيل لتأويل التنزيل للشيخ العدوي ، ص: ١٩، ٢٠.

3- البخاري (٥٥٤٠) ومسلم (٤٩٤٧) .

وأما (الرحيم) فهو خاص الفعل بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين، ويجوز أن يتسمى به غيره سبحانه، كما سمى سبحانه رسوله رحيما.

ورحمته سبحانه بالمؤمنين تتمثل في أمور منها: اللطف بهم وهدايته إياهم ونحو ذلك.

****

ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب :

(١) عند الابتداء الطعام: فقد قال النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة: "**يا غلام سـم الله**...."[1]

وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول: بسم الله

وقال النبي ﷺ: "**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه**"[2]

وأكد النبي ﷺ على ذكر الله فقال ﷺ: "**من نسي أن يذكر الله عز وجـل في أول طعامه فليقل حين يذكر: بسم الله أوله وآخره؛ فإنه يستقبل طعاماً جديـداً، أو يمتنع الخبيث ما كان يصيب منه** "[3]

(٢) شرعت التسمية عند الذبيحة:

قال تعالى : ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ الأنعام :١١٨]

1- البخاري (٤٩٥٧) ومسلم (٣٧٦٧) .

2- البخاري (٥٠٧٤) ومسلم (٣٦٣٨) .

3- ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٥٩) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة(١٩٨)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام : ١٢١

وقال النبي ﷺ: **"ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل"**وهو في الصحيحين.

(٣) **وتشرع التسمية** في **الصباح والمساء**: فالله عزوجل يحفظ بها، فقد قال الـنبي ﷺ :**" ما مِن عبدٍ يقُولُ فِي صباح كُل يومٍ ومساءِ كُل لَيلَةٍ: بِسمِ اللهِ الذِي لَا يضر مع اسمِهِ شيءٌ فِي الأَرض ولَا فِي السماءِ، وهو الـسمِيع العلِـيم ثَلَاثَ مراتٍ لَم يضره شيءٌ"**(١)

(٤) **وتشرع التسمية عند دخول البيت**: فقد قال النبي ﷺ: **"إِذَا دخلَ الرجلُ بيته فَذَكَر الله عِند دخولِهِ وعِند طَعامِهِ قَالَ الشيطَانُ: لَا مِبيت لَكُم ولَا عشاءَ، وإِذَا دخلَ فَلَم يذْكُرِ الله عِند دخولِهِ قَالَ الشيطَانُ: أدركْتم الْمِبيت، وإِذَا لَم يذْكُرِ الله عِند طَعامِهِ قَالَ: أدركْتم الْمِبيت والْعشاء"**(٢)

(٥) وتشرع عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية:

عن عطاء أنه سمِع جابِر بن عبدِاللهِ رضي الله عنه يقُولُ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **"إِذَا كَانَ جنح الليل أو أمسيتم فَكُفوا صِبيانكُم؛ فَإِن الشياطِين تنتشِر حِينئِذٍ، فَـإِذَا ذَهب ساعةٌ مِن الليل فَخلوهم فَأَغْلِقُوا الأَبواب واذْكُروا اسـم اللـهِ؛؛ فَـإِن الشيطَانَ لَا يفْتح بابا مغلقًا، وأَوكُوا قِربكُم، واذْكُروا اسم اللهِ وخمروا آنِيتكُم واذْكُروا اسم اللهِ، ولَو أَنْ تعرضوا علَيها شيئًا، وأَطْفِئُوا مصابِيحكُم"** (٣)

1- الترمذي (٣٨٥٩) وابن ماجه (٣٣١٠) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٦٤٢٦) .

2- مسلم (٣٧٦٢) .

3- البخاري (٥١٩١) ومسلم (٢٧٥٦) .

(٦) **وتشرع التسمية عند الوضوء :**

لقول النبي ﷺ: **"لا وضوء** لمن لم **يذكراسم الله عليه"**[1]

(٧) وعند الجماع:

عن ابن عباسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **" لو أن أحدهم إِذَا أراد أنْ يأتي أهله قَالَ: بِاسمِ اللهِ اللهم جنبنا الشيطَانَ وجنبِ الشيطَانَ ما رزقْتنا؛ فَإِنه إِنْ يقدر بينهما ولَد فِي ذَلك لم يضره شيطَانٌ أبدا"** [2]

(٨) عند النوم:

عن أَبِي هريرةَ ﷺ **قَالَ: قَالَ النبِي** ﷺ: **"إِذَا أوى أحدكُم إِلَى فِراشِهِ فَلْينفُض فِراشه بِداخِلَةِ إِزارِهِ؛ فَإِنه لَا يدري ما خلَفَه عليهِ، ثُم يقُولُ: بِاسمِك رب وضعت جنبِي وبِك أرفَعه، إِنْ أمسكْت نفْسِي فَارحمها، وإِنْ أرسلْتها فَاحفَظْها بِما تحفَظُ بِهِ عِبادك الصالِحِين "**[3]

(٩) عند الرقية:

عن أَبِي سعِيدٍ الخدري ﷺ أن جِبرِيلَ أتى النبِي ﷺ فَقَالَ:" **يا محمد اشتكَيت؟ فَقَالَ: نعم قَالَ: بِاسمِ اللهِ أرقِيك مِن كُل شيءٍ يؤذِيك، ومِن شر كُل نفْسٍ أو عين حاسِدٍ الله يشفِيك، بِاسمِ اللهِ أرقِيك "** [4]

1- ابن ماجه (٣٩٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٧٥١٤) .

2- البخاري (٤٧٦٧) ومسلم (٢٥٩١) .

3- البخاري (٥٨٤٥)

4- مسلم (٤٠٥٦) .

وعن عثْمانَ بنِ أَبِي الْعاصِ الثقَفِي ﷺ أنه شكَا إِلَى رسول اللهِ ﷺ وجعـا يجِده فِي جسدِهِ منذُ أَسلَم فَقَالَ لَه رسولُ اللهِ ﷺ: **"ضع يدك علَى الذِي تألم مِن جسدِك وقُلْ: بِاسمِ اللهِ ثَلَاثًا، وقُلْ سبع مراتٍ: أعوذُ بِاللهِ وقُدرتِهِ مِن شر مـا أَجِد وأُحاذِر"** (١)

(١٠) عند وضع الميت في القبر:

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قَالَ:**"إِذَا وضعتم موتاكُم فِي الْقَبر فَقُولُوا: بِسمِ اللهِ وعلَى مِلةِ رسول اللهِ ﷺ "**(٢)

(١١)عند ركوب الدابة:

قال تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾

[هود:٤١]

عن أَبِي الْمليحِ عن رجلٍ قَالَ: كُنت رِدِيف النبِي ﷺ فَعثَرت دابةٌ فَقُلْت: تعِس الشيطَانُ فَقَالَ:" **لَا تقُلْ تعِس الشيطَانُ؛ فَإِنك إِذَا قُلْت ذَلك تعاظَم حتى يكُـونَ مِثْلَ الْبيتِ، ويقُولُ: بِقُوتِي ولَكِن: قُلْ بِسمِ اللهِ؛ فَإِنك إِذَا قُلْت ذَلك تـصاغَرَ حتى يكُونَ مِثْلَ الذبابِ "**(٣)

1- مسلم (٤٠٨٢) .

2- أحمد (٤٥٨١)، وصححه الشيخ الألباني في مختصر إراواء الغليل (٤٧٤) .

3- أبو داوود(٤٣٣٠) وصححه الشيه الألباني في صحيح سنن أبي داوود(٤٩٨٢) .

(١٢) عند دخول الخلاء:

جاء عن عِلي بن أَبِي طَالِبٍ ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ:"**ستر ما بين أعـين الْجِن وعوراتِ بِني آدم إِذَا دخلَ أحدهم الْخلَاءَ أَنْ يقُولَ بِسمِ اللهِ**" (١)

ملحوظة : اعلم أن التسمية عند هذه المواضع السابقة تكون بلفظ: (بـسم الله) فقط ولا تكون (بسم الله الرحمن الرحيم) **إلا** في المواضع التي وردت فيهـا فقط كالصلاة وعند قراءة القرآن؛ وذلك لأن لكل مقام مقالاً.

وقد وردت التسمية كاملة عند كتابة الرسائل:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل :٣٩]

وأرسل رسول اللهﷺ رسالة إلى هرقل فيها: "بِسم اللهِ الرحمنِ الرحِيمِ مِن محمدٍ عبدِ اللهِ ورسولِهِ إِلَى هِرقْلَ عظِيمِ الرومِ سلَام علَى من اتبع الْهدى أَما بعـد فَإِني أَدعوك بِدِعايةِ الْإِسلَامِ أَسلِم تسلَم .... " (٢)

وقد ورد في صحيح الأدب المفرد عن أنس بن سيرين قال كتبت لابن عمر (رضي الله عنهما) فقال: اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: إلى فلان.." (٣)

هل البسملة جزء من الفاتحة ؟

الجواب : قولان للعلماء، والراجح قول الجمهور أنها آية منفصلة عن السور عموما ونزلت للفصل بين السور؛

1- الترمذي (٥٥١) وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٥٠) .

2- البخاري (٢٧٢٣) ومسلم (٣٣٢٢) .

3- صححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٧٠) .

وذلك لقول رسول اللهِ ﷺيقُولُ:" **قَالَ الله تعالى: قَسمت الصلَاةَ بينـي وبين عبدِي نِصفَين ولعبدِي ما سأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعبد: (الْحمد لِلهِ رب الْعالَمِين) قَالَ الله تعالَى: حمِدنِي عبدِي، وإِذَا قَالَ: (الرحمن الرحِيمِ) قَالَ الله تعـالَى: أَثْنى علَي عبدِي، وإِذَا قَالَ: (مالِكِ يومِ الدين) قَالَ: مجدنِي عبدِي وقَالَ مرةً: فَوض إِلَي عبدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِياك نعبد وإِياك نستعِين) قَالَ: هذَا بينِي وبـين عبدِي ولعبدِي ما سأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهدِنا الصراطَ الْمستقِيم صِـراطَ الـذِين أَنعمت علَيهِم غَيرِ الْمغضوبِ علَيهِم ولَا الضالين) قَالَ: هذَا لِعبدِي ولعبدِي ما سأَلَ**"[1]

****

هل يجهر الإمام بالبسملة في الصلاة ؟

قولان للعلماء :

القول الأول : أنه لا يجهر بها لما ذكره أنس ﷺ كما في الصحيحة من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[2].

وفي رواية لمسلم من حديث أنس أيضاً : صليت مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم [3]

القول الثاني : من قال بالجهر بها ، وهؤلاء يستندون لحديث رواه النـسائي مـن طريق نعيم بن المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة ﷺ فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم

1- مسلم (٥٩٨) .

2- البخاري (٧٢٢)

3- مسلم (٦٣٤).

ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ فقال : آمـين ، فقال الناس : آمين .

الراجح هو القول الأول والله تعالى أعلى وأعلم .

****

هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية ؟

الجواب : يرى الجمهور أنها لا تجب عليه، واستدلوا بحديث: **"من كانَ لـه إمـام فَقِراءَةُ الإمامِ لَه قِراءَةٌ "** (١)

واستدلوا كذلك بقوله تعـالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف:٢٠٤] ،

وحديث البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهـو راكِع فَركَع قَبلَ أنْ يصِلَ إلى الصف فَذَكر ذَلك لِلنبي ﷺ فَقَـالَ: **"زادك اللـه حِرصا ولا تعد "** (٢)

أما القائلون بأن القراءة تجب على المأمور حتى في الجهرية فهـم الحنابلـة واستدلوا بحديث **(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)** ، والخلاف في هذا وسـع ، فهذا من الخلاف الذي وسع السلف فمن بات أولى أن يسعنا ، وإن كان الـراجح لدي والله أعلم هو رأي الجمهور.

****

1- ابن ماجه (٨٤٠) وأحمد (١٤١١٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع(٧٤٨٧) .
2- البخاري (٧٤١) .

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

الحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له أو وصف المحمود بالكمال.

ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الجواب : الحمد يكون على كل حال في السراء والضراء، والشكر يكـون عنـد النعمة الحاضرة فقط .ويدل على ذلك قوله ﷺ : **"إذَا مات ولد العبدِ قَـالَ اللـه لِملَائِكَتِهِ: قَبضتم ولد عبدِي؟ فَيقُولُونَ: نعم فَيقُولُ: قَبـضتم ثَمـرةَ فُـؤادِهِ؟ فَيقُولُونَ: نعم. فَيقُولُ: ماذَا قَالَ عبدِي؟ فَيقُولُونَ: حمِدك واسترجع. فَيقُـولُ الله: ابنوا لِعبدِي بيتا فِي الْجنةِ، وسموه بيت الْحمدِ"** (١)

وكذلك الحمد يكون بالقلب واللسان فقط، أما الشكر فيكـون بالقلـب واللسان والجوارح قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ:١٣]

سؤال: هل يجوز للإنسان أن يثني على نفسه؛ لأن رب العزة قد أثنى على نفسه؟

الجواب : لا يجوز ؛ لأن الله قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء:٤٩]

وكما في صحيح مسلم عن أَبِي معمرٍ قَالَ: قَام رجلٌ يثْنِي علَى أَمِـيرٍ مِـن الْأُمراءِ فَجعلَ الْمِقْداد يحثِي علَيهِ التراب وقَالَ: أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ نحثِي فِـي وجوهِ الْمداحِين التراب(٢)

1- الترمذي (٩٤٢) وحسنه(لغيره)الشيخ الألباني في الصحيحة (١٤٠٨) .

2- مسلم(٥٣٢٢) .

ولقد جوز بعض العلماء ذلك إذا أمنت الفتنة ولم يخش من ثناء الناس عليه مفسدة ، وإنما رجي الانتفاع للشخص المثنى عليه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

الله تعالى حمد نفسه؛ لأنه رب العالمين، و(العالمين) جمع عالم، وهو كل مـا سوى الله تعالى، أو كل المخلوقين لكنهم أصناف، عالم البشر، وعالم الحيوان، وعالم الأفلاك، حتى السموات والأرض والنجوم والشمس والقمر.

ومعنى الرب [1]أي الخالق والمالك والمدبر.

****

قولـه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ الرحمن هو ذو الرحمة الواسعة، والـرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين .

وهذا ثناء لتكرار وصف الكمال .

****

قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

وفي قراءة أخرى (مِلك)، والجمع بين القراءتين يستفاد منه فائدة لا تحصل بانفراد إحداهما: وهي إثبات الملكية والتصرف لله؛ لأنه قد يوجد ملـك لكنـه لا يتصرف في ملكه والذي يتصرف فقط هم الوزراء فهذا ملك بلا ملك [2]

1- كلمة الرب إذا أطلقت تدل على الله سبحانه، وكذلك إذا قيدت بإضافة؛ فإنها تدل علـى الله مثـل (رب السموات والأرض) ، وقد تدل على غير الله كقولنا: رب الدار أي صـاحبها ومالكهـا، وقوله تعالى (أما أحدكما فيسقي ربه خمراً)أي: سيده .

وهذا واضح في ملوك بني أمية وبني العباس وغيرهم، فهم كانوا مجرد صورة فقط، وفـي عـصرنا الحديث تجد رئيس الدولة مجرد منصب فقط، والمهيمن على الأمور هو رئيس الوزراء أو غيره.

ما الفرق بين ملك ومالك ؟

قال القرطبي: إن وصف الله سبحانه بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته، وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله [1] .

و(يوم الدين) هو يوم الجزاء والحساب.

إذا كان الله مالكا للدنيا والآخرة، فلماذا اختار اليوم الآخر ؟

لأنه في ذلك اليوم يظهر ملك الله واضحاً ، ويتلاشى ملك كل ملك .

قـال تعـالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر:١٦].

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار: ١٩]

****

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (تفيد الحصر)

وهنا التفات من المخاطب إلى الغيبة.

والالتفات : هو تغيير أسلوب الخطاب أو تحويل الكلام من وجه إلى آخر ، وفائدته: دفع السآمة والملل عن قارئ القرآن .

قال الزمخشري في **الكشاف**: وذلك على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد. [1]

1- تفسير القرطبي (١/ ١١٥) .

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة،

والعبادة لا تكون إلا لله وحده، فلو صرف منها شيء لغير الله فقـد وقـع صاحبه في الشرك، فلو أن إنساناً يقرأ هذه الآية ثم خرج من المسجد فجعل يسجد لقبر فلان أو فلان ، أو يدعو صاحب هذا القبر أن يعطيه، فهذا وقع في الشرك ولم يصدق مع الله. (٢)

وشرط قبول أي عمل أي لكي يؤجر الإنسان على عمله فلا بـد مـن شرطين للعمل:

الشرط الأول: الإخلاص . والشرط الثاني: المتابعة .

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]

قال ابن كثير: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الـصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل ، لابد أن يكـون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ (٣)

1- انظر تفسيرالكشاف (١/ ٥٦،٥٧)، دار إحياء التراث .

2- وينبغي عليك أخي الخطيب – بارك الله فيك – أن تركز على هذه النقطة؛ لأن تصحيح العقيدة هو الأساس، وقد ظل النبي ثلاث عشرة سنة يصحح العقيدة، وبدون عقيدة صحيحة يـضيع العمـل على صاحبه، وكذلك تركز على حديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...."

3- تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٣)

وهذا كثير جداً في القرآن .

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

وهذه أيضاً تفيد الحصر، لكن المراد بذلك استعانة العبادة ولا تكون إلا لله عزوجل.

وهنا عطف الخاص على العام، والعام هو العبادة وهي - كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمة الله) اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضـاه مـن الأفعـال والأقوال الظاهرة والباطنة ،

والاستعانة من أنواع العبادة فكانت العبادة تتضمن الاستعانة من غير عكس ،فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به بلا عكس ، وهذا من باب عطف الخـاص على العام

هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟

الجواب : نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه، والأدلة على ذلك كثيرة منها أن النبي ﷺ استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هادياً خريتاً، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة .

وقالت جويرية لرسول الله ﷺ :(جئت أستعين بك في مكاتبتي).

وكذالك قالت بريرة لعائشة (رضي الله عنها) [1].

واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله ﷺ من تبوك هذا كله مع اعتقاد أن الناصرالحقيقي والقادر هو الله سبحانه وتعالى [1].

1- البخاري (٢٧٦٧) .

فهذا كله جائز؛ لأنه ليست استعانة عبادة، وليست هذه مما لا يقدر عليه، بل المراد أن يعين أخاه قـال تعـالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢]

وقال النبي ﷺ: **"ويعين الرجلَ على دابتِه فيحمِلُ عليها أو يرفَـع عليهـا متاعه صدقةٌ "(٢)**

ولقول النبي ﷺ كما عند مسلم: **"من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه"(٣)**

****

قوله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾

الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه .

والهداية نوعان:

هداية الدلالة: قال تعالى:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾[فصلت:١٧]

وهذه تسمى هداية الدلالة أي التوضيح والبيان، ولكنه قد يوفق أو لا .

وهداية التوفيق: وهذه ليست إلا لله؛ قال تعـالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ [القصص:٥٦]

وهذه دعاء لله تعالى بأن يوفقنا للهدايتين جميعاً، والضمير هنا يعود إلى الأمة الإسلامية رفيعة المقام عزيزة المنال، فإننا ندعوا لأنفسنا وللأمة جميعاً .

1- التسهيل (١/ ٥١-٥٤)

2- البخاري (٢٣٧٥) ،

3- مسلم(٤٠٧٨) .

قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ فالخطاب لله عزوجل، وهم أربعة أصناف بينهم الله في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩]

وهم كما يلي :

النبيون: ويدخل فيهم الرسل من باب أولى؛ لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً،

والفرق بينهما:

أن الرسول هو رجل من بني آدم أوحي إليه بشرع ، وأمر بتبليغه .

والنبي: أوحي إليه ولكنه يتبع شرع من قبله .،

ومعلوم أن الأخص يدخل في الأعم .

(**الصديقون):** هم الذين قالوا الصدق وصدقوا به قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر:٣٣]

فمن قال الصدق وصدق به فهو الصديق، ومن قال الكذب أو كذب بالصدق فليس بالصديق ، عن عبدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : "**عليكُم بالصدق فَإن الصدق يهدِي إِلى البِر وإن البِر يهدِي إِلى الجنةِ وما يزالُ الرجلُ يصدق ويتحرى الصدق حتى يكْتب عِند اللهِ صِديقًا وإياكُم والكَذِب فَإن الكَذِب**

يهدِي إِلى الْفُجورِ وإِن الْفُجور يهدِي إِلى النارِ وما يزالُ الرجلُ يكْذِب ويتحرى الْكَذِب حتى يكْتب عِند اللهِ كَذابا " (١)

(الشهداء) هم الذين قتلوا في سبيل الله، وقيل: هم العلمـاء ولا تعـارض بـين القولين؛ والقاعدة في التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين لا يتناقضان أو أكثر من معنيين فإنها تحمل عليهما جميعاً ؛ لأن ذلك الوسع في مدلولها،

فإن كانا المعنيان يتناقضان رجح أحدهما وترك الآخر.

مثال المعنيين الذين لا يتناقضان قوله تعالى: (الشهداء) فإنها فسرت بالذين قتلوا في سبيل الله وبالعلماء فلا تناقض .

ومثال المعنيين المتناقضين قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة:٢٢٨] والقروءُ جمع قَرء بالفتح، وفسر القرء بالحيض أو الطهر والمعنيـان متعارضان، ولا يمكن أن يجتمعا، فلا بد من الترجيح .

والراجح أن معناه الحيض؛ لأن النبي ﷺ قال في الاستحاضة: "**دعِي الصلاةَ أيـام حيضِكِ ثُم اغْتسِلِي وتوضئِي عِند كُل صلاةٍ وإِنْ قَطَر على الْحصِيرِ**"(٢)

(الصالحون) هم الذين صلحوا في ظاهرهم وباطنهم، وصلاح الإنسان يكون بفعل الأوامر وترك النواهي، لكن لا يصل إلى درجة الصديقين والشهداء ولكن يكـون دون ذلك.

****

1- مسلم (٤٧٢١) .

2- ابن ماجه(٦١٦)، وأحمد (٢٣٠١٦) وصححه الشيخ الألباني في الإرواء(١٠٩) .

وقوله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

المغضوب عليهم: هم الذين علموا الحق ولم يعملو به، وعلى رأسهم اليهود ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠]

فاليهود علموا الحق ويعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم ولكن كـذبوه فصاروا عالمين بالحق وليسوا عاملين به.

والضالون:

الضلال في كلام العرب: هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ضـل اللبن في الماء أي غاب، ومنه قوله تعالى حكاية عن الكفـار: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [السجدة :١٠] أي غبنا بالموت وصرنا تراباً .

وهم من لم يعلموا بالحق وصاروا يتخبطون في عبادتهم، وعلـى رأسـهم النصارى، فالنصارى ضالون لعدم علمهم بالحق، لكنهم إذا علموا الحق ولم يعملوا به صاروا من جنس اليهود،

فأنت في كل صلاة تسأل الله أن يوفقك لصراط الذين أنعم الله عليهم، وأن يجنبك صراط الذين غضب الله عليهم أو أضلهم .

ولذلك قال سفيان الثوري – رحمه الله: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى؛ لأن النصارى عبدوا الله على ضلال، واليهود استكبروا عن عبادة الله بعد علم [1].

1- نداء الريان للعفاني (٨٨/١)، دار: ماجد.

وفي **النهاية** : يقول القاريء: آمين، وهو اسم فعل بمعنى استجب.

وتقول: آمين بدون تشديد الميم؛ لأنك لو شددت الميم وقلت: آمين فسد المعـنى، ويكون المعنى حينئذٍ: قاصدين .

هل آمين آية من الفاتحة؟

الجواب : ليست آية من الفاتحة لأمور منها:

عدم وجود دليل على أنها آية، وعدم إثباتها في المصاحف [1]

هل يجهر بـ ـ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يسر بها ؟

ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يجهر بآمين خلـف الإمـام في الـصلاة الجهرية واستدلوا بأدلة منها :

الأول: أن النبي ﷺ كان يمد صوته بآمين

الثاني : قول النبي ﷺ: **"ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين"** [2]

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بها والرأي الأول أقوى لكثرة الأدلة عليه [3]

فضل التأمين:

ورد في الصحيحين عن أَبي هريرة أن النِبي ﷺ قَالَ:"**إِذَا أمـن الإمـام فَأمنوا فَإنه من وافَق تأمِينه تأمِين الملاَئِكَةِ غُفِر له ما تقَدم مِن ذَنبِهِ**"

1- التسهيل ١/ ١٣٦.

2- صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٦١٣).

3- السابق (١/ ١٤٠) .

وقَالَ ابن شِهابٍ: "وكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقُولُ آمِين "[1]

ولا بد من القراءة باللسان؛ لأن بعض الناس يقرأ بقلبه يعني بدون نطق، فهذا لا يجزؤه قراءة في الصلاة ولا قراءة على أن يحصل على عشر حسنات في كل حرف ،

والقراءة بالعين كذلك لا تجزيء؛ لأن بعض الناس يفتح المصحف ثم ينظـر إلى الصفحات فينظر إلى الصفحة اليمين بالعين ويتابع الحروف بعينه، وينظـر إلى الصفحة اليسرى كذلك، ثم يقلب، فتستغرق قرأته بالعين حوالي دقيقة واحـدة ، فهذا لا يثاب على قرائته.

****

بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة:

المسألة الأولى: هل الفاتحة ركن في الصلاة ؟

نعم هي ركن في كل ركعة من كل صلاة فرضاً أو نفلاً، جهريةً كانت أو سريةً، وهذا مذهب الجمهور [2]، وهو الراجح في المسألة ويدل عليه قول النبي ﷺ: "**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**" [3] ، وقوله ﷺ للمسيء صلاته:"ثم **اقرأ بـأم القرآن** ثم **اقرأ بما شئت**" وغير ذلك من الأدلة التي لا تحصى .

1- البخاري (٧٣٨) مسلم (٦١٨)

2- واعلم أخي أن الخلاف معتبر في هذه المسألة، فالخلاف فيها يسعنا، فلا تثريب على من يأخذون بقول أبي حنيفة في هذه المسألة، وهو أن الفاتحة لا تتعين قراءتها ويجزئ قراءة آية من القرآن.

3- مسلم (٤٤)

المسألة الثانية: من لم يستطع حفظ الفاتحة ؟

قال الخطابي: الأصل أن الصلاة لا تجزيء إلا بقراءة فاتحة الكتاب،ومعقول أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لا يحسنها ، فإذا كان المصلي لا يحـسنها ويحسن غيرها من القرآن كان عليه أن يقرأ منه قدر سبع آيات؛ لأن أولى الـذكر بعد الفاتحة ما كان مثلها من القرآن، وإن كان ليس في وسعه أن يتعلم شيئاً مـن القرآن؛ لعجز في طبعه ، أو سوء في حفظه ، أو عجمة في لسانه ، أو عاهة تعرض له، كان أولى الذكر بعد القرآن ما علّمه النبي ﷺ من التسبيح والتحميد والتـهليل ...

قلت – الشيخ أبو مالك: وهو قوله لمن لم يستطع حفظ الفاتحة: "**قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**"[1]

المسألة الثالثة: إن عجز عن قراءة غير الفاتحة؟

قال القرطبي: فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الإمام والإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله، وعليه أبداً أن يجهد نفـسه في تعلـم فاتحـة الكتاب، فما زاد إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله.

المسألة الرابعة: هل ما زاد عن الفاتحة واجب ؟

الجواب : ذهب الجمهور إلى أن ما زاد على الفاتحة من القراءة ليس بواجب؛ لمـا رواه مسلم عن عطَاءٍ قَالَ: قَالَ أبو هريرة: فِي كُل الصلَاةِ يقْرأُ قَما أسمعنا رسولُ اللهِ ﷺ أسمعناكُم، وما أخفَى مِنا أخفَينا مِنكُم. فَقَالَ لَه رجـلٌ: إِنْ

1- صحيح فقه السنة (١/ ٣٢١) التوفيقية

لم أزد على أم القرآن؟ فقال: إنْ زدت عليها فهو خير، وإن انتهيت إليها أجزأت عنك" (١)(٢)

المسألة الخامسة : اعلم أنه يجب الإنصات للإمام حين يقرأ القرآن في الصلاة، وذلك لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

[الأعراف :٢٠٤]

ولكن يستثنى من هذا العموم قراءة الفاتحة، وذلك لما ورد عن عبادةَ بنِ الصامِتِ رضي الله عنه قالَ: كُنا خلْف رسول اللهِ ﷺ فِي صلاةِ الْفَجرِ فَقرأ رسولُ اللهِ ﷺ فَثَقُلَت عليهِ الْقِراءَةُ، فَلما فَرغَ قالَ: **لعلكُم تقْرءُونَ خلْف إمامِكُم**؟ قُلْنا: نعم هذا يا رسولَ اللهِ قالَ:"**لا تفْعلُوا إلا بِفَاتِحةِ الْكِتابِ؛ فَإنه لا صلاةَ لِمن لم يقْرأ بِها**" (٣)

وعلى هذا فالإنسان يقرأ الفاتحة مع الإمام، فإذا أدركه وهو يقرأ الفاتحة فإنه يقرأها مع الإمام أثناء سكتاته، وإن فصلت القراءة بكلمة آمين ، فليس عليه إعادة ما قراءه، وعليه أن يتمها، فإذا أدرك الإمام وهو يقرأ السورة التي بعد الفاتحة قرأ – أي المأموم – الفاتحة فقط ثم أنصت للإمام وذلك للحديث السابق .

المسألة السادسة: إذا أدرك الإمام راكعاً :

ذهب الجمهور إلى أنه قد أدرك الركعة ولا إعادة عليه، ويشهد لهذا حديث أبي بكرة في صحيح البخاري أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكِع فَركَع قَبلَ أنْ يصِلَ إلى الصف فَذَكر ذَلك لِلنبي ﷺ فَقَالَ:"**زادك الله حِرصا ولا تعد**"(٤)

1- مسلم (٦٠٠) .

2- المسألة الثالثة والرابعة من تفسير القرطبي(١٠٠، ١٠١)

3- أبو داوود (٧٠١) وصححه الشيخ الألباني في أصل صفة صلاة النبي (١/ ٣٢١)

4- البخاري (٧٤١)

الخطبة السادسة عشر: تفسيـــر آيـــة الكرســـي

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ **[آل عمران: ١٠٢].**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

إخوة الإيمان :

إن آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم؛ وذلك للحـديث الـذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:"**يا أبا المنذِر أتدري أي آيةٍ مِن كِتابِ اللهِ معك أعظم؟**" قَالَ: قُلْت: الله ورسـولُه أعلم. قَالَ: "**يا أبا المنذِر أتدري أي آيةٍ مِن كِتابِ اللهِ معك أعظم؟** قَالَ: قُلْت:

(**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**) قَالَ: فَضرب فِي صدرِي، وقَالَ: "**واللهِ لِيهنِك العِلْم أبا المنذِر**" [1].

سؤال : وهل القرآن يتفاضل ؟

لا يتفاضل باعتبار المتكلم به ؛ لأنه الله لأن المتكلم به هو الله سبحانه وتعالى ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته .

فضائل آية الكرسي :

(١) عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: وكلَّنِي رسولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زكَاةِ رمضانَ فَأَتانِي آتٍ فَجعلَ يحثُو مِن الطعامِ فَأَخذْته فَقُلْت: لَأَرفَعنك إِلَى رسول اللهِ ﷺ. وَذَكَر الْحدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أويت إِلَى فِراشِك فَاقْرأْ آيةَ الْكُرسِي؛ لَن يزالَ علَيك مِن اللهِ حافِظٌ ولَا يقْربك شيطَانٌ حتى تصبِح فَقَالَ النبِي ﷺ: "**صدقك وهو كَذُوب ذَاك شيطَانٌ**" [2].

(٢) وعن حديث أبي أمامة ﷺ أنه قال ﷺ :"**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة** لم **يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**" [3]

1 - مسلم (١٣٤٣)، ومعنى ليهنك العلم هذه منقبة لأبي أن علمه كثير .

2 - البخاري(٣٠٣٣).

3 - الطبراني في المعجم الكبير(٧٤٠٨)، و صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٤) .

ولقد اشتملت هذه الآية على عشر جمل:

(١) الجملة الأولى: قوله تعالى: [ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ]

[ٱللَّهُ]: هو الاسم المفرد العلم الدال على كل الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو الاسم الذي ما ذكر في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم ولا غم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه.

وهو الاسم الذي تكشف به الكربات ، وتقال به العثرات ، وتستنزل بـه البركات ، وتجاب به الدعوات ، وتدفع به السيئات ، وتستجلب به الحـسنات ، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات ، وبه أنزلت الكتب وبـه أرسـلت الرسل، وبه شرعت الشرائع ، وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد ، وبه انقـسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء ، وبه حقت الحاقة ، ووقعت الواقعة ، وبه نـصب الصراط ، وبه قام سوق الجنة والنار ، وبه عبد رب العالمين وحمد .

قال ابن القيم: الإله بمعنى المألوه، أي: المعبود حبا وتعظيما.

قد يقول قائل: لقد ثبتت الألوهية لغير الله؛ قال تعالى :﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١ ﴾

[سورة هود ١٠١]

الجواب: أنها ألوهية ناقـصة؛ لأن الله قـال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾

[سورة الحج : ٦٢]

وكذلك هي ألوهية ليس فيها تعظيم للمألوه ولا حب له، فتجـد الواحـد منهم مثلاً يصنع إلهاً من الحلوى، فإذا جاع أكله، وإذا خسروا في تجارة أو انهزمـوا في معركة يرجعون فيسبون آلهتهم إذن فليس فيها تعظيم لهم ولا حب لهم.

****

١ـ **قولـه تعالى:** [لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] هنا محذوف تقديره: أي لا معبود حق إلا الله ٠ ولقد اشتملت هذه الجملة على نفي وإثبات .

قال العلماء: إن النفي المحض (أي : لا إله) ليس توحيداً، والإثبات المحض (أي: إلا الله) ليس توحيداً، فلا بد أن تنفي وتثبت فتقول: لا إله إلا الله .

لأن النفي المحض تعطيل محض ، والإثبات المحض ينفي مشاركة الغير في الحكم.

****

٢ـ **قولـه تعالى** [ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ] اسمان جليلان عظيمان جامعان لكمال الأوصـاف والأفعال؛ فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم.

و[ال] هي الدالة على الاستغراق من حيث البقاء ومن حيث الكمال، أي ذو الحياة الكاملة.

أما حياة البشر فهي ناقصة من عدم إلى عدم في الدنيا، وحياته سـبحانه لم تسبق بعدم؛ قال تعالى:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨)، قال تعـالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن ٢٧]

و[ٱلْقَيُّومُ] هو القائم بنفسه القائم على غيره، قال تعـالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [سورة الرعد : ٣٣]

قد يقول قائل:كيف ذلك والله تعـالى يقـول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ [محمد:٧]

الجواب: المعنى إن تنصروا دين الله من مجاهدة للنفس والتسلح للأعـداء، وإيثـار الآخرة وغير ذلك ينصركم الله على أعدائكم .

****

٣- قوله تعالى : [لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ]

قال القرطبي رحمه الله: النعاس هو ما كان في العين، فإذا صار في القلـب صـار نوماً.

لماذا لم يقل:[لا ينام] ؟

قال العلماء: لا ينام بالغلبة ولا بالاختيار . لماذا ؟

لأن النوم صفة نقص؛ ولا ينبغي للإله أن يوصف بصفات النقص .

عن أَبِي موسى ﷺ قَالَ: قَام فِينا رسولُ اللهِ ﷺ بِخمسٍ كَلِماتٍ فَقَالَ:"**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أنْ ينام، يخفِض الْقِسطَ ويرفَعه، يرفَع إِلَيهِ عملُ الليـل قَبلَ عمل النهارِ وعملُ النهارِ قَبلَ عمل الليل، حِجابه النور، لو كَشفَه لأحرقَت سبحات وجهِهِ ما انتهى إِلَيهِ بصره مِن خلْقِهِ**"[1]

1 - مسلم (٢٦٤)

قال العلماء: إن كلمة (لا ينبغي) في القرآن والسنة تعني: الـشيء الممتنـع غايـة الامتناع قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

[سورة مريم :٩٢]

فكل الخلق في **حاجة** إلى الله حتى **النائم؛ والدليل على ذلك قول النبي** ﷺ **عنـد النوم: "إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبـادك الصالحين"**[1]

****

وقولـه تعالى: [لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ] هذه تسمى عنـد العلمـاء بالـصفات السلبية، ولا يوجد في صفات الله تعالى صفات سلبية محض، إنما تذكر لبيان كمال الضد كما قال العلماء؛ فذكرت هنا لبيان تمام حياته وقيومته .

والصفات السلبية : هي ما نفاه الله عن نفسه وهي متضمنة لثبوت كمال ضده.

****

٤- قولـه تعالى : [لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ]

ما: اسم موصول للعموم والشمول، فتشمل الأعيان والأحوال.

قال بعض العلماء: أي تشمل ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً .

قد يقول قائل: السموات سبع فكم تكون الأرض؟

الجواب: سبع أيضا .

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق :١٢]

---

1 - البخاري (٥٨٤٥) ومسلم (٤٨٨٩)، واللفظ للبخاري .

قال العلماء: المثلية هنا هي مثلية العدد .

لماذا أفردت الأرض وجمعت السموات ؟

لأن السموات خلقت من أجناس مختلفة، بينما الأرض فخلقت من جنس واحـد، وهو التراب .

****

٥- **قوله تعالى :** [مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ]

هنا استفهام الغرض منه التحدي؛ بدليل الإثبات بعده (إلا بإذنه)، ومتى جاء النفي بصيغة الاستفهام فقد خرج مخرج التحدي .

ما هي شروط الشفاعة ؟

(١) إذن الله فيها.

(٢) رضاه عن الشافع.

(٣) رضاه عن المشفع .

ما هي الشفاعة لغة واصطلاحا ؟

لغة : اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ [الفجر :٣]

اصطلاحا:التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة .

فمثلا: شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف لدفع المضرة، وشفاعته لأهل الجنة لجلب منفعة لهم .

الآيات التي أثبتت الشفاعة:

هذه الأية – أي آية الكرسي - وقولـه تعـالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمـر:٤٤] وغيرهما من الآيات الـتي أثبتت الشفاعة

وهناك آيات نفت الشفاعة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الشعراء:١٠٠]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤]

وغير ذلك من الآيات التي فيها نفي الشفاعة

والجمع بين الآيات التي أثبتت والتي نفت كما يلي[1]:

(١) لا بد أن نعلم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله؛ لقولـه تعـالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [سورة الزمر : ٤٤].

1 - وقد نفت المعتزلة والخوارج الشفاعة ، وجعلوا صاحب الكبيرة مخلداً في نار جهـنم احتجاجـاً بالآيات التي يظهر منها نفي الشفاعة، ولم يجمعوا بينها وبين آيات إثبات الشفاعة ، كما فعل أهل السنة الذين هم دائماً وسط في كل شيء، فهم وسط بين الغلو والتفريط ، وهنا جعلوا – أي أهـل السنة - صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء أدخله النار وإن دخـل النـار فإنه لا يخلد فيها، وانظر تفصيل ذلك في شروح الطحاوية .

(٢) أنه لا شفاعة في الكافرين :

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر:١٨]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: " **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهِ آزر قترةٌ وغبرةٌ، فيقُولُ له إبراهيم: ألم أقُلْ لك لا تعصِني؟! فيقُولُ أبوه: فاليوم لا أعصِيك. فيقُولُ إبراهِيم: يا رب إنك وعدتِني أنْ لا تخزِيني يوم يبعثُونَ فأي خِزي أخزى مِن أبي الأبعدِ؟ فيقُولُ الله تعالى: إني حرمت الجنـةَ على الكافِرين. ثُم يقَالُ: يا إبراهِيم ما تحت رِجليك؟ فينظُر فإذَا هـو بِـذِيخ ملتطِخ، فيؤخذُ بِقوائِمِهِ فيلقى فِي النارِ**"[1]

ولكن يستثنى من ذلك شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب [2] .

(٣) أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله ؛ قـال تعـالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة آية : ١٥٥]

(٤) أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله قال تعـالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]

---

1 - البخاري (٣١٠١) ومعنى ذيخ: ذكر الضباع .

2 - البخاري (٣٥٩٤) ومسلم (٣٠٨) عن أبي سعِيدٍ الْخُدري ﷺ أنه سمِع رسولَ اللهِ ﷺ وذُكِـر عِنْده عمه أبو طَالِبٍ فَقَالَ: " **لعله تَنْفَعه شَفَاعتِي يوم الْقِيامةِ فيجعلُ فِي ضحضاحٍ مِن النارِ يبلُـغُ كعبيهِ يغْلِي مِنْه أم دِماغِهِ**" والضحضاح: موضع لا عمق له .

(٥) أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها

قال تعـالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس:١٨]

وقـال تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر:١٤،١٣]

أقسام الشفاعات:

قسم العلماء الشفاعة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشفاعات في الآخرة: وهي التي يشفعها المـصطفى ﷺ والنبيـون والصالحون والشهداء وشفاعة الجبار وغيرها .

القسم الثاني : شفاعة قوم أحياء لقوم قد ماتوا:كشفاعة الأبناء لآبائهم الذين ماتوا كما جاء عند أحمد بسند حسن عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللـهِ ﷺ: **"إن الله عز وجل ليرفع الدرجةَ لِلعبدِ الصالِحِ فِي الجنةِ فيقُولُ: يـا رب أنى لِي هذِهِ؟. فيقُولُ: باستِغفارِ ولدِك لك"** (١)

1 - أحمد (١٠٢٠٢)، وقد سبق، وهو صحيح .

القسم الثالث: الشفاعات التي بين أهل الدنيا في دنياهم :

وهذه منها ما هو مشروع كما قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء:٨٥]

كما جاء عند البخاري من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن مغيثًا كانَ عبدا فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ اشفَع لي إليها. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **يا بريرةُ اتقي الله؛ فإنه زوجكِ وأبو ولدِكِ.** فَقَالَت: يا رسولَ اللهِ أتأمرني بذَلك؟ قَالَ: **لا إنما أنا شافِع**، فَكَانَ دموعه تسِيلُ علَى خدهِ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ لِلْعباسِ: **ألا تعجب مِن حب مغيثٍ بريرةَ وبغضِها إياه؟**"[1]

وكقوله ﷺ: " اشفعوا تؤجروا"[2]

ومنها ما هو محرم كالشفاعة عند السلطان لإسقاط واجب كما في حديث عائشةَ أن قُريشا أهمهم شأنُ المرأةِ المخزومِيةِ التي سرقَت فَقَالُوا: من يكلم فيها رسولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: ومن يجترئ عليهِ إلا أسامةُ حِب رسول اللهِ ﷺ؟ فَكلمه أسامةُ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **أتشفَع في حد مِن حدودِ اللهِ؟ ثُم قَام فَاختطب فَقَالَ: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكُم أنهم كانوا إذَا سرق فيهم الشريف تركُوه وإذَا سرق فيهم الضعِيف أقَاموا عليهِ الحد، وايم اللهِ لو أن فَاطِمةَ بِنت محمدٍ سرقَت لقَطعت يدها**"[3]

---

1 - أبو داوود (٩٠٤) والدارمي (٢١٩٠)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح(٣١٩٩)

2 - البخاري (١٣٤٣) .

3 - البخاري (٦٢٩٠٩) ومسلم (٣١٩٦)

ومن هذا القسم المحرم أيضاً إعطاء حق شخص لآخر**عن طريق ما يعـرف** بالرشوة؛ فعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: لعن رسولُ اللهِ ﷺ الراشِي والْمرتـشِي"[1] أو أي طريق أخرى غير الرشوة من طرق أكل أموال الناس بالباطل .

كيف تنال الشفاعة ؟

(١) قراءة القرآن والعمل به :

- وذلك لما روي عن أَبي أُمامةَ الْباهِلي -ﷺ- قَالَ: سمِعت رسولَ اللـهِ ﷺ يقُولُ: **"اقْرءُوا الْقُرآنَ؛ فَإنه يأتي يوم الْقِيامةِ شـفِيعا لِأصـحابِهِ اقْـرءُوا الزهراوين الْبقَرةَ وسورةَ آل عِمرانَ؛ فَإنهما تأتِيان يوم الْقِيامـةِ كَأنهمـا غَمامتان أو كَأنهما غَيايتان أو كَأنهما فِرقَان مِن طَيرٍ صواف تحاجان عن أصحابِهما، اقْرءُوا سورةَ الْبقَرةِ؛ فَإن أخذَها بركَةٌ وتركَها حـسرةٌ ولـا تستطِيعها الْبطَرةُ"[2]**

قال الخازن: قال أهل اللغة: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وعَبرة وغيرهما، والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين [3].

ومعنى فرقان: جماعتان أو قطيعان، وطير صواف: طير يبسط أجنحته، والبطرة: السحرة .

(٢) سكنى مدينة رسول الله ﷺ:

وذلك للحديث عن أَبِي سعِيدٍ مولَى الْمهرِي أنه جاءَ أبا سعِيدٍ الْخدرِي لَيالِي الْحرةِ فَاستشاره فِي الْجلَاءِ مِن الْمدِينةِ وشكَا إِلَيهِ أسعارها وكَثْرةَ عِيالِهِ، وأخبره

---

1 - الترمذي (١٢٥٦) وأبو داوود (٣١٠٩)، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (٣٧٥٣) .

2 - مسلم (١٣٣٧)

3 - تفسير الخازن (١/ ٢٥)، دار الفكر

أنْ لا صبر له على جهدِ الْمدِينةِ ولأْوائِها فَقَالَ له: ويحك لا آمرك بِذَلِك؛ إِني سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: **لا يصبِر أحد على لأْوائِها فَيموت إِلا كُنت لَه شفِيعا أو شهيدا يوم الْقِيامةِ إِذَا كَانَ مسلِما"**[1]

(٣) الصلاة على النبي محمد ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكريره لما يقوله المؤذن: عن عبدِ اللهِ بن عمرِو بن الْعاصِ (رضي الله عنهما) أنه سمِع النبي ﷺ يقُولُ:" **إِذَا سمِعتم الْمؤذنَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يقُولُ، ثُم صلوا علي؛ فَإِنه من صلى علي صلاةً صلى الله علَيهِ بِها عشرا، ثُم سلُوا اللهَ لِي الْوسِيلَةَ؛ فَإِنها منزِلَةٌ فِي الْجنةِ لا تنبغِي إِلا لِعبدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرجو أَنْ أَكُونَ أَنا هو، فَمن سأَلَ لِي الْوسِيلَةَ حلت له الشفَاعةُ"**[2]

(٤) الصلاة على الأموات:

وذلك لقوله ﷺ :"**ما من مسلِمٍ يصلي عليه أمةٌ إلا شفعوا**" [3] وكان أبو المليح يقول: الأمة: الأربعون فصاعداً"[4]

ما الذي يحرم الإنسان من الشفاعة ؟

حرم الإنسان من الشفاعة يكون بكثرة اللعن؛ وذلك للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عن أَبِي الدرداءِ رضي الله عنه قال : سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: **إِن اللعانِين لا يكُونونَ شهداءَ ولا شفَعاءَ يوم الْقِيامةِ "**[5]

---

1 - مسلم (٢٤٤١)

2 - مسلم(٥٧٧).

3 - المعجم الكبير للطبراني (١٠٦٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٩٢٥٠)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٧٦٢) .

4 - المعجم الكبير للطبراني (١٠٦٠) .

5 - مسلم (٤٧٠٣).

لكن هل يتعارض هذا الحديث مع قوله ﷺ في المتبرجة: "**العنوهن؛فإنهن ملعونات**"[1] وغيره؟

الجواب: لا؛ لأنه يجوز لعن العصاة عامة؛ لقوله ﷺ في المتبرجات: "العنوهن فإنهن ملعونات" ولكن لا يجوز لعن العاصي المعين؛ لأنه ﷺ زجر الرجل لما لعن شارب الخمر وقال: "**لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم**" [2] .

ومع جواز ذلك لا ينبغي للإنسان أن يكثر من اللعن؛ للحديث السابق، وقوله ﷺ :"**لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا**"[3] وقوله ﷺ: "**لعن المؤمن كقتله** "[4] وغيرهما .

هل يجوز لعن الكفار عامة؟ وهل يجوز لعن الكافر المعين؟

الجواب : يجوز لعن الكفارعامة باتفاق العلماء، قال تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة:٨٩] ، وقال تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]

ولكن لا يجوز لعن الكافر المعين على الراجح؛ لأنه لما هم النبي ﷺ أن يدعو على أقوام معينين أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال ابن العربي: ودعا النبي ﷺ علي من تحزب علي المؤمنين وألب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء علي الكفار في الجملة ، فأما الكافر المعين الذي لم تعلم خاتمته

---

1 - أحمد (٦٧٨٦)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٦٨٢) .

2 - أحمد (٣٩٥٥)

3 - مسلم (٤٧٠١)

4 - البخاري (٥٦٤٠) و مسلم (١٦٠) .

فلا يدعي عليه ؛ لأن مآله عندنا مجهول ، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة، وإنما خص النبي ﷺ الدعاء علي عتبة وشيبة وأصحابه؛ لعلمه بمآلهم وما كشف لـه من الغطاء عن حالهم والله أعلم . [1]

****

٦- قوله تعالى: [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ]

العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكاً جازمـاً ، فعـدم الإدراك جهـل ، والإدراك على وجه لا جزم فيه شك ، والإدراك على وجه جازم غير مطابق جهل مركب .

فلو سئلت : متى كانت غزوة بدر ؟ فقلت : لا أدري فهذا جهل.

ولو سئلت : متى كانت غزوة بدر ؟ فقلت : إما في الثانية أو في الثالثة فهذا شك.

ولو سئلت : متى كانت غزوة بدر ؟ فقلت : في السنة الخامسة ، فهـذا جهـل مركب.

والله عز وجل يعلم الأشياء علماً تاماً شاملاً بها جملة وتفصيلاً ، وعلمه ليس كعلم العباد ، ولذلك قال : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.

و[مَا**]** من صيغ العموم والشمول ، فهي شاملة لكل شيء سواءً كـان دقيقـاً أم جليلاً ، وسواءً كان من أفعال الله أو من أفعال العباد.

و[بَيْنَ أَيْدِيهِمْ **]** أي: المستقبل

---

1 - الأحكام لابن العربي (٣١٢/٤) ، دار الكتب العلمية .

[خَلْفَهُمْ**]** أي: الماضي.

وعلمه من بين أيديهم يقتضى أن لا يجهل المستقبل ، وعلمه لما خلفهم يقتضى أنه لا ينس الماضي ، ولهذا لما قال فرعون لموسى : ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ يعني : لا يضل في المستقبل ولا يجهل عز وجل ، ولا ينسى الماضي .

****

٧- قوله تعالى: [وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ]

قال القرطبي رحمه الله[1]: العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: لا يحيطون بشيء من معلوماته، وهذا لقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفورالبحر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر. [2]

ومعنى الآية : أي لا يستطيع أحد أن يقف على شيء من علم الله عز وجل إلا إذا شاء الله أن يعلمه ، ويتبين هنا كمال علم الله ، نقص علم المخلوقين. فما شاء الله أن يعلمه الخلق أعلمهم إياه ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بذاته ، أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو مخلوقاته.

****

[1] - الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٧٦)، دار الكتب العلمية بالرياض

[2] - البخاري (١١٩) ومسلم (٤٣٨٥).

٨- قوله تعالى: [وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ]

العرش: هو أول شيء خلق :

إن العرش هو أول شيء خلق من الأشياء المعلومة وليس القلـم؛ وذلـك للحديث الذي أخرجه أبو داود قَالَ عبادةُ بن الصامِتِ لِابنِهِ: يا بني إنك لَن تجِـد طَعم حقِيقَةِ الْإِيمانِ حتى تعلَم أَن ما أَصابك لَم يكُن لِيخطِئَك، وما أَخطَأَك لَم يكُن لِيصِيبك، سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:"**إِن أَولَ ما خلَق الله الْقَلَم فَقَـالَ لَـه: اكْتب قَالَ: رب وماذَا أَكْتب؟ قَالَ: اكْتب مقَادِير كُل شيءٍ حتى تقُوم الساعةُ".**

يا بني إني سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: "**من مات علَى غَير هذَا فَلَيس مِني**"[1]

قال المباركفوري: إن أول ما خلق الله القلم أي بعد العرش والمـاء والـسموات والأرض بخمسين ألف سنة .

وسئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح [2].

ما الفرق بين العرش والكرسي؟

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله [3]، فالعرش أوسع أو أعظم أو أبلغ إحاطة من الكرسي.

---

1 - الترمذي (٢٠٨١) وأبو داوود (٤٠٧٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧)

2 - تحفة الأحوذي (٦/ ٣٦٩)، دار الفكر .

3 - أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢)، دار العاصمة وغيره، وصححه الشيخ الألباني في مختـصر العلو (٧٥/١) المكتب الإسلامي .

والدليل على ذلك الحديث الذي صححه الشيخ الألباني أنه ﷺ قال: **"ما السموات السبع والأرضون إلا كحلقة في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة"**[1]

وهذا يدل على سعة هذه المخلوقات العظيمة التي هي بالنسبة لنا من عالم الغيب ، ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾[ق: ٦]

وقد علق الشيخ الألباني رحمه الله على هذا الحديث في السلسلة الصحيحة فقال: ولا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئاً معنوياً كما يظن البعض. [2]

وإذا كان الكرسي قد وسع السموات والأرض فهو دليل على أنه مكور .

أما العرش فقد جاء عن النبي ﷺ أن عرشه على السموات كالقبة، والقبة غير مكورة وهي غير مسطحة أيضاً كقبة الخيمة يكون وسطها مرتفعا .

واعلم أخي الحبيب أن الله عز وجل على عرشه وليس سبحانه في حاجة إلى العرش، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمول بلطف قدرته ، مقهور بجلال قبضته .

****

[1] - ابن أبي شيبة في العرش (٣٤/١) مكتبة الرشد بالرياض، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٩)

[2] - الصحيحة (١٠٩) .

٩- قوله تعالى: [وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا]

أي: يثقله ويشق عليه ، يقال: آدني الشيءُ بمعني أثقلني

(حفظهما) أي : حفظ السموات والأرض ، وهذه الصفة صفة سلبية .

ما الذي يتطلبه الحفظ حتى نعرف أن هذا النفي لكمال ذلك الشيء الذي يستلزم الحفظ فالواجب أن يتطلب الحياة والعلم والقدرة والقوة والرحمة ويمكن صفات أخرى.

فالمهم أن هذا النفي يتضمن كمال علم الله وقدرته ورحمته وما إلى ذلك من الصفات التي يستلزمها حفظه سبحانه وتعالى .

****

١٠- قوله تعالى: [وَهُوَ العلي العظيم] **ويتعلق بهذه الجملة عدة مسائل:**

المسألة الأولى: منهج السلف الصالح في **أسماء الله وصفاته:**

اعلم أخي - بارك الله فيك - أن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين والعلماء العاملين هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الصفات والأسماء على الوجه اللائق به سبحانه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله، والسكوت عما سكت الله عنه ورسوله، فالكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات، فكما نثبت لله سبحانه صفة الوجود الحقيقي

الذي لا يماثله وجود أي مخلوق، كذلك نثبت له باقي الصفات، وأنها تختلف عن صفات المخلوقين [1]

قال الإمام أبو حنيفة: وله يد ووجه ونفس كما ذكر الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف [2]

قال البيهقي: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية [3].

قلت: مقصودهم: إثباتها على حقيقتهاعلى الوجه اللائق بالله، وترك الكيفية له سبحانه.

قال الشافعي : نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفي التشبيه عنه كما نفي عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى:١١) [1].

---

[1] - وللرجوع في هذا الموضوع عليك بهذه الكتب: الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة في باب كلامه عن الصفات ، و العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي وشرحها أبو العزالحنفي ، والفتوى الحموية الكبرى، والعقيدة الواسطية، ودرءتعارض العقل والنقل ثلاثتهم لابن تيمية، وشرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين، وغيره، وشرح الحموية لكل من الشيخ التويجري والشيخ المصلح، واعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وتسهيل العقيدة للشيخ ابن جبرين ، والاعتقاد للبيهقي، وغير ذلك من الكتب التي لا تحصى التي لا يتسع المجال لذكرها، والتي تثبت عقيدة أهل السنة في الأسماء و الصفات وهي إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه.

[2] - اعتقاد الأئمة الأربعة صـ ١٠ ، للشيخ : محمد الخميس ، دار العاصمة

[3] _ الأسماء والصفات للبيهقي (٣٧٧/٢) دار السوادي

قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسـوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث [٢].

قال ابن تيمية: فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية ، وله أفعال حقيقيـة، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صـفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سـبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه.[٣]

****

المسألة الثانية: القلق والحيرة التي يعيش فيها من حاد عن هذا المنـهج الـسابق (وهم أصحاب الكلام) :

اعلم أخي أن هذا المنهج - أي إثبات الصفات على حقيقتها على الوجـه اللائق بالله - هو المنهج الحق؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠]

قال الطبري: الإلحاد هو العدول عن القصد، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى : ١١]

وأما من حاد عن هذا المنهج فإنه يصاب بالحيرة والقلق:

قال شمس الدين الخسروشاهي – وكان من تلامذة الـرازي – لـبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً فقال له: ما تعتقده ؟ قال: ما يعتقده المسلمون. فقال:

---

[1] _ سير أعلام النبلاء (٤٣١/٢٠) .

[2] _ الفتوى الحموية الكبري صـ ـ ٢٦٥، دار الصميعي .

[3] _ السابق صـ ـ ٢٦٦.

وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ فقال: نعم فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقده والله ما أدري ما أعتقده والله ما أدري ما أعتقده. وبكى حتى أخضل لحيته [1]،

قلت: وقد حاد عن منهج أهل السنة في الصفات، وهو يغبط الذي يعتنق هذا المنهج السابق في الإثبات.

وقد جاء عن أحدهم- أي أحد أهل الكلام الذين لم **يتبعوا منهج السلف** في **الأسماء الصفات - أنه قال**: أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء[2].

وقد جاء عن إمام الحرمين الجويني أنه قال بعد أن ضيع عمراً طويلاً في علم الكلام قال: والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الاخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني .

قلت- أي الإمام الذهبي: كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع والأصول.

وقال أيضاً: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وحكى عنه أنه قال عند مرضه: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور. [1]

---

[1] - شرح الفتوى الحموية للتويجري (١٩٣) دار الصميعي

[2] - السابق

قلت - محمد: ودين العجائز هو منهج السلف .

ومثل هذا حدث مع الرازي وابن فورك وغيرهما. [٢]

و**قال الغزالي**:أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام [٣].

قلت: وهذا غيض من فيض، وإلا فالأمثلة كثيرة، ولو ذكرناها كلها لاتسع المقال ولضاق المقام، ولعل في هذا القدر الكفاية والغنية .

****

المسألة الثالثة: هل أسماء الله توقيفية أم اجتهادية ؟

أسماء الله تعالى توقيفية أي لا يجوز لنا أن نثبت أسماءً لله لم يسم الله نفسه به، كأن نقول مثلاً: يا ماكر، ولكن يجوز أن نقول: يا خير الماكرين .

قال ابن حجر في **الفتح**: وقال القاضي أبو بكر والغزالي: الأسماء توقيفية دون الصفات قال: وهذا هو المختار، واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه، وكذا كل كبير من الخلق ،

قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى، واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصاً، ولو ورد ذلك نصاً فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وأن ثبت في قوله﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾

---

[1] - سير أعلام النبلاء (٤٧٤/١٨)، دار الرسالة .

[2] - شرح الحموية من ١٩١إلى ١٩٥.

[3] - السابق .

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾ ونحوها ولا يقال له: ماكر ولا بناء وأن ورد ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾

وقال أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه [1].

****

المسألة الرابعة: هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين فقط التي وردت في حديث الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ:"إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة " ؟

الجواب: لا ليست محصورة في هذا العدد، بل تزيد على ذلك

قال ابن حجر: وقد اختلف في هذا العدد، هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟

فذهب الجمهور إلى الثاني ، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان: "**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**"

[1] - فتح الباري (٢٢٣/١١)، دار الفكر .

قال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العـدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسمـاء وأبينـها معاني، وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله:" من أحـصاها " لا قولـه " لله " وهـو كقولك لزيد ألف درهم أعدها للصدقة أو لعمرو مائة ثوب من زاره ألبسه إياها.

وقال القرطبي في المفهم نحو ذلك . [1]

قلت: لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، فهل معنى ذلك أنه ليس عنده غـير هذه الدراهم؟! وكذلك قولك لعمرو مائة ثوب، هل ليس عنده غيرها ؟!

****

المسألة الخامسة: ما معنى(من أحصاها) ؟

قال ابن القيم في **بدائع الفوائد:**

مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها .

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال تعالى: [وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا](الأعراف ١٨٠)

وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة .

---

[1] - السابق (٢٢٠/١١) .

والثاني: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها ، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بـل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسـلا إليه بذلك الاسم [1]،

فلت: فمثلا يدعو الله أن يتوب عليه، فيقول: يا تواب تب علي، ويا غفور اغفـر لي، ويا رزاق ارزقني وهكذا .

****

المسألة السادسة: ما معنى قوله تعالى [فَٱدۡعُوهُ بِهَا] ؟

الإجابة هي في المسألة السابقة وكذلك قول الإمام القرطبي الآتي ذكره:

قال القرطبي في التفسير: (فادعوه بها) أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يـا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، هكذا.

فإن دعوت باسم عام قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيـف ارزقني.وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا ألله، فهو متضمن لكـل اسـم.، ولا تقل: يا رزاق اهدني، إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير، قال ابن العربي: وهكـذا، رتب دعاءك تكن من المخلصين [2]. لأنه حينما يكون الاسـم موافقـاً للمـسألة يستجيب الله عز وجل ، فمثلاً إذا أردت الرزق قل ارزقني يا رزاق كما قال عيسى عليه السلام ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [المائدة: ١١٤] ، إذا أردت مغفرة الذنب

[1] - بدائع الفوائد لابن القيم (٢٨٨/٢، ١٨٩)، دار عالم الفوائد .

[2] - تفسير القرطبي (١٨٠/٤)، مكتبة الإيمان .

قل : اغفر لي يا غفار كما قال موسى عليه السلام ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥] ، وإذا أردت الشفاء قل : اشف أنت الـشافي ، كما قال محمد ﷺ : **(اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)**

****

المسألة السابعة: قوله تعالى [وَهُوَ العلي]

العلو عند السلف يحمل على ثلاثة معانٍ:

الأول: علو الذات، ويدل عليه اسمه سبحانه (العلي).

الثاني: علو الشأن، ويدل عليه اسمه سبحانه (الأعلى) .

الثالث: علو القهر، ويدل عليه اسمه سبحانه (المتعال).

ومنهج أهل السنة والجماعة إثبات العلو لله بأنواعه الثلاثة .

أدلة علو الله على عرشه (أي علو الذات)

أدلة الكتاب:

لقد امتلأ كتاب الله تعالى بالأدلة التي تدل على استوائه سبحانه على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله وفوقيته على كل الخلائق.

قال صاحب الفتوى الحموية: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسـنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سـائر الأمة، مملوء بأن الله سبحانه فوق كل شيء، وعلي على كل شيء، وأنـه فـوق العرش، وأنه فوق السماء،

مثل:

(١) قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر :١٠)

(٢) وقوله:﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ (آل عمران :٥٥)

(٣) وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾(الملك) .

قلت: وحرف الجر (في) بمعنى: على؛ كما قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾أي على الأرض، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض .

(٤)وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء :١٨٨)

(٥) وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج : ٤)

(٦) وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (السجدة:٥)

(٧) وقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (النحل :٥٠)

(٨) وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الفرقان :٥٩) .

(٩) وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طه)

(١٠) وقوله: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ (غافر)

(١١) وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت :٢) .

(١٢) وقوله:﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾(الأنعام :١٤٤)

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة. [1]

أدلة السنة علي إثبات الفوقية لله :

وقال أيضاً[2]: وفِي الْأَحادِيثِ الصحاحِ والْحِسانِ ما لَا يحصى إلا بِالْكُلْفَةِ مِثْلَ:

(١) قِصةِ مِعراجِ الرسول ﷺ إلَى ربِهِ. [3]

(٢) ونزول الْملَائِكةِ مِن عِندِ اللهِ وصعودِها إلَيهِ وقَولِهِ ﷺ فِي الْملَائِكةِ الذِين يتعاقَبونَ فِيكُم بِالليلِ والنهارِ :" **فَيخرج الذِين باتوا فِيكُم إلَى ربهم فَيسأَلُهم وهو أَعلَم بِهِم" .** [4]

(٣) وفِي الصحِيحِ فِي حدِيثِ الْخوارِجِ:" **أَلَا تأمنوني، وأنا أَمِين مَن فِي السماءِ يأتِينِي خبر السماءِ صباحا ومساءً"**[5] **.**

(٤) وفِي حدِيثِ الرقْيةِ الذِي رواه أبو داود وغَيره:**"ربنا الله الذِي فِي السماءِ تقَدس اسمك، أمرك فِي السماءِ والأَرض كَما رحمتك فِي السماءِ، اجعلْ رحمتك فِي الْأَرضِ، اغْفِر لَنا حوبنا وخطَايانا، أَنت رب الطيبِين، أَنزِلْ رحمةً مِن رحمتِك وشِفَاءً مِن شِفَائِك علَى هذَا الوجعِ".**[6]

---

[1] - الفتوى الحموية (١/ ٢٠٢) دار الصميعي.

[2] - الفتوى الحموية (١/ ٢٠٢) .

[3] - البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤).

[4] - البخاري (٥٢٢) ، ومسلم (١٠٠١).

[5] - البخاري (٤٠٠٤) ومسلم (١٧٦٣).

[6] - أبو داود (٣٣٩٤) وأحمد (٢٢٨٢٢)، وضعفه الشيخ الألباني (٥٤٢٢) .

(٥) وحديث الجارية التي قال لها النبي: "**أين الله** ؟" قالت: في الـسماء ... قال:"**اعتقها؛ فإنها مؤمنة**" [١]

فلت: وليست هذه الأحاديث فقط هي التي أثبتت الفوقية، بل هذه نقطة في بحـر الأحاديث التي أثبتت الفوقية .

قول الصحابة والتابعين:

عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ويل لـديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق، ولم يقـض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغبة، ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه. [٢]

عن ابن مسعود قال: والعرش فوق الماء، والله عز وجل فوق العـرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم [٣]

عن زيد بن أسلم قال: مر ابن عمر براعٍ فقال: هل من جـزرة ؟ فقـال: ليس هاهنا ربها . قال ابن عمر: تقول له: أكلها الذئب . قال: فرفـع رأسـه إلى السماء وقال: فأين الله ؟ فقال ابن عمر: أنا والله أحق أن أقول: أين الله؟ . واشترى الراعي والغنم فأعتقه وأعطاه الغنم.[٤]

---

[1] - مسلم (٨٣٦) .

[2] - أحمد في الزهد صـ ١٥٥، دار الكتب العلمية، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ ١٠، المكتب الإسلامي.

[3] - التوحيد ابن خزيمة(٨٨٥/٢)، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلوصـ ١٠٣.

[4] -المعجم الكبير للطبراني (١٣٠٥٥)، وصححه الشيخ الألباني فـي مختـصر العلوصـ ١٢٧، والجزرة: الشاة السمينة.

وعن عبد الله بن رواحة ﷺ مشى ليلة إلى أمة له فنالها فرأته امرأته فلامتـه فجحدها، فقالت: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن؛ فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال:

شهدت بأن وعد الله حـق.

وأن النار مثوى الكافرينـا.

وأن العرش فوق الماء طاف.

وفوق العرش رب العالمينا.

وتحمله ملائكة كـرام.

وأملاك الإله مسومينـا.

فقالت امرأته: صدق الله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن [1]

قال عكرمة في **قوله تعالى:** ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ قال ابن عباس: لم يستطع أن يقول: من فوقهم علم أن الله من فوقهم[2] .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله؛ فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سـبعة آلاف سنة، وهو فوق ذلك [3]

---

[1] - السير (٢٣٨/١)

[2] - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم صـ ٨٩، دار البيان

[3] - السابق صـ ٨٨ .

عن كعب الأحبار: قال الله عزوجل في التوراة:" **أنا الله فـوق عبـادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي، ولا** يخفى **علـي شيء** في **السماء ولا** في **الأرض**" [1]

إلى غير ذلك من أقوال الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) مما لا نستطيع حصره هنا.

قول الأئمة:

قول أبي حنيفة: انظر كلامه في المسألة الآتية (كفر من أنكر علو الله).

قال الأوزاعي : كنا – والتابعون متوافرون – نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته [2]

قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء [3]

قال الشافعي: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتـهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسـول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى الـسماء الدنيا كيف شاء .... [4]

---

[1] - العظمة لأبي الشيخ صـ ـ ٢٢٦، دار العاصمة، وصححه الشيخ الألباني فـي مختـصر العلـو صـ ـ ١٢٨.

[2] - اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم صـ ـ ٩٦، وصـحح الـشيخ الألبـاني فـي مختـصر العلواصـ ـ ١٣٧ .

[3] -السابق صـ ـ ١٠١، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ ـ ١٤٠.

[4] - السابق صـ ١٢٢، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ ١٧٦.

قال أحمد: هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه. [1]

قال القرطبي: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته [2]

وأخيراً: فهذه بعض أدلة استواء الله على عرشه، وإلا لو جئنا بكل الأدلة لما اتسع المقال ولضاق المقام.

****

[1] - السابق صـ ١٥٣، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ ـ ١٨٩.

[2] - السابق صـ ٢٠٩ .

المسألة الثامنة:كفر من أنكر علو الله على عرشه[1]:

قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفـر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : ٥] ، وكذا من قال: إنه على

1- **قال الشيخ التويجري شارح الحموية:** لكن ينبغي التنبه أن كلام الأئمة في تكفير من خالف فـي بعض هذه المسائل، أنه من باب التكفير المطلق، وفرق بين التكفير المطلق، وتكفيـر الـشخص المعين، فالتكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، وهذه قاعدة عامة، أن التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، الله - عز وجل - توعد الذين يأكلون أموال اليتامى بالنار، فلا يجوز أن تقول لإنـسان يأكل الربا إنه في النار، ولا يجوز أن تحكم على مسلم قاتل بعينه أنه في النار، ففرق بين التكفير المطلق، والتكفير المعين.

يدل على ذلك أن الأئمة يكفرون ببعض المقالات، لكن يلاحظ أنهم إذا نظـروا إلـى الـشخص المعين، فإنهم لا يحكمون بكفره، مثل الإمام أحمد،اشتهر عنه أنه قال من قال إن القرآن مخلـوق فقد كفر، ومع ذلك يلاحظ أنه يصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق، فلو كان يكفر هذا الـشخص بعينه، ويخرجه من الملة، لما صلى خلفه؛ لأن الصلاة خلفه لا تصح، وذلك أن التكفير المعين له شروط وموانع، فقد تنتفي في حق هذا الشخص المعين، إما لتأويل أو لجهل، أو لأمر آخر، وهذا مما يكثر الخطأ فيه، خاصة عند الشباب، يأخذون هذه النصوص العامة عن الأئمة، وأحياناً حتى من الكتاب والسنة، ويطبقونها على الأشخاص المعينين، وهذا خلاف المنهج الصحيح.

أنا أسألكم الآن: ما حكم من شك في قدرة الله؟ كافر، ولا شك في ذلك.. ما حكم من شك في اليوم الآخر؟ كافر.

ثبت في صحيح البخاري: " أن رجلا أسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة جمع أبناءه وأوصاهم قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذُروني؛ فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحداً من العالمين، فجمعه الله - عز وجل - وأقامه وقال: ما حملك على ذلك؟ قـال: مخافتـك، فغفر الله له ".

يقول شيخ الإسلام: هذا عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر: الشك في قدرة الله، والشك في اليوم الآخر، ولكن غفر الله له بسبب الجهل، والأمثلة كثيرة.. انظر شرح الشيخ حمد بن عبدالمحـسن التويجري على الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام وذلك عندما كان يشرح هذا القول الذي نقله شيخ الإسلام في الفتوى الحموية .

العرش ولا أدري العرش في السماء أو في الأرض؟ فهو كافر؛ لأنه أنكر أن يكـون الله في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. [1]

****

المسألة التاسعة: الفرق بين العلو والاستواء:

إن الاستواء دليل من أدلة العلو، وبينهما تشابه كبير، ولكن الخلاف بينهما في ناحية الثبوت، فإن الاستواء من المسائل التي ثبتت عـن طريـق الـسمع- أي بالأدلة- فقط، ولكن العلو ثبت بالسمع والعقل.

معنى الاستواء في لغة العرب:

أصل الاستواء في اللغة هو الارتفاع والعلو على الشيء، ومنه قوله تعالى:

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون:٢٢]

وإذا قيد الاستواء فله ثلاثة أضرب:

الأول: **وهو المقيد بحرف الجر** "إلى" كقوله تعـالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ﴾ [البقرة:٢٩]

واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وهذا بمعنى: العلو والارتفاع بإجماع السلف

الثاني:المقيد بحرف الجر "على " كقوله تعالى:﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ (الزخرف: ١٣) .

وهذا معناه أيضا: العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

[1]- الجيوش الإسلامية صـ ـ ٩٩، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلوصـ ١٣٧ .

الثالث: المقرون بالواو التي بمعنى **مع** التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى سواها .

فهذه معاني الاستواء في لغة العرب التي نزل بها القرآن وبها خوطبنا [1].

المسألة العاشرة: شبهة وجوابها :

قلنا: إن منهج أهل السنة هو إثبات الصفات على حقيقتها على الوجه اللائـق بالله، فلماذ قلنـا في قولـه تعـالى :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧]

لماذا قلنا هنا: إن المعية هنا هي معية العلم؟ .

وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]أن المعية هنا هي معية النصر والتأييد وغير ذلك من الآيات ؟

وكما في سورة الحديد وكثير من الآيات التي تفيد معية العلم أو النصرة والتأييد أو غير ذلك؟

---

[1]- الفتوى الحموية الكبرى بتحقيق الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري ص:١١٩، ١٢٠ بتـصرف بسيط ، دار الصميعي.

وقد قام الشيخ حمد بشرح هذه الفتوى المباركة على قناة المجد العلمية وهـذا الـشرح موجـود بالـصوت والـصورة علـى موقـع قنـاة المجـد العلميـة فراجعـه فهـو مفيـد جـدا .(www.islamakedymy.net).

الجواب:

إن كلمة مع تقال ولا يراد منها الالتصاق، فأنت تقول لأخيك مثلاً وهو في السعودية وأنت هنا في مصر فتقول له: إني معك .

ومثال ذلك قوله تعـالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران :٤٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران:١٩٣]

إلى غير ذلك من الآيات التي فيهاحرف الجر (مع) ولكنه لا يفيد الالتصاق ولا المصاحبة .

****

المسألة الحادية عشر: وقوله تعالى:[العظيم]

قال العلامة السعدي: العظيم هوالجامع لجميع صفات العظمة والكبريـاء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب وتعظمه الأرواح [1].

فإذا كنت يا أخي مغروراً بجاهك فتذكر عظمة الله عليك!

إذا كنت عليا في نفسك فتذكر علو الله فوقك، فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ العلي العظيم ﴾

إذا دعتك نفسك لظلم العباد فتذكر عظمة الله وقدرته وإحاطته بك:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبـ ـه يدعو عليك وعين الله لم تنم

1- تفسير السعدي صـ ـ ٩٧، التوفيقية.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحـة
مقدمة الشيخ/ محمد بن عبد الملك الزغبي.	١
مقدمة المؤلف.	٢
الخطبة الأولى: هل رأيت الجنة؟!.	٤
الخطبة الثانية: هل رأيت النار؟!.	٣٦
الخطبة الثالثة: الابتلاء سنة الله في خلقه.	٥٧
الخطبة الرابعة: عوامل الثبات عند الابتلاء.	٨٧
الخطبة الخامسة: سماحة الإسلام وإرهاب الغرب.	١٠٧
الخطبة السادسة: الحقوق المتبادلة بين الزوجين.	١٤٠
الخطبة السابعة: رسالة عاجلة إلى المرابين.	١٦٦
الخطبة الثامنة: يا نفس قد أزف الرحيل.	٢٠٢
الخطبة التاسعة: الصلاة الصلاة.	٢١٦
الخطبة العاشرة : الدعاء عبادة.	٢٤٢
الخطبة الحادية عشرة : طيب الكلام في صلة الرحم.	٢٦٥
الخطبة الثانية عشرة : مأساة العقوق.	٢٧٩
الخطاب الثالثة عشر : تأملات في الحج وقصة الذبيح.	٣١٤
الخطبة الرابعة عشر : قيام الليل.	٣٤٥
الخطبة الخامسة عشر : السبع المثاني.	٣٦٧
الخطبة السادسة عشر : تفسير آية الكرسي .	٣٩٤
الفهـــرس.	٤٣١